

تبع بأمر من صاحب الجلالة الأمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

ديوان

أوراق الخريف

للشاعر
الأستاذ محمد الحلوي

1417هـ - 1996م

**ديوان
أوراق الخريف**

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي
المصطفى الأمين.

وبعد، فمن فطاحل الشعراء الذين رفعوا رأس المغرب عالياً في محافل
الأدب وأندية الشعر، وجاوزت شهرتهم حدود بلادهم لتدوي أسماؤهم شرقاً
وغرباً، ولتستجد قصائدهم وتستعذب أساليبهم، وليستشهد بروائعهم ويثني
على قرائحهم، ولتضرب بهم الأمثلة في الإلتزام والأصالة والإبداع والابتكار،
الشاعر المجيد الأستاذ محمد الحلوي، الذي تعترف الأمة العربية بشاعريته
المتميّزة، وتضعه في موقعه اللائق بين أقطاب الأدب والشعر في العالم العربي
والإسلامي.

وغني عن البيان أن الشاعر الحلوي ذو معرفة دقيقة، وباع واسع في علم
النحو والصرف واللغة والأدب وعلوم البلاغة.

أما شعره فيأخذ بالألباب ويؤثر في النفوس لروعة أسلوبه وسحر بيانه
وإشراق معانيه، ولما يفيض به وجدانه وتحيش به عاطفته، وتجد به قريحته من
درر شعرية فريدة.

ورغم كثرة شعره وتشعب أغراضه، وتعدد بحوره وقوافيه، فإن لكل
قصيدة من قصائده رونقاً يطبعها، وجمالاً يميزها.

وقد واكب هذا الشاعر الحركة الوطنية، وشهد النهضة العلمية والأدبية في العهد الحسيني الميمون، فكان من أبرز الشعراء الذين حفلت دواوينهم ببطولات الأمة وانتصاراتها، وبأعجاد العرش العلوي المجيد، وبآثر ومناقب فقيد العروبة والإسلام جلالة الملك المغفور له سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه، وبمكارم ومفاخر أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، إلى غير ذلك من المقاصد السامية التي تناولها الشاعر الحلوي في أشعاره.

وفي هذا الإطار يندرج الديوان الذي جادت به قريحته تحت عنوان: «ديوان أوراق الخريف» وهو ديوان نفيس جمع فيه الشاعر ما يناهز مائة وعشرين قصيدة في مختلف الأغراض، التي تدل على سعة اطلاعه وسلامة ذوقه وعلى علمه بالشعر، وفنونه وأساليبه وأسرار بلاغته وعناصر جماله.

وانطلاقاً من الأهمية العلمية والأدبية لهذا الديوان، يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تقوم بطبعه لتعميم الاستفادة منه.

وتسأل الله عز وجل أن يجعله في سجل الأعمال الصالحة والمبرات الكريمة، والمآثر العلمية الخالدة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وأن يقر عين جلالته بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، ويحفظه في كافة أسرته الملكية الشريفة.

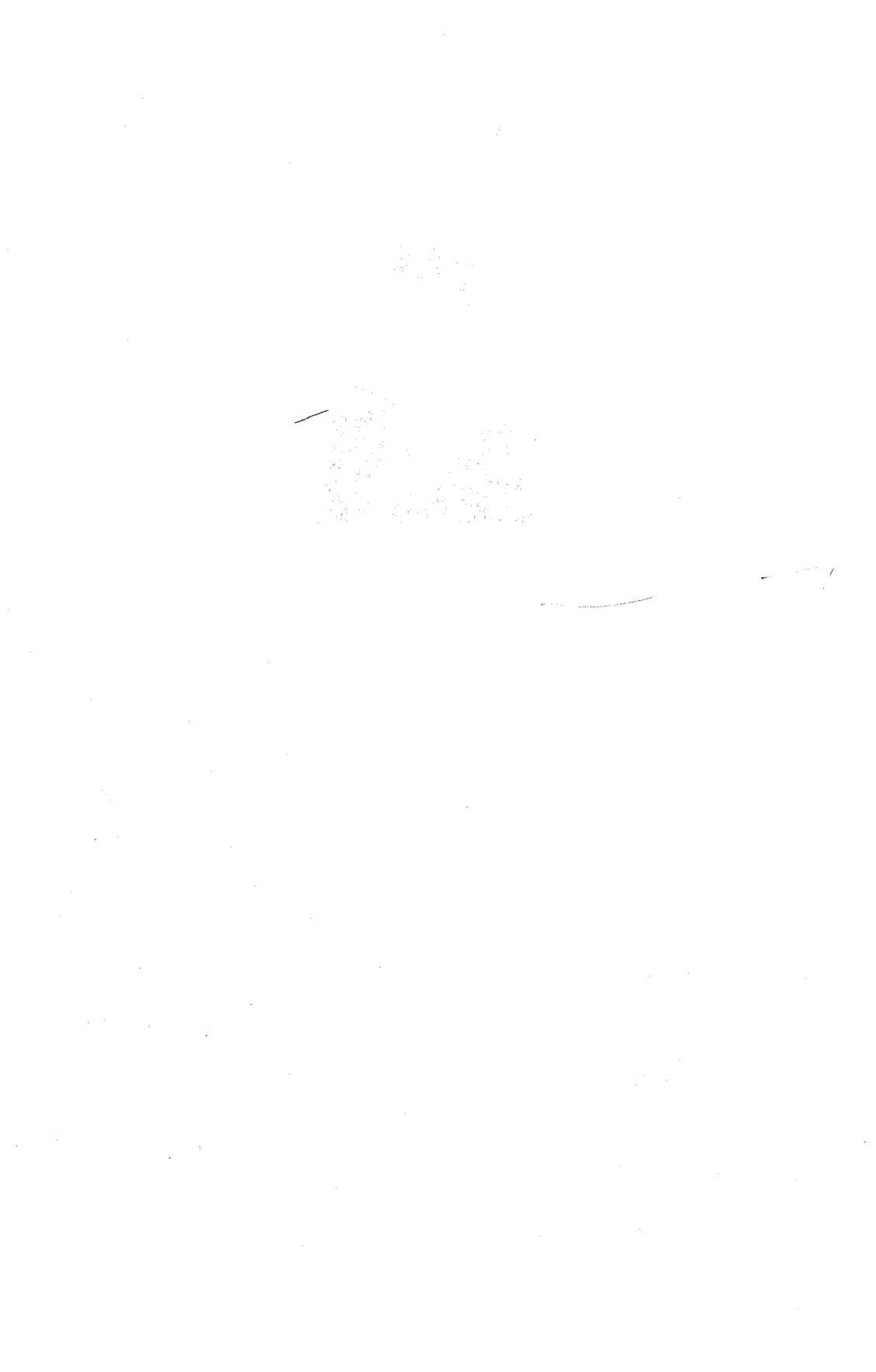
إنه نعم المولى ونعم النصير.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري



هَذَا أَنَا فِي صُورَتِي
عَبْرَ الْحَيَاةِ كَوَاضِيَةٍ
قِيَّاسًا فَتَّانٍ بِلَا
خُرُوسَاءٍ إِلَّا أَنَّهُمَا
تَحْكِي مَلَامَهُمَا وَتَرُ
أَنَّ الرَّحِيلَ نَهَايَةً
مَوْلُودُنَا وَقَدْ اسْتَهَلَّ
وَلَرُبَّ حَيٍّ عَاشٍ يَحْدُ
فِي عَالَمِ الْأَحْيَاءِ وَالْ
لَأَشْيَاءٍ يَبْقَى بَعْدَ أَنْ

ظِلًّا لِلنَّاسِ غَبَرُ
وَطَوْتُهُ أَجْدَةُ الْقَدَرِ
نَغْمٌ شَجِيٌّ أَوْ وَتَرُ
فِي الصَّمْتِ بِالْغَةِ الْعَبْرِ !
وَيَ وَهِيَ صَادِقَةُ الْخَبْرِ
مَحْتَوَمَةٌ لِبَنِي الْبَشَرِ
عَلَى السَّوَاءِ مُخْتَضِرُ !
سُدَّ مَيْتًا تَحْتَ الْحُفْرِ !
مَوْتِي تَشَابَهَتْ الصُّورُ !
نَمْضِي سَوَى طَيْبِ الْأَثَرِ !



إِهْدَاء

إِلَى رُوحِ وَالِدِي الَّذِي حَرَّكَ أُنَامِلِي
وَرَوَّضَهَا عَلَى مُعَانَقَةِ الْقَلَمِ، وَعَلَّمَنِي
فِي الْحَيَاةِ مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ، وَأَضَاءَ لِي
دَرْبَ مَسِيرَتِي يَوْمَ قَدَّمَنِي قُرْبَانًا لِلْعِلْمِ،
وَأَفْهَمَنِي أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِدُونِهِ ظَلَامٌ.

الدينيات

أُمَّةُ الْقُرْآنِ

يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ حَانَ الْمَوْعِدُ
الْيَوْمَ يَوْمُكَ لَيْسَ بَعْدُ وَلَا غَدُ
نَادَى الْمُؤَذِّنُ فَاَنْفُضِي عَنْكَ الْكَرَى
وَاسْتَقْبِلِي فَجْراً جَدِيداً يُوَلِّدُ
وَتَجَدِّدِي فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَجْدَ فِي
هَذِي الْحَيَاةِ لِمَنْ بِهَا يَتَجَدَّدُ !
أَيَّامَ عِزِّكَ مُشْرِقَاتٌ كَالضُّحَى
وَعُهُودٌ مَجْدِكَ أَنْجَمٌ تَتَوَقَّدُ
نَوَّرَتْ هَذَا الْكَوْنُ وَهُوَ غِيَاہُ
وَحَمَلَتْ فِيهِ مَشَاعِلَ لَا تُخَمِّدُ
وَعَمَرَتْهُ أَمْنًا وَلَمْ يَكُ أَمْنًا
وَالسَّيْفُ فِي أَبْنَائِهِ لَا يُغْمَدُ !
وَحَكَمْتَ بِالشُّورَى وَبِالْعَدْلِ الَّذِي
نَزَلَ الْكِتَابُ بِهِ وَجَاءَ مُحَمَّدُ
وَبَنَيْتِ بِالْأَخْلَاقِ مَا لَمْ يَبْنِيهِ
بَانَ لَمْ يَكُ بِالْحُرُوبِ يُشِيدُ
قَدْ كُنْتَ فِي أَفْقِ الْعُلُومِ مَنَارَةً
تَسْعَى الْوُفُودُ إِلَى حِمَاكِ وَتَحْفِدُ

قَدْ كُنْتَ قَائِدَةً تَقُودُ وَقُدُوءَ
 مُثْلِي يَسِيرُ بِهَدْيِهَا الْمُسْتَرِشِدُ
 مَا لِي أَرَى تِلْكَ الْمَحَاسِنَ أَدْبَرْتُ
 وَأَرَى دَمًا قَدْ كَانَ حَيًّا يَجْمَدُ !
 وَأَرَى رِيَاضًا قَدْ ذَوَتْ وَبَلَابِلًا
 سَكَتَتْ، وَكَانَتْ فِي حِمَاكِ تُغَرِّدُ
 وَأَرَى صُرُوحًا قَدْ تَدَاعَتْ لِلْبَلَى
 فَهَوَتْ، وَأُخْرَى بِالزَّوَالِ تُهَدِّدُ !
 يَشْكُو بَنُوكَ - وَهُمْ كَثِيرٌ - غُرْبَةً
 وَيَسُومُكَ الضَّيْمُ الْجَبَانُ الْمُلْحِدُ
 قَدْ كُنْتَ بِالْقُرْآنِ صَرَحًا شَامِخًا
 وَقَوًى لَهَا فَوْقَ الشَّرِّ مَقْعَدُ
 يَسْعَى لِنَيْلِ رِضَاكِ كُلُّ مَنَاوِي
 وَيَهَابُ بِأَسْكَ كُلِّ مَنْ يَتَوَدَّدُ
 غَابَتْ شَمُوسُكَ عَنْ وُجُودِ تَائِهٍ
 وَالْبَدْرُ أَجْلَى مَا يُرَى إِذْ يُفْقَدُ !
 لَا الدَّمْعُ أَرْجَعُ مَا أَضَاعَ خِلَافُنَا
 مِنَّا، وَلَا اللَّهُمُّ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ !
 فِي كُلِّ فَاجِعَةٍ تَهْزُ كَيَانُنَا
 نُذِرُ بِأَسْوَأِ مَا مَضَى تَتَوَعَّدُ

أَجْرَاسُهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ رَجَّةٌ
وَهَدِيرُهَا فِي كُلِّ سَمْعٍ مُرْعِدٌ !
فِي كُلِّ فَاجِعَةٍ نَقِيمٌ مَاتِمًا
تُنْسَى، وَمُؤْتَمَرًا يُحَلُّ وَيُعْقَدُ
لَا الْقُدْسُ عَادَ، وَلَا الْعُرُوبَةُ ضَمَدَتْ
أَوْجَاعَهَا، وَتَجَاهَلَتْ مَنْ يَحْقِدُ
تَاهَتْ سَفِينَتُنَا، وَضَلَّ طَرِيقُهُ
مَنْ فِي يَدَيْهِ زِمَامُهَا وَالْمَقُودُ !
فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ يَدٍ بَنَاءَةٍ
وَمَعَاوِلُ هَدَامَةٍ كَمْ تُفْسِدُ
وَبَنُو الْحَيَاةِ مَعَادِنٌ وَجَوَاهِرُ
فِيهَا الْمُزَيَّفُ وَالنَّفِيسُ الْجَيِّدُ
لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَاهْتَدَى كُلُّ الْوَرَى
لَكِنْ حَكَمْتَهُ أَبَتْ أَنْ يَهْتَدُوا !

* ● *

يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ هَذَا مَوْقِفُ
لَا النَّثْرَ فِيهِ، وَلَا الْقَوَافِي تُسْعِدُ
فِي النَّفْسِ أَشْيَاءٌ وَفِي أَعْمَاقِنَا
جُرْحٌ قَدِيمٌ نَازِفٌ لَا يُضْمَدُ

لَنْ يُرْضِيَ لِإِسْلَامٍ مِنْ أَقْوَالِكُمْ
إِلَّا سُلُوكٌ لَيْسَ فِيهِ تَشَدُّدُ
الصَّحْوُ مِنْهَا فِي انْتِهَاجِ سَبِيلِهِ
وَالصَّدَّ عَمَّنْ أَعْرَضُوا وَتَمَرَّدُوا
الصَّحْوُ فِي إِحْيَاءِ شِرْعَتِهِ الَّتِي
بَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا نَتَعَبَّدُ
دِينَ سَمًا بِالْعَقْلِ فِي آفَاقِهِ
وَاعْتَزَّ فِيهِ الْكَادِحُ الْمُسْتَعَبَّدُ
قَدْ كُرِمَ الْإِنْسَانُ فِيهِ فَلَمْ يَعُدْ
عَبْدًا يُبَاعُ وَيَشْتَرِيهِ السَّيِّدُ !
أَعْلَى الْجِبَاهِ فَلَمْ تَعُدْ تَهْوِي إِلَى
صَنْمٍ تَرِيقُ لَهُ الدِّمَاءُ وَتَسْجُدُ
آيَاتُهُ كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ
مَاضِرَهَا أَنْ لَا يَرَاهَا أَرْمَدُ !
لَا تُهْمِلِ الْأَقْدَارُ يَوْمًا أُمَّةً
لِشَرَائِعِ اللَّهِ الْقَوِيمَةِ تَجَحَّدُ
كَمْ أَفْلَسَتْ نُظُمٌ وَأَمْسَتْ هَيْكَالًا
نَخِرًا، وَكَانَتْ فِي الرِّيَادَةِ تُحْسَدُ !
لَنْ تَغْتَنِي بِالْعِلْمِ، وَهِيَ فَقِيرَةٌ
رُوحًا، تُؤْلِيهِ عَقْلُهَا وَتُمَجِّدُ

لَا صَحْوَ إِنْ لَمْ نَرْتَجِعْ أَخْلَاقَنَا
فَهِیَ الْحَضَارَةُ، وَالْغِنَى وَالسُّؤْدُدُ
وَالدِّينُ أَخْلَاقٌ، وَخَيْرُ عُهُودِنَا
تِلْكَ الَّتِي كَتَبَهَا نَتَقَيِّدُ

* ● *

كُلُّ الشُّعُوبِ بَنَاتُ شَوَامِخٍ مَجْدِهَا
تُحَفًّا، وَأَوَّلُ مَا بَنَيْنَا الْمَسْجِدُ
فِي ظِلِّهِ تَجِدُ النُّفُوسَ سَكِينَةً
تَسْمُو بِهَا، وَبِغَيْرِهِ لَا تُوجَدُ
قَدْ كَانَ مُنْطَلَقَ الْبُعُوثِ وَمُلْتَقَى
كُلِّ الْوُفُودِ، وَكَانَ فِيهِ الْمَوْلِدُ
يُكْتَظُّ فِي الْأَسْحَارِ خَلْفَ مُحَدَّثٍ
وَيَوْمُهُ الدَّانِي، وَيَسْعَى الْأَبْعَدُ
هَذِي الْبُيُوتُ نُرِيدُهَا مَعْمُورَةً
وَرِسَالَةَ مَوْصُولَةً لَا تُوَدَّ
وَنُرِيدُهَا حِصْنًا نَلُودُ بِظِلِّهِ
وَمَحَجَّةً أَبْوَابُهَا لَا تُوصَدُ
وَوَقَايَةً مِنْ كُلِّ غَزْوٍ طَارِيٍّ
وَحِمَايَةً مِنْ كُلِّ مَا يُسْتَوْرَدُ

وَمَسَارِجاً فِي كُلِّ لَيْلٍ حَالِكٍ
تَهْدِي إِذَا افْتُقِدَ الدَّلِيلُ الْمُرْشِدُ

* ● *

هَذِي أَمَانِي الْمُسْلِمِينَ ! فَهَلْ أَرَى
يَوْمًا أَمَانِينَا حَقَائِقَ تَشْهَدُ ؟
وَأَرَى طَلَائِعَ قَوْمِنَا فِي وَحْدَةٍ
مَرْصُوصَةٍ يَرْتَاعُ مِنْهَا الْحَسَدُ ؟
وَتَشَامُ فِي الْحَسَنِ الْغَيُورَ بَوَارِقُ
بِالْخَيْرِ وَاعِدَةٌ تَغُورُ وَتَنْجُدُ
يَخْطُو خُطَى أَجْدَادِهِ فِي نَصْرِهِمْ
لِلدِّينِ، يُعْلِي صَرْحَهُ أَوْ يُسْنِدُ
وَبَنُو الْمُلُوكِ الصَّالِحِينَ عَلَى هُدًى
يُعْطُونَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ مَا عُودُوا !
فَعَلَى يَدَيْهِ يُؤْمَلُّ الصَّحْوُ الَّذِي
بَسَوَى قِيَادَتِهِ لَهُ لَا يُحْمَدُ
وَهُوَ الطَّبِيبُ - إِذَا أَرَادَ - لَأَمَّةٍ
سَرَطَانُهَا : جَهْلٌ وَفَقْرٌ مُجْهَدُ

* ● *

هَذِي الْقَوَافِي ذَوْبُ قَلْبٍ شَاعِرٍ
أَهَاتُهُ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ تَصْعَدُ !

لَمْ تُلْهِهِ اللَّذَاتُ عَنْكَ وَلَا الْمُنَى
أَوْ تَصْبِيهِ يَوْمًا حَسَنًا خُرَدُ
كَمْ صَاغَ فِيكَ رَوَائِعًا وَكَأَنَّهُ
قَيْسٌ لِلَّيْلِ فِي الْمَضَارِبِ يُنْشِدُ
رُجْعَى لِنَهْجِ اللَّهِ أُمَّةَ أَحْمَدٍ
فَالْعَوْدُ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالَةِ أَحْمَدُ
لَا تَطْلُبُوا طَوْقَ النَّجَاةِ بغيرِهِ
هُوَ وَحْدَهُ فِي النَّائِبَاتِ الْمُنْجِدُ
وَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ وَعُدُّ صَادِقُ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَإِنْ تَرَاخَى الْمَوْعِدُ

نَبِيّ الْهُدَى

أَبْصَرَ الْكَوْنُ بَعْدَ طُولِ عَمَاءٍ
وَاهْتَدَى بَعْدَ حَيْرَةٍ وَعَنَاءٍ
تَاهَ فِي غَيْهٍ مِنَ الضَّلَالَةِ وَانْسَا
قَ لَمَّا اخْتَارَهُ مِنَ الْأَهْوَاءِ
عَبَدَ الْخَلْقُ فِيهِ مَا صَنَعُوهُ
وَنَسُوا اللَّهَ صَانِعَ الْأَشْيَاءِ
وَأَقَامُوا مِنَ التَّمَاثِيلِ أَرْبَابًا
بَاءً، وَدَانُوا لِزَيْفِهَا بِالْوَلَاءِ
يَتَرَجَّوْنَهَا إِذَا انْحَبَسَ الْغَيُّ
ثُ، وَيَدْعُونَهَا لِكَشْفِ الْبَلَاءِ
وَالْتِمَاسِ الْإِنْسَانِ مِنْ فَاقِدِ الشَّيْ
ءِ عَطَاءٍ نَهَايَةٍ فِي الْغَبَاءِ !
إِلَآهٌ مَنْ صَوَّرَهُ بِإِزْمِي——
لِ صُخُورًا مَشْلُولَةَ الْأَعْضَاءِ
إِلَآهٌ مَنْ لَا يَرُدُّ أَدَى عَنْهُ——
هُ، وَمَنْ لَا يُعْطِيهِمْو رَشَحَ مَاءٍ ؟
إِلَآهٌ مَنْ لَيْسَ يَخْلُقُ شَيْئًا——
وَهُوَ فِي الْكَوْنِ ذَرَّةً مِنْ هَبَاءٍ ؟

كَمْ إِلَاهٍ قَدْ ضَرَّ صَاحِبُهُ الْجَوُّ
عُ، وَقَدْ صَاغَهُ مِنَ الْحَلَوَاءِ
لَمْ يَجِدْ غَيْرَ رَبِّهِ مِنْ طَعَامٍ
يَشْتَهِيهِ، فَاخْتَارَهُ لِلْغَذَاءِ !
وَالْعَمَى فِي الْعُقُولِ لَا فِي عُيُونٍ
لَا تَرَى حَوْلَهَا سَنَى الْأَضْوَاءِ
سَيِّمِ الْكَوْنُ مِنْ شَقَاوَةِ أَهْلِيهِ
هـ، وَجَوَرَ الْعَتَاةِ وَالْأَقْوِيَاءِ
وَحَيَاةٍ لَا تُسْتَطَابُ بِلَا حَرٍّ
بِ وَثَارٍ وَدُونِ سَبِي نِسَاءِ
فَقَدْتُ بِنْتُ حَوَاءَ فِيهَا
نَفْسَهَا وَهِيَ فِي عِدَادِ الْإِمَاءِ
وَمُنَى كُلِّ فَارِسٍ أَنْ يُرَوِي
كُلَّ يَوْمٍ حُسَامَهُ بِالدِّمَاءِ
وَانْكَبَّابٌ عَلَى اللَّذَائِدِ مَجْنُونِ
نْ، وَدَعَاوَى حَمِيَّةٍ حَمَقَاءِ
وَنَوَادٍ لِلشُّعْرِ يَهْتِكُ فِيهَا
حُرْمَاتِ الْأَعْرَاضِ فُحْشُ الْهَجَاءِ
غَابَةُ لَا مَكَانَ فِيهَا لِحُبِّ
بَيْنَ قَوْمٍ تَشَبَّعُوا بِالْعَدَاءِ

بَيْسَ مَا تَصْنَعُ الضَّالَّالَةَ فِي قَوْ

مِ بِلَا قَادَةٍ وَلَا عُقْلَاءَ
يَحْسِبُونَ الْحَيَاةَ مَالًا وَخَمْرًا

وَأَمْتِلَاكَ لِغَادَةِ حَسَنَاءَ
وَعَبِيداً مُسَخَّرِينَ أَسَارَى

صَهَرْتَهُمْ لَوَافِحِ الرَّمْضَاءِ
فَتَأْتُوا فِيهِمُ الْكَرَامَةَ وَأَمْتَصَّ

صُورَ دِمَاهِمُ كَأَسْوَى الْأَجْرَاءِ
كَمْ تَمَنَّوْا يَوْمًا يَعُودُونَ فِيهِ

بَشَرًا مِثْلَ سَائِرِ الْأَحْيَاءِ
فَتَعِزُّ النُّفُوسُ بَعْدَ انكِسَارِ

وَتُعَلَّى الرَّؤُوسُ بَعْدَ انْجِنَاءِ

* ● *

وَأَنْجَلَى الْكَوْنُ يَوْمَ مَوْلِدِ طَهَ

عَنْ رَسُولٍ مُمَجِّدٍ فِي السَّمَاءِ
حَلَّ كَالْغَيْثِ بَعْدَ أَحْقَابٍ جَدِبِ

وَبَدَأَ كَالْأَنْوَارِ فِي الظُّلُمَاءِ
وَالشَّدَا فِي الرِّيَاضِ، وَالْمَاءِ يَنْسَا

بُ رَقِيقاً إِلَى شِفَاهِ الظُّلُمَاءِ

مَوْلِدُ كَانَ عِيداً وَبُشْرَى
لِوُجُودِ بَخَاتِمِ الْبُشْرَاءِ
رَدَدَتْهَا الْأَفْوَاهُ فِي كُلِّ نَادٍ
وَسَرَتْ كَالْعَبِيرِ فِي الْأَرْجَاءِ
خَيْرُ بُشْرَى لِهَائِمِينَ حَيَارَى
فِي مَتَاهَاتِ رِحْلَةِ عَشْوَاءِ
نَوَّرَ الْكَوْنُ سَاطِعٌ مِنْ سَنَاءِ
يَتَلَأَلَا مِنْ وَجْهِهِ الْوَضَاءِ
لَكَأَنِّي بِمَكَّةٍ وَهِيَ عَذْرَاءُ
ءُتْهِدَاتٍ فِي حُلَّةٍ خَضْرَاءِ
وَكَأَنَّ الْوُجُودَ عَادَ رَبِيعاً
وَوُرُوداً فَوَّاحَةً الْأَشْدَاءِ
فَرَحَةً عَمَّتِ الْبَرَائِيَا بِعِيدِ
لَيْسَ لِلشَّرِّكَ بَعْدَهُ مِنْ بَقَاءِ
خَمَدَتْ نَارُ فَارِسٍ وَهِيَ نَارُ
لَمْ تُصَبِّ قَبْلَ نُورِهِ بِانْطِفَاءِ
حَدَّثَ طَالَمَا تَرَقَّبَهُ الْكُوْنُ
نُ، وَسِرُّ أذِيعَ بَعْدَ اخْتِفَاءِ
قَدْ سَمَا فَوْقَ عَصْرِهِ وَتَنَاءِ
عَنْ دَنَائَاهُ شَدَّ مَا يَكُونُ التَّنَائِي

طَابَ أَصْلًا فَكَانَ خَيْرَ نَجِيبٍ
طَاهِرٍ مِنْ أَكَارِمِ نَجَبَاءِ
وَرَجَالٍ أَمَاجِدٍ لَمْ يَكُونُوا
بِمُلُوكٍ وَلَا بَنِي أُمَرَاءِ
نُطِفَ لَمْ تُشَبِّ بِسُوءٍ وَأَرْحَا
مُ نِسَاءٍ لَمْ تَقْتَرِبَ مِنْ خَنَاءِ
لَمْ يَعْبَهُ أَنْ كَانَ خَيْرَ يَتِيمٍ
أَوْ يَضِرَّهُ أَنْ كَانَ رَاعِي شَاءِ !
وَالرَّسَالَاتُ وَالْأَمَانَاتُ تَكْلِي—
فَ جَدِيرٌ بِالصَّفْوَةِ الشُّرَفَاءِ
كَيْفَ يَرْقَى إِلَيْهِ شِعْرٌ يُحْلِي—
هـ بِمَدْحٍ يُفِيضُ فِي الْإِطْرَاءِ ؟
وَأَنَا مَنْ ؟ لِأُثْنِي عَلَى مَنْ
خَصَّهُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ بِالنَّاءِ ؟
وَهُوَ فِي الْخَلْقِ قِمَّةٌ لَا تُسَامَى
وَهُوَ فِي الْخَلْقِ صُورَةٌ مِنْ ذُكَا
عَرَفْتُهُ قُرَيْشٌ وَهُوَ فَتَاهَا
رَمَزَ صِدْقٍ مِنْ أَنْبَلِ النَّبَلَاءِ
لَمْ يُطَوِّحْ بِهِ الشَّبَابُ وَلَا انْسَا
قَ لِدُنْيَا فَتَانَةٍ الْإِغْرَاءِ

فَاخْتَلَى وَحْدَهُ يُفَكِّرُ فِيمَا
حَوْلَهُ مِنْ رُؤَى تُضِلُّ الرَّائِي
لَمْ تَزَلْ فِي الْحَيَاةِ رَمَزاً وَطَلَسَ
مَا تَحْدَى عِبَاقِرَ الْأَذْكِيَاءِ
وَحْدَهُ يَنْشُدُ السَّكِينَةَ فِي ثَو
رٍ. وَيُصْغِي لِلْهَمْسِ فِي الصَّخْرَاءِ
وَيُعِدُّ الْفُؤَادَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدُ
رِي لِأَمْرِ مُبَارَكِ الْأَعْبَاءِ



وَأَتَاهُ جَبْرِيلُ يُقْرِئُهُ الْوَحْـ
ـيَ، وَمَا ظَنَّهُ مِنَ الْقُرَّاءِ
قَالَ : اقْرَأْ، وَبِاسْمِ رَبِّكَ فَاقْرَأْ
غَيْرَ مُسْتَعْفِلٍ، وَلَا نَسَاءِ
وَتَلَقَّى الْأُمِّيَ وَحِيَاءً تَحْدَى
بِهِ فُرْسَانَ قَوْمِهِ الْبُلْغَاءِ
سَمِعُوهُ يُتْلَى فَقَالُوا : هُوَ السُّحْـ
ـرُ يُذِيبُ الْقُلُوبَ بِالْإِصْفَاءِ
لَمْ يَكُنْ مَاتِلاً مُحَمَّدٌ سِحْراً
أَوْ جُنُوناً، وَلَمْ يَكُنْ بِهِرَاءِ

عَجَباً ! كَيْفَ لَمْ يُزَكُّوا أَمِيناً

شَبَّ فِيهِمْ عَلَى التَّقَى وَالتَّقَاءِ

وَرَمَوْهُ بِكُلِّ زُورٍ مِنَ الْقَوِ

لِ، وَصَدُّوا عَنْ هَدْيِهِ بِجَفَاءِ

وَأَصَمُّوا الْأَسْمَاعَ عَنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ

وَلَمْ يُذْعِنُوا لِأَسْمَى نِدَاءِ

عَمِيَّتِ أَعْيُنٌ فَلَمْ تَرَ نُوراً

سَاطِعاً عَمَّ سَائِرَ الْغِبَرَاءِ

أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ مَوْتُ وَبَعَثٌ

وَمَصِيدٌ مُعَلَّقٌ بِجَزَاءِ

لَيْسَ سَهْلاً أَنْ يَتْرَكُوا تُرْهَاتٍ

وَدُمَى قُدِسَتْ مِنَ الْآبَاءِ

* ● *

وَتَوَالَتْ مَقَاطِعُ الْوَحْيِ تَتَرَى

خَافِلَاتٍ بِالْآيِ وَالْأَنْبَاءِ

أُخْرِسَتْ فِي قُرَيْشٍ كُلِّ لِسَانٍ

وَتَحَدَّتْ فَصَاحَةُ الْفُصَحَاءِ

ذَابَ كَالشَّهْدِ فِي الشَّفَاهِ وَأُمْسَى

أُنْسَ مَنْ آمَنُوا بِهِ فِي الْخَلَاءِ

كَانَ مِلءَ الْقُلُوبِ يُتْلَى مَعَ الْفَجْرِ

ر، وَتُتْلَى آيَاتُهُ فِي الْمَسَاءِ

كُلِّ قَوْلٍ إِذَا تَكَرَّرَ يَبْلَى

وَهُوَ كَالْبَحْرِ عَاصِفُ الْأَنْوَاءِ

سَهَرَتْ مِنْهُ فِي الظَّلَامِ عُيُونٌ

بَيْنَ خَوْفٍ مُؤْرِقٍ وَرَجَاءِ

شَنْ حَرْباً عَلَى الْجَهَالَةِ وَالْدَّجِ

ل، وَنَادَى بِالْخَلْقِ وَالْإِنْشَاءِ

وَسَمَا بِالْإِنْسَانِ عَنْ كُلِّ رِقٍ

وَحَمَاهُ مِنْ قَسْوَةِ الْكِبَرَاءِ

وَأَرَى الْمَالَ لِلْغَنِيِّ امْتِحَاناً

لَا طَرِيقاً يُفْضِي إِلَى الْإِثْرَاءِ

فِيهِ لِلْمُعْـوْزِينَ حَقٌّ وَدِينٌ

يَتَقَاضَوْنَهُ بِلاَ اسْتِجْدَاءِ

* ● *

وَسَمَا فَوْقَ أَرْضِنَا يَعْبُرُ الْكَوْ

نَ وَيَرْقَى لِلْسَّدْرَةِ الْخَضْرَاءِ

فَتَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ مَا تَلَقَّا

هُ وَأَدْنَاهُ أَيَّاماً إِذْنَاءِ

حَدَّثَ لَمْ يَكُنْ يُصَدِّقُ لَوْلَا

صِدْقُهُ فِي مَشَاهِدِ الْإِسْرَاءِ

جَلَّ مَنْ لَيْسَ يَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ

ء، وَمَنْ أَمْرُهُ بِأَلَّا يُبْطَأَ

حَاصِرَتُهُ قُرَيْشٍ فِي الشُّعْبِ وَاشْتَدَّ

د عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَوْقُ الْبَلَاءِ

لَمْ يَهُونُوا وَلَا اسْتَكَانُوا لِإِرْهَا

ب، وَكَانُوا كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ

سَلِ بَلَاءًا وَآلِ يَاسِرٍ كَمْ عَا

نَا، وَكَمْ كَابَدُوا مِنَ الْأُسُوءِ

وَتَمَنَّتْ يَهُودُ لَوْ كَانَ مِنْهُمْ

مُرْسَلًا لَا مِنْ مَعْشَرٍ خُصَمَاءِ

كَذَّبُوهُ كَمَا اسْتَخَفُّوا بِمُوسَى

وَبِعِيسَى وَأُمِّهِ الْعَذْرَاءِ

بَيْسَ مَا اخْتَارَتِ الْيَهُودَ وَشَاهَتِ

أَوْجُهُ فِي تَلَوْنِ الْحَرْبَاءِ

* ● *

وَحَمَى اللَّهُ صَاحِبًا وَرَفِيقًا

كَانَ نِعَمَ الْأَنْبِيَاءِ عِنْدَ حِرَاءِ

مَلَجَا حَلَّتِ النَّبُوءَةُ فِيهِ

فَسَمَا ذِكْرُهُ بِخَيْرِ التَّجَاءِ

نَسَجَتْ فَوْقَهُ الْعَنَاكِبُ أَسَدَا

ءَ، فَأَضْحَى نَسِيجُهَا كَالْبِنَاءِ

وَابْتَنَى عَشِيهِ الْحَمَامُ بِغَارٍ

لَمْ يَكُنْ قَبْلُ مَسْكَنَ الْوَرَقَاءِ

وَتَوَلَّى سُرَاقَةً عَنْهُ مَكْسُو

فَا، وَلَمْ يَحْظَ سَعْيُهُ بِعَطَاءِ

وَرَعَى اللَّهُ يَثْرِبًا يَوْمَ وَافَا

هَا فَحَيَّتْ لِقَاءَهُ بِاحْتِفَاءِ

وَتَلَقَّتْهُ بِالزَّغَارِيدِ نَشْوَى

وَالْأَهَازِيجِ، وَالْوُجُوهِ الْوِضَاءِ

عَانَقَتْ مَوْكِبَ الْهُدَى وَتَمَلَّتْ

بِسَنَاءِ، وَاسْتَبَشَّرَتْ بِالنَّمَاءِ

أُيُنِعَتْ وَأَحْهَأَ، وَطَابَ جَنَاهَا

وَأَزْدَهَى نَخْلَهَا بِإِلَاءِ

آثَرِهِ عَلَى ذَوِيهِمْ وَأَهْلِيهِ

هـ. وَوَدُّوا لَوْ أَشْرَكُوا فِي النِّسَاءِ

مَنْحُوهُ قُلُوبَهُمْ وَثَرَاهُمْ

وَعُدُّوا دِرْعَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ

عَبَّاتُ جَيْشَهَا قُرَيْشُ لِبَدْرٍ
وَأَتَتْهَا تَسِيرُ فِي خِيَلَاءَ
بَصَنَادِيدَ مِنْ بَيْنِهَا شِدَادٍ
لَا يَهَابُونَ عَاصِفَ الْهَيْجَاءِ
لِيَرَى الْعُرْبُ أَنَّهَا ذَاتُ بَأْسٍ
وَهِيَ فِيهِمْ كَالْقَلْعَةِ الشَّمَاءِ
وَتَحْدَى مُحَمَّدٌ بِرِجَالٍ
لَمْ يَكُونُوا فِي الْعَدِ بِالْأَكْفَاءِ
أَرْخَصُوا الرُّوحَ وَاسْتَمَاتُوا دِفَاعاً
عَنْ حِمَى دِينِهِمْ وَخَيْرِ لُؤَاءِ
وَأَنْجَلَى النَّقْعَ عَنْ قُرَيْشٍ وَقَدْ بَا
عَتْ بِخِزْيٍ وَنَكْسَةٍ نَكَرَاءِ
وَبَكَتْ بِالدِّمَاءِ مَنْ تَكَلَّتْهُمْ
مِنْ بَيْنِهَا، وَأَبْدَعَتْ فِي الرِّثَاءِ
فَارْقُبِي فَتَحَ مَكَّةَ بَعْدَ بَدْرٍ
سِئْتُ هَذَا قُرَيْشُ أَمْ لَمْ تَشَائِي !
مَنْ لِقَوْمِي بِيَوْمِ بَدْرٍ جَدِيدٍ
يَرْفَعُ الرَّأْسَ شَامِخاً فِي الْعَلَاءِ ؟
وَيَعِيدُ الْأَمْجَادَ وَهِيَ زَوَاهِ
بَعْدَ مَا نَابَهَا مِنَ الْأَرْزَاءِ

وَيُضْمُ الشَّتَاتَ بَعْدَ افْتِرَاقٍ
وَيُقِيمُ الصُّفُوفَ بَعْدَ التَّوَاءِ
أَيْنَ مِنِّي حَوَارِيُّونَ صِحَابُ
وَهَبُوا لِلَّهِ رُوحَهُم بِسَخَاءٍ ؟
أَيْنَ مِنِّي كَتَائِبُ زَاحِفَاتٍ
لَيْسَ شَيْءٌ يَرُدُّهَا كَالْقَضَاءِ ؟



وَأَتَمَّ الرَّسُولُ مَا شَاءَهُ اللَّهُ
— هُ، وَأَدَّى هُدَاهُ خَيْرَ أَدَاءٍ
ثُمَّ لَبَّى دُعَاءَهُ لِخُلُودٍ
سَرْمَدِي مَا بَعْدَهُ مِنْ فَنَاءٍ
تَارِكاً فِي الْوُجُودِ مَالُو وَعَاهُ
لَا هَتْدَى حَائِرُوهُ خَيْرَ اهْتِدَاءٍ
وَمَصَابِيحَ بَعْدَهُ كَمَ أَضَاءَتْ
مِنْ دِيَاجٍ، وَكَمْ جَلَتْ مِنْ عَمَاءٍ
لَمْ يَحِيدُوا عَنْ هَدْيِهِ أَوْ يَمِيلُوا
يَوْمَ سَاسُوا الْوَرَى مَعَ الْأَهْوَاءِ
حَمَلُوا بَعْدَهُ الْأَمَانَةَ فِي صِدْقٍ
قِ وَكَانُوا مِنْ صَفْوَةِ الْخُلَفَاءِ

لَمْ تُغَيِّرْ أَخْلَاقَهُمْ نَشْوَةَ الْحُكْمِ

م، وَلَا اسْتَكْبَرُوا مِنَ النِّعَمَاءِ

حَيْثُ حَلُّوا حَلَّ السَّلَامِ وَسَادَ الْ

أَرْضِ أَمِنْ يَعُمُّ كُلَّ فَضَاءِ

لَيْتَ عَيْنِي تَرَى كَصَحْبِكَ صَحْباً

قَدْ تَقَفُّوا خُطَاكَ خَيْرًا اقْتَفَاءِ

مُذْ تَوَارَوْا عَنْ أَعْيُنِي أَجْدَبَ الرِّوْ

ضِ، وَأَمْسَى بِلَا شَذَا أَوْ رِوَاءِ

وَأَنْتَكَسْنَا وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ خُلْ

فٍ وَضَعْفٍ وَفُرْقَةٍ رَعْنَاءِ

وَارْتَدَدْنَا وَأَصْبَحَ الرُّكْبُ يَمْشِي

دُونَ وَعِيٍّ إِلَى وَرَاءِ الْوَرَاءِ

وَرَأَى الْغَرْبُ ضَعْفَنَا فَازْدَرَانَا

وَهُوَ فِي أَوْجِهِ أَشَدَّ ازْدِرَاءِ

يَرْكَبُ الْبَرْقَ لَاكِتْشَافِ الْمَجَاهِيـ

لِ، وَنَمْشِي كَالنَّمْلَةِ الْعَرَجَاءِ

غَيْرَ أَنَّ الشُّعُوبَ لَا تَعْرِفُ الْيَأْ

سَ إِذَا اسْتَرْوَحَتْ عَبِيرَ الرَّجَاءِ

* ● *

يَا نَبِيَّ الْهُدَى مَدَحْتُكَ لَكَ

نَ مَدِيحِي يَنْسَابُ مِثْلَ الْبُكَاءِ

يَعَصِرُ الْقَلْبَ مَا يُعَانِيهِ قَوْمِي

مِنْ جِرَاحٍ وَمِنْ أَسَى وَشَقَاءِ

قَدْ غَدَوْنَا فِي الدِّينِ بَعْدَكَ اشْتَا

تَا، وَحَدَّنَا عَنِ الطَّرِيقِ السَّوَاءِ

وَرَكِبْنَا بِمَرْكَبٍ تَاهَ فِي السَّيِّ

رِ، فَلَا يَهْتَدِي إِلَى مِينَاءِ

وَنَسِينَا مَنْ نَحْنُ بَيْنَ شُعُوبِ

لَمْ تَكُنْ قَبْلَنَا سِوَى أَسْمَاءِ !

وَاسْتَبَحْنَا دِمَاءَنَا وَكَأْنَا

أُمَّةٌ جُمِعَتْ مِنَ الْغُرَبَاءِ !

لَمْ تُوحِّدْ صُفُوفَهَا نُوبُ الدَّهْرِ

رِ، وَلَمْ تَسْتَفِدْ مِنَ الْأَخْطَاءِ

يَا رَسُولَ الْهُدَى بِنُورِكَ أَجْلُو

ظُلُمَاتٍ تَلَبَّدَتْ فِي فَضَائِي

أَنْتَ طَوْقُ النِّجَاةِ فِي كُلِّ خَطْبٍ

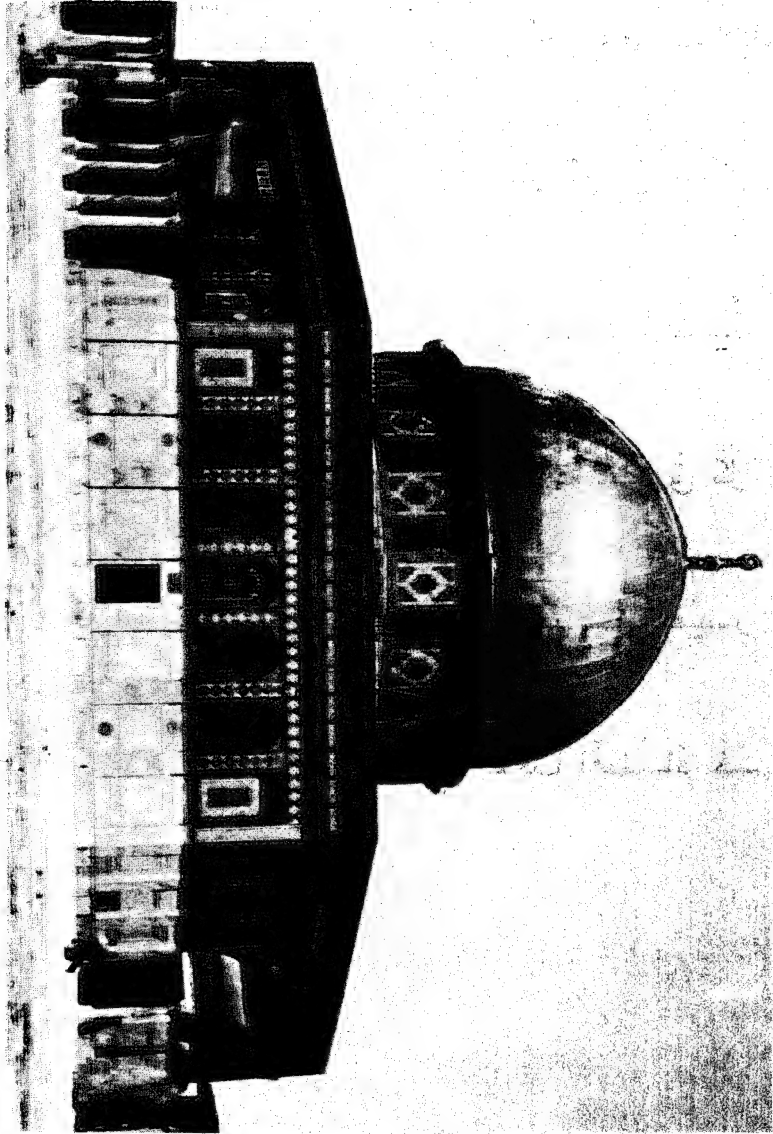
يَعْتَرِينَا، وَبَلَسَمُ الْأَدْوَاءِ

فَأَضِي دَرْبَنَا بِنُورِكَ وَأَنْشُلْ

أُمَّةً فِي مُحِيطِهَا كَالْغُثَاءِ

لَا تَدْعُهَا تَتِيَهُ وَسَطَ عُبَابٍ
وَهِيَ مِنْهُوَكَةٌ مِنَ الْإِغْيَاءِ
وَادْعُ لِلْعَرَبِ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الرَّشْدِ
وَأَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ النَّجَاءِ
وَتَوَسَّلْ لِلَّهِ أَنْ يَجْبُرَ الْكَسَا
رَ، وَيُجْزِيَ أُلُطَافَهُ فِي الْقَضَاءِ
بِكَ يُرْجَى الْخَلَاصُ مِنْ كُلِّ هَوْلِ
وَتُجْلَى الْخُطُوبُ فِي الْبَأْسَاءِ
فَرَسُورُ الْحَبِيبِ وَافِدُ خَيْرِ
وَسَفِيرٌ مِنْ أُنْبُلِ السُّفَرَاءِ
فَسَلَامٌ عَلَيْكَ مَا ذَرَّ فِي الْكُو
نِ شُعَاعٌ، وَأَنْسَابٌ فِي بَطْحَاءِ
وَعَلَى أَلِكِ الْمَيَامِينِ وَالصَّحْـ
بِ، وَمَنْ جَاهَدُوا بِدُونِ رِيَاءِ
أَنْتَ مِسْكُ الْخِتَامِ فِي مَوْكِبِ الْوَحْـ
يِ، وَفِي الْمُرْسَلِينَ كَالطُّغَرَاءِ
مَاتَجَوَّلْتُ فِي رِيَاضِكَ إِلَّا
خِلْتُ نَفْسِي أَطِيرُ فِي الْأَجْوَاءِ
هَائِمًا فِي سَنَاكَ أَكْرَعُ مِنْهُ
وَهُوَ كَالنَّبْعِ زَاخِرُ الْإِعْطَاءِ

فَسَلَامٌ مِّمَّنْ حَبَّكَ كَمَالاً
قَصَّرتُ عَنْهُ السَّنُ الشَّعْرَاءُ
وَسَلَامٌ عَلَى حَفِيدِكَ مَنْ سَا
رَ عَلَى النَّهْجِ رَافِعاً لِلْوَاءِ
حَامِلاً فِي يَدَيْهِ مَشْعَلَ حُبِّ
وَسَلَامٌ مُحَبَّبِ الْأَصْدَاءِ
مَلِكُ طَابَ مُحْتِداً وَأَصُولاً
فَهُوَ فِي الْمَجْدِ قِمَّةُ الْعِلْيَاءِ
لَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ الصُّرُوحَ وَيَبْنِي
مُعْجَزَاتٍ تَفُوقُ كُلَّ بِنَاءِ
بَارَكَ اللَّهُ فِي الْمَعَالِي خُطَاهُ
وَجَزَى سَعْيَهُ بِخَيْرِ جَزَاءِ
يَتَمَلَّى بِالْفَرْقَدِينَ وَيَرْعَى
خَيْرَ شَعْبٍ أَعْطَاهُ خَيْرَ وِلَاءِ



صورة مقسمة للمسجد الأقصى

الإسراء

أَيُّ نُورٍ قَدْ عَانَقْتَهُ السَّمَاءُ
أَيِّ سِرٍّ قَدْ ضَاقَ عَنْهُ الْفَضَاءُ ؟
أَيُّ نَفْحٍ سَرَى وَأَيُّ طُيُوبٍ
غَرِقَتْ فِي أَشْدَائِهَا الْأَشْدَاءُ ؟
خَدَتْ فِي الْجَزِيرَةِ قَدْ كَا
نَ حَدِيثًا لَمْ تَرَوْهُ أَنْبَاءُ
حَدَثٌ أَدْهَشَ الْعُقُولَ وَتَاهَتْ
فِي مَدَاهِ الْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ
كَيْفَ يَسْمُو إِلَى السَّمَاوَاتِ إِنْسَا
نٌ وَيَعْلُو بِهِ إِلَيْهَا ارْتِقَاءُ ؟
كَيْفَ يَطْوِي الْمَسَافَاتِ كَالْبَرْقِ
قِ وَتُخْفِي إِسْرَاءَهُ الظُّلُمَاءُ ؟
سَابِحًا فَوْقَ مَرْكَبٍ مِنْ ضِيَاءِ
تَتَوَارَى أَمَامَهُ الْأَضْوَاءُ
شَهِدَ الْكَوْنُ يَوْمَ مَسْرَاهُ عُرْسًا
لَمْ تُشَاهِدْهُ قَبْلَ ذَاكَ السَّمَاءُ !
زَعَمُوا أَنَّ رَبَّهُ قَدْ جَفَاهُ
وَتَخَلَّى عَنْ قَلْبِهِ الْإِيحَاءُ

فَدَعَاهُ رَبُّ السَّمَاءِ وَأَذْنًا
هُ إِلَيْهِ وَحَبَّذَا الإِدْنَاءُ
وَرَأَى مَا رَأَى بَعَيْنِي بَصِيرٍ
يَقِظُ قَدْ أُزِيحَ عَنْهُ الْغَطَاءُ
لَمْ يَكُنْ مَا رَأَهُ حُلُمًا وَلَا كَا
نَ افْتِرَاءَ كَمَا ادَّعَى الْأُدْعِيَاءُ
وَقَفْتُ حَوْلَهُ الْمَلَائِكُ ارْتَا
لَا وَصَلَّى مِنْ خَلْفِهِ الْأَنْبِيَاءُ
وَسَمَا وَالْأَمِينُ جِبْرِيلُ حَتَّى اُنْ
تَهَيَّا حَيْثُ لَا يَكُونُ انْتِهَاءُ !
وَتَلَقَّى أَوْامِرَ اللَّهِ تَكْلِيفًا
يُلْقَى لِفَاعِلِيهِ الْجَزَاءُ
فَتَعَالَى مَنْ لَيْسَ يُعْجِزُهُ شَيْ
ءٌ وَمَنْ لَيْسَ يَحْتَوِيهِ فَضَاءُ
يَغْرِفُ الْكُلُّ مَنْ نَدَاهُ وَيُذْنِي
مَنْ سَنَاهُ مَنْ يَصْطَفِي وَيَشَاءُ
رِحْلَةً لِلْحَبِيبِ فِي جُنْحِ لَيْلٍ
نَالَ فِيهَا الرِّضَى وَطَابَ اللِّقَاءُ !
وَأَفَاقَتْ قُرَيْشُ ذَاتَ صَبَاحٍ
بُعُيُونِ لَمْ يُجَلَّ عَنْهَا الْعَمَاءُ

أُنْكُرْتُ مَا رَأَى الرَّسُولُ وَظَنَّتْ
أَنَّهُ مِنْهُ لَوْثَةٌ وَادْعَاءُ
وَصَفَ الْعَيْرَ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهِمْ
وَبَعِيرًا لَهُمْ بِهِ سِمَاءُ
وَأَرَاهُمْ فِي الْقُدْسِ مَا قَدْ رَأَهُ
يَوْمَ أُسْرِى فَأَرْجَفَ الْأَشْقِيَاءُ
كَيْفَ تَرْضَى تَكْذِيبَهُ وَهُوَ مَنْ عَا
شَ أَمِينًا تَزْهُو بِهِ الْأَمْنَاءُ
مَثَلٌ فِي مَكَارِمِ الْخُلُقِ عَالٍ
لَا يُسَامَى وَقِمَّةٌ شَمَاءُ
مَنْ دَعَا لِلسَّلَامِ وَالْحُبِّ حَتَّى
أَمِنَتْ صَوْلَةَ الذُّنَابِ الشَّاءُ !
وَمَحَا بِالْإِسْلَامِ مَا كَانَ مِنْ بَغْ
يٍ وَمَيَزٍ تَحْيَا بِهِ الْأَقْوِيَاءُ
وَتَهَاوَتْ أَصْنَامُ مَكَّةَ صَرَعَى
وَتَوَارَتْ أَشْبَاحُهَا الشُّوَهَاءُ
وَأَعْتَلَى فَوْقَهَا بِلَالٌ فَأُمْسَتْ
وَلَهُ فِي بَطَاحِهَا أَصْدَاءُ !
طَهَّرَ اللَّهُ مِنْ دُمَاهَا ثَرَاهَا
وَأَعْتَلَى لِلتَّوْجِيدِ فِيهَا اللَّوَاءُ

يَا نَبِيَّ الْهُدَى وَيَا رَحْمَةَ اللَّهِ
الَّتِي يَحْتَمِي بِهَا الرَّحْمَاءُ
أَنْتَ طَوْقُ النِّجَاةِ فِي كُلِّ حَطْبٍ
يَعْتَرِينَا وَالْبَلْسَمُ الشِّفَاءُ
بِكَ قَامَتِ شَرِيعَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ
قِيَّ وَسَارَتْ بِهِدْيِكَ الْخُلَفَاءُ
وَجَدُوا الْأَمْنَ فِي ظِلَالِكَ وَالْعَدُوَّ
لَوْ وَعَاشُوا وَهُمْ جَمِيعاً سَوَاءُ
أَنْتَ مَنْ حَرَّرَ الْعُقُولَ وَاحِيَا
أُمَّةً لَمْ يَكُنْ بِهَا أَحْيَاءُ !
بِكِتَابٍ بَيَانُهُ أَخْرَسَ اللُّسُوفَ
مَنْ وَحْيَا إِعْجَازُهُ الْبُلْغَاءُ
كَانَ أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ وَأَجْدَى
مِنْ حُرُوبٍ تُرَاقُ فِيهَا الدِّمَاءُ !
قَدْ دَعَا بِالْحُسْنَى إِلَى اللَّهِ فَانْقَا
دَتِ نَفُوسٌ أَوْدَتِ بِهَا الْكِبْرِيَاءُ
وَتَفَشَّتْ شَرِيعَةُ الْغَابِ فَالْنَا
سُ ذِتَابٌ إِلَى الدِّمَاءِ ظِمَاءُ !
وَدَّعَ النَّاسُ حِقْبَةً وَبَدَّتْ فِيهِ
هِيَ بَنَاتٌ وَبِيعَ فِيهَا نِسَاءُ !

كُنْتُ كَالْغَيْثِ جَادَ وَأَحْيَا
 بَعْدَ مَوْتٍ فَاخْضَرَّتِ الْغُبُرَاءُ
 وَخَتَاماً مُبَارَكاً لِكِتَابٍ
 أَنْتَ فِيهِ الْإِكْلِيلُ وَالطُّغْرَاءُ
 تَتَوَالَى ذِكْرَاكَ وَالْقُدُسُ فِي الْقِيَمِ
 بِدَجْرِيحٍ يَحْتُلُّهُ الْغُرَبَاءُ
 يَتَمَنَّى يَوْمَ الْخَلَاصِ وَيَرْنُو
 لِفَيْدٍ خَطَّ نَهْجُهُ الشَّهَادَاءُ

* ● *

فَأَغِثْ أُمَّةً بِدِينِكَ تَحْيَا
 وَلَأَبْنَاءُهَا إِلَيْكَ انْتِمَاءُ
 ضَعُفَتْ بِالْخِلَافِ فَهِيَ شَتَاتٌ
 وَهُوَ فِي كُلِّ مَا تُعَانِي الدَّاءُ !
 يَأْمُجِيراً إِذَا الْأَحِبَّةُ جَارُوا
 وَصَدِيقاً إِنْ خَانَنَا الْأُصْدِقَاءُ ؟
 كَيْفَ نُثْنِي وَأَنْتَ مَنْ كَرَّمَ اللَّهُ
 وَوَأَفَاهُ مِنْ سَمَاهُ الثَّنَاءُ ؟
 فَسَلَامٌ عَلَيْكَ مَا حَلَّ عَيْدُ
 وَتَغْنَى بِمَجْدِكَ الشُّعْرَاءُ !

الدَّعْوَةُ

جَلَّ دَاعِي الْهُدَى وَجَلَّ النَّدَاءُ
قَدْ صَحَوْنَا وَانْجَابَ عَنَّا الْغَطَاءُ
وَأَفَاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا أُمَّةٌ لَمْ
يَكْ يَوْمًا مِنْ دَابَّهَا الْإِغْفَاءُ
أُيْقِظَتْهَا فَجَائِعٌ قَدْ تَوَالَتْ
نُذْرًا لَيْسَ مِنْ رَدَاهَا احْتِمَاءُ
حَمَلَتْ مَشْعَلَ الْهَدَايَةِ نُورًا
لِبَنِي الْأَرْضِ لَمْ يَنْلُهُ انْطِفَاءُ
وَبَنَتْ بِالْعِرْفَانِ وَالْعَدْلِ مَا لَمْ
يَبْنِيهِ فِي خَضَارَةِ بَنَاءٍ !
نَشَرَتْ فِي الْمَعْمُورِ أَلْوِيَةَ السَّلَا
مَ وَقَدْ سَادَ فِي بَنِيهِ الْعَدَاءُ
وَسَمَا بِالْإِسْلَامِ كُلِّ وَضِيعٍ
وَاعْتَنَى فِي ظِلَالِهِ الْفُقَرَاءُ
تَلَكَّمُوا أُمَّتِي الَّتِي أَحْيَتِ الْ—
غَرْبَ وَمَا فِي أَحْيَائِهِ أَحْيَاءُ !
يَعْرِفُ النَّاسُ مَنْ نَكُونُ إِذَا مَا
ذُكِرْتُ فِي الْمَخَافِلِ الْأَسْمَاءُ !

وَلَوْ أَنَّ الْفَخَّارَ جَاَزَ لِأَقْوَا

مٍ لَهَزَّتْ أَعْطَافُنَا الْخِيَلَاءُ !

* ● *

يَا دُعَاةَ الْإِسْلَامِ فِي مَوْكِبِ النُّو

رِ وَمَنْ انْتُمُّو لَهُ الْأَوْفِيَاءُ

أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَاخْتَفَى كُلُّ نَجْمٍ

وَبِكُمْ فِي دَيْجُورِهِ يُسْتَخْذَاءُ

لَيْسَ لِلدِّينِ مِنْ بَقَاءٍ إِذَا مَا

انْتَصَبَ الْجَهْلُ وَانْزَوَى الْعُلَمَاءُ !

ضَلَّ عَنْ نَهْجِهِ دُعَاةُ غُلَاةٍ

فِي مَفَاهِيمٍ شَرْعِيَّةٍ أَدْعِيَاءُ

لَيْسَ بِالسَّيْفِ قَامَتِ الشَّرَائِعُ لَكِنْ

رَحْمَةً قَدْ أَتَى بِهَا رُحَمَاءُ !

لَمْ تُرَوِّعْ شَيْخاً وَلَا أُمَّ طِفْلٍ

أَوْ تَحَرَّقَ بِنَارِهَا الْأَبْرِيَاءُ

* ● *

مَا دَهَانَا مِنَ الصَّلِيبِ وَأَهْلِيهِ

— هِ مَآسٍ لِلْمُسْلِمِينَ ابْتِلَاءُ

خَوْفُنَا مِنْ إِخْوَانِنَا عَمَقَ الْجُرِّ

حَ فَأَمْسَى إِخْوَانُنَا الْأَعْدَاءُ !

يَا زَمَانًا كُنَّا بِهِ سَادَةَ الْأَرْضِ

ضِ بِمَا نَبْتَغِيهِ يَجْرِي الْقَضَاءُ

ذِكْرُهُمْ فِي فَمِ الزَّمَانِ تَسَابِيحُ

حُ وَأَيَّامُ مَجْدِهِمْ طُغْرَاءُ

يَوْمَ كَانُوا لِلَّهِ وَالْحَقُّ دَانَتْ

لَهُمُ الْأَرْضُ بِرُحْمَا وَالْمَاءُ

لَمْ يَخَافُوا فِي اللَّهِ مَنْ لَمْ يَخَافُوا

هُ وَلَمْ تَنْحَرِفْ بِهِمْ أَهْوَاءُ

وَاسْتَقَامُوا فَقَوْمُوا كُلُّ مُعَوَجٍ

وَلَمْ تَقْتَتِنْ بِهِمْ غَوَغَاءُ

كَانَ لِلدِّينِ فِي النُّفُوسِ جَلَالُ

وَلَأَهْلِيهِ فِي الْقُلُوبِ بَهَاءُ

أَيْنَ مِنِّي حَوَارِيُّونَ كِرَامُ

لَمْ تُفَاخِرْ بِمِثْلِهِمْ حَوَاءُ !

نَاضَلُوا عَنْ حِمَى الْعَقِيدَةِ فِي لَيْ

لٍ بِهِمْ لَمْ يَبْدُ فِيهِهِ ضِيَاءُ

وَالطَّوَاعِيتُ الضَّلَالَاتِ عَاشَتْ

سَرَطَانًا لَمْ يَقْتُلْعَهُ دَوَاءُ

أَمْرَاءُ بِلَا عُرُوشٍ لَهُمْ تَعَا

نُوا النَّوَاصِي وَتَنَحَّنِي الرُّؤْسَاءُ !

أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّزْمُوا نَهْـ

جَ نَبِي سَبِيلُهُ وَضَاءُ

رُوحُهُ الْيُسْرُ وَالسَّمَاحَةُ وَالْعَفْـ

وُ إِذَا تَابَ وَارْعَوَى الْخَطَاءُ

رَفَعُوا السَّيْفَ مِثْلَمَا رَفَعُوا الْمِغْـ

وَلْ بَعْضُ لِبَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ

لَمْ يُمِتْ دِينَهُمْ تَشَدُّدُ غَالِ

أَوْ يَقْدَهُمْ إِلَى الْجِهَادِ رِيَاءُ

بَارَكَ اللَّهُ فِي دُعَاةٍ وَعَاةٍ

كَانَ لِلَّهِ صُبْحُهُمْ وَالْمَسَاءُ

لَمْ يَنَالُوا بِأَمْوَالٍ مَجْدًا وَلَكِنْ

فِي مَبَادِيهِمُ الْغِنَى وَالْثَّرَاءُ

دَعْوَةٌ قَادَهَا الرِّجَالُ وَلَمْ تَقْـ

عُدَّ عَنِ السَّيْرِ فِي هُدَاهَا النِّسَاءُ !

فَتَجَلَّتْ بِنُورِهَا تَغْمُرُ الْكُوْـ

نَ مُضِيئًا كَمَا تُضِيْ ذُكَاؤُ

بَيْنَ يَوْمِي وَبَيْنَ أَمْسِي جِرَاحُ

عَمَقْتُهَا الْأَحْقَادُ وَالشَّحْنَاءُ

وَسُيُوفٌ لِأَهْلِنَا ظَامِمَاتُ

لِدِمَاهَا وَمَا لَهَا إِرْوَاءُ !

يَتَنَادُونَ لِلْعِنَاقِ وَأَيْدِي—

هَم سَيْوْفٌ قَدْ لَطَخَتْهَا الدِّمَاءُ !

يَاضِيَاعَ الْإِسْلَامِ لَوْ ضَاعَ أَهْلُو

هُ وَقَادَتِ سَفِينَةَ الْأَهْوَاءِ !

وَتَوَلَّى شُؤُونَهُ كُلَّ أَعْمَى

ضَلَّلَتْهُ بَصِيرَةٌ عَمِيَاءُ !

فَإِذَا الْحَمْسُ مِنْ بَنِيهِ يَتَامَى

وَالْغِيَارَى فِي دِينِهِمْ غُرَبَاءُ !

* ● *

يَا رِيَّاحَ الْإِسْلَامِ هُبِّي فَقَدْ طَا

لَ انْتِظَارِي وَطَالَ ذَاكَ اللَّقَاءُ

هَلْ أَرَى الْمَاضِيَ الْمَجِيدَ وَقَدْ عَا

دَ لِيَعْلُو فِي الْمُسْلِمِينَ اللَّوَاءُ ؟!

عَائِدًا فِي صَفَائِهِ مِثْلَمَا جَا

ءَ وَجَاءَتْ بِهِدْيِهِ الْأَنْبِيَاءُ

وَأَرَى الْمُسْلِمِينَ كَالْجَسَدِ الْوَ

حِدِ هُمْ فِي بُنْيَانِهِ أَعْضَاءُ

وَعَلَى الدَّرْبِ سَائِرُونَ إِلَى اللَّهِ

وَفِي الْقَلْبِ وَالشَّفَاهِ نِدَاءُ

يَتَعَالَى : اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ

كَبِيرٍ تَقَالُوهُ الْغَبَرَاءُ

لَيْسَ مِنْ خَالِقِ سِوَاهُ وَلَا لِلَّ

خَلْقِ إِلَّا هُ أَمَرُ نَهَاءُ

يَاسِرَايَا السَّلَامِ فِي مَوْكِبِ الْإِيْمِ

مَنْ صَبْرًا فَلِلصَّبْرِ الْجَزَاءُ

هِيَ لِلَّهِ رَحْلَةٌ هَانَ فِيهَا

كُلُّ صَعْبٍ وَخَفَّتِ الْأَعْبَاءُ



مَجَالِسُ النُّورِ

يَاخَيْرَ مَنْ شَبَّ فِي الْإِسْلَامِ وَاکْتَهَلَ
وَمَنْ بِهِ عِزَّنَا فِي الْمَغْرِبِ اكْتَمَلَ
هَٰذِي رِحَابُكَ فِرْدَوْسٌ مُنَوَّرَةٌ
وَمُنْتَدَى بِنُجُومِ الْفِكْرِ قَدْ حَفَلَ
حَبَّتْ إِلَيْكَ وَفُودُ الْعِلْمِ شَائِقَةٌ
إِلَى مَشْوَاقِ إِلَيْهَا يُنْعِشُ الْأَمَلَ
تُعِيدُ لِلْسُنَّةِ الْغُرَاءَ دَوْلَتَهَا
وَتَسْتَرِدُّ لَهَا أَمْجَادَهَا الْأَوَّلَا
أَرْضَيْتَ طَهَ وَقَدْ أَحْيَيْتَ سُنَّتَهُ
وَنِلْتَ أَجَرَ الَّذِي أَحْيَا وَمَنْ عَمِلَا
أَبْدَعْتَهَا سُنَّةً عَاشَتْ بِهَا سُنَنٌ
لِبَسْنِ مَنْ آفَةِ النَّسْيَانِ ثَوْبَ بَلَى !
نَفَضْتَ عَنْهَا غُبَاراً كَادَ يَحْجُبُهَا
وَاسْتَرْجَعْتَ عَهْدَهَا الزَّاهِي الَّذِي وَصَلَا
رَفَعْتَ أَقْدَارَ أَهْلِ الْعِلْمِ فَارْتَفَعَتْ
عَلَى مَنَابِرَ كَانَتْ قَبْلَكُمْ طَالَا !
وَعَانَقَتْ فِيكَ مِنْهَا جَاءً وَمَدْرَسَةً
تُزِيحُ عَنْ جَوْهَرِ الْإِسْلَامِ مَا انْتَجَلَا

رَأَيْتُ فِيهَا عُكَازاً وَهِيَ جَامِعَةٌ
لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا دَعْوَى وَلَا جَدَلًا
وَإِنَّمَا رَوْضَةٌ تَشْدُو بِأَلْبُلْهَا
أَشْجَى اللَّحُونِ بِمَا يُرْوَى وَمَا نَزَلًا
مِنْ آيَةٍ أَحْكَمَتْ أَوْ سُنَّةٍ حُمِلَتْ
يَشُدُّهَا نَسَبٌ بِالْمُصْطَفَى اتِّصَالًا
كَأَنَّ بَغْدَادَ تَحْيَا فِي مَجَالِسِهَا
وَمَا لِكَا جَاءَ يَرْوِي بَعْضَ مَا نَقَلَا !
تُصْغِي الْمَلَائِكُ فِيهَا وَهِيَ خَاشِعَةٌ
تَلْقِي عَلَى الْحَفْلِ مِنْ أَنْوَارِهَا ظِلًّا
يَسْرِي صَدَاهَا إِلَى الدُّنْيَا فَيَنْعِشُهَا
وَيَفْضَحُ الْمَسْخُ مَا تَمْلِيهِ وَالِدَجَلَا



قَدْ رَشَحْتَكَ الْمَعَالِي أَنْ تَكُونَ لَهَا
وَلَمْ تَجِدْ لَكَ فِيمَنْ حَوْلَهَا بَدَلًا
لَمْ تَنْفُطِمِ عَنْ لِبَانٍ كُنْتَ رَاضِعُهَا
وَلَمْ تَكُنْ عَاشِقًا بَعْدَ الْوِصَالِ سَلَا
وَبَوَاتَكَ عُلاَهَا فَاسْتَرَحْتَ لَهَا
وَلَمْ تَجِدْ قَطُّ فِي مَرْضَاتِهَا مَلَا

غَذَّتْكَ بِالْعِلْمِ حَتَّى صِرْتَ زِينَتَهُ
وَكُنَّ قَبْلَكَ مِنْهَا جَيْدُهُ عَطِلاً !
تَرْهُوَ الْمَحَافِلُ إِذْ تَعْلُو مَنَابِرَهَا
كَأَنَّمَا أَنْتَ سَحْبَانٌ أَوْ ابْنُ جَلَا !
وَيَشْتَهِي النَّاسُ لَوْ كَانَتْ جَوَارِحُهُمْ
مَسَامِعاً أَوْ غَدَتِ أَعْضَاؤُهُمْ مَقَالاً !
لِيَسْمَعُوا الدَّرَ مِنْ أَعْلَى مُنْضِدِهِ
وَيُبْصِرُوا الْمَجْدَ مَحْفُوفاً بِخَيْرِ مَلَا
إِشْرَاقُ فِكْرِكَ يَجْلُو كُلَّ مُعْضَلَةٍ
وَيَسْتَضِيئُ بِهِ مَنْ أَخْطَأَ السُّبُلَا
كَمْ وَاجَهَتَكَ الْعَوَادِي وَهِيَ كَالِحَةٌ
فَلَمْ تَخْفَكَ وَكُنْتَ الْمُلْهَمَ الْبَطْلَا !
عَلَّمْتَ مَنْ سَاسَ أَنَّ الْحُكْمَ مَدْرَسَةٌ
وَأَنَّ مَنْ حَكَّمُوا قَدْ أَشْبَهُوا الرُّسُلَا !
أَمَانَةٌ فِي يَدَي حَامٍ وَمُؤْتَمَنٌ
مَا نَامَ عَنْ حَقِّهَا يَوْماً وَلَا غَفَلَا
أَكْبَرْتُ فِيكَ طُمُوحاً لِأَحْدُودَ لَهُ
سَيَانَ عِنْدَكَ مَا أَعْيَا وَمَا سَهَّلَا
فَبَارَكَ اللَّهُ مِنْ رَبِّي وَمَنْ غَرَسَتْ
يَدَاهُ غَرْساً سَقَيْنَاهُ فَمَا ذَ بُلَا !

سِوَاكَ يَسْعَى إِلَى أَمَالِهِ وَجِلًّا
يَمْشِي الْهُوَيْنَى وَتَمْشِي لِلْعُلَا عَجَلًا !
جَلَّتْ أَيْادِيكَ أَنْ تُحْصَى بِمَلْحَمَةٍ
أَوْ أَنْ يُوشَّحَ فِيهَا شَاعِرٌ زَجَلًا
وَجَدْتُ فِيكَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ
وَمَنْ يَجِدُ مَوْرِدًا مُسْتَعْذِبًا نَهَلًا
أَنْتَ الَّذِي صَنَعَ الْحُسَّادَ فِي وَطَنِي
فَأَغْمَضُوا أَعْيُنًا مِمَّا رَأَوْا خَجَلًا !
قَدْ رَاعَهُمْ فِيهِ مَا قَدْ شَدَّتْ مِنْ نُصْبٍ
وَمُعْجَزَاتٍ تَعُمُّ السَّهْلَ وَالْجَبَالَ
بِمَا تُؤَسِّسُ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ قِيمٍ
أَطْلَقْتَ كُلَّ لِسَانٍ كَانَ مُعْتَقَلًا
مَا كَانَ لِلَّهِ لَمْ تُقْصَمِ أَوَاصِرُهُ
وَمَا يُرَى لِسِوَاهُ انْحَلَّ وَانْفَصَلَ !



يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ ! مَا أَسْنَاكَ مَنْزِلَةً
وَمَا أَجَلَ كِتَابًا فِيكَ قَدْ نَزَلَا !
قَدْ قُمْتَ فِيهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا
عَوْدَتْنَا ضَارِعًا لِلَّهِ مُبْتَهِلًا

وَمِنْ وَرَاكَ شَيْءٌ وَخُ الْعِلْمِ دَاعِيَةٌ
مَنْ يَسْتَجِيبُ لِمُضْطَرٍ إِذَا سُئِلَ
أَنْتَ الضَّمَانُ لِهَذَا الشَّعْبِ تَمْنَحُهُ
أَمْنًا يُجَنِّبُهُ فِي سَيْرِهِ الزَّلَالَ
وَرَأَيْدٌ صَادِقُ الرُّؤْيَا تُحْسُ بِمَا
يَشْكُو وَأَنْتَ الَّذِي يَسْتَأْصِلُ الْعَلَا
وَدُمُ لَأَمْتِنَا الْكُبْرَى فَأَنْتَ لَهَا
أَبُّ نَصُوحٍ إِذَا مَا خَاذِلٌ خَذَلَا
لَمْ أَمْتَدِحْكَ فَضُوءُ الشَّمْسِ فِي وَهَجٍ
لَمْ يَخَفَ عَمَّنْ لَهُ عَيْنَانِ أَوْ أَفَلَا !
وَالشَّعْرُ لَغَوٌّ إِذَا لَمْ يَدْعُ قَائِلُهُ
إِلَى كَمَالٍ وَلَمْ يُلْهَجْ بِمَا كُمَلَا !
وَلَا حَظَّتْكَ عُيُونُ اللَّهِ سَاهِرَةً
مَا حَلَّ مَوَكِبُكَ الْمَيْمُونُ وَارْتَحَلَا
وَعَاشَ شِبْلَاكَ فِي نُعْمَى وَفِي رَغْدٍ
وَالْبَسَا مِنْ رَضَى رَاعِيهِمَا حُلَا
وَعِشْتَ حَتَّى تَرَى عَيْنَاكَ مَارْفَعَتِ
يَدَاكَ مِنْ قِمَمٍ قَدْ طَالَ وَاکْتَمَلَا !

لَيْلَةُ السَّلَامِ

عَادَ لِلشَّدْوِ. وَهُوَ عَوْدٌ حَمِيدٌ
طَائِرٌ فِي رِيَاضِكُمْ غَرِيدٌ !
عَادَ بِالشَّعْرِ كَيْ يُرَدِّدَ مَا لَمْ
يُئْلِهِ فِي شِفَاهِنَا التَّرْدِيدُ !
لَحْنُهُ فِي فَمِ الزَّمَانِ زَغَارِيـ
دٌ وَفِي مِلءِ مَسْمَعِيهِ نَشِيدٌ
سَابِحاً فِي سَنَاكَ وَهُوَ فَضَاءٌ
لَيْسَ لِلْسَّابِحِينَ فِيهِ حُدُودٌ !
أَنْتَ أَلْهَمْتَهُ وَلَوْلَاكَ مَا كَا
نَ سَيْشَدُو بِرَوْضِكُمْ أَوْ يُجِيدُ !
وَشُدَاةُ الْقَرِيضِ تَخْرُسُ كَالطَّيِّـ
رِ إِذَا لَمْ يُتَحَ لَهَا تَغْرِيدٌ !
رَاعَهُ مِنْكَ مَا تَشِيدُ وَتُحْيِي
مِنْ تَلِيدٍ يَغَارُ مِنْهُ الْجَدِيدُ !
فِي سَبَاقٍ مَعَ الزَّمَانِ وَشَوْقٍ
لِلْمَعَالِي تَضِيقُ عَنْهُ الْجُهُودُ !
مُنْجَزَاتٌ وَمُنْشَاتٌ وَصَرْحٌ
كُلُّ يَوْمٍ مُدَعِّمٌ وَمَشِيدٌ

وَصَحَارٍ جَرْدَاءُ أَصْبَحْنَ جَنَّا
تِ وَوَاحاً تَفُوحُ فِيهَا الْوُرُودُ !
وَرِيَاضُ الْعِلْمِ فِيهَا عُقُولُ
وَإِعْدَاتُ عَطَاؤِهَا مَوْعُودُ
تَتَحَدَّى الْخُطُوبَ بِالْعَزْمِ وَالْفِكْرِ
وَيَذْنُو مِنْكَ الْقَصِيَّ الْبَعِيدُ !
فِي سَمَاءِ الْعُلَا نَجُومٌ وَلَكِنْ
أَنْتَ فِيهَا نَجْمُ الْمَعَالِي الْفَرِيدُ !
لَا يَمَارِي فِيمَا تُخَطُّ لِلْأَجْبِ—
يَالِ إِلَّا مَكَابِرُ أَوْ جُودُ !
وَأَرَى الشَّمْسَ فِي غِنَى عَنْ عِيُونِ
لَا تَرَاهَا كَمَا يَرَاهَا الْوُجُودُ !
كَلَّمَا اغْتَاظَ حَاسِدُوكَ رَأَيْنَا
وَاهِبَ الْمُلْكَ فِي عَطَاكَ يَزِيدُ !

* ● *

مَا أَرَى فِي مَجَالِسِ النُّورِ إِلَّا
عَرَفَاتٍ تَسْعَى إِلَيْهَا الْوُفُودُ !
ظَامِمَاتٍ إِلَى مَنَاهِلٍ كَمْ يَعِ—
ذُبُّ فِيهَا لِلْوَارِدِينَ الْوُرُودُ !

خَاشِعَاتٍ لِلَّهِ يَشْغُلُهَا الْحَمْدُ
سُدُّ وَيُحْيِي أَنْفَاسَهَا التَّمَجِيدُ
مُصْغِيَاتٍ إِلَى أَحَادِيثِ طَه
وَهِيَ دُرٌّ بَيْنَ الشَّفَاهِ نَضِيدُ
أَنْتَ أَحْيَيْتَهَا وَأَعْلَيْتَ أَقْدَا
رَ ذَوِيهَا، وَأَنْتَ نِعَمَ الْحَفِيدُ
فَاسْتَعَادَتْ رُوءَاهَا وَسَنَاهَا
وَتَجَلَّى جَلَالُهَا الْمَعْهُودُ
شِئْتَهَا صَحْوَةٌ وَبَعْثًا فَكَانَتْ
يَقْظَةً لَيْسَ مِنْ وَرَاهَا رُقُودُ !
لَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ بَعْدُو فِي الْمَغْدُ
حَرْبٍ هَادٍ إِلَى الْفَلَاحِ يَقُودُ !
وَمَنْارٌ أَضَاءَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
مَا لِدَاعٍ لِلَّهِ عَنْهُ مَحِيدُ
بُورِكَتٍ لَيْلَةٌ تَنْزَلَ فِيهَا
بِالْهُدَى وَالتَّقَى كِتَابٌ مَجِيدُ
قُؤْمَتْ فِيهَا مُصَايَا تَتَحَرَّى
لَحَظَاتٍ يَطِيبُ فِيهَا السُّجُودُ !
وَوَرَاكُمُ شُيُوخُ عِلْمٍ عَلَى مَا
قَدْ بَدَلْتُمْ مِنَ الْجُهُودِ شُهُودُ !

ضَاقَ عَنْكَ الْبَيَانُ وَهُوَ فَضَاءٌ
جِدُّ رَحْبٍ وَإِرْتِدَّ عَنْكَ الْمَجِيدُ
أَنْتَ دُنْيَا مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لِلشَّ
غَرِّ مَرْقَى لِأُوجْهَهَا أَوْ صُعُودُ !
شَيْمِ الْمُلْكِ مِنْ أَرْوَمَةِ أَبَاءِ
كَرَامٍ قَدْ أَوْرَثَتْهَا الْجُدُودُ
مَنْ أَقَامُوا عَلَى الْخِيُولِ عُرُوشاً
ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ عَلَيْهَا قُعُودُ !
وَطَنِي لَوْ كُنْتُ تَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ
هِيَ كَانَتْ بِلَادَكَ الْمَعْبُودُ !
مَا عَرَفْنَاكَ فِي الْمَوَاقِفِ إِلَّا
بَطَلاً عَنْ قَرَارِهِ لَا يَحِيدُ !
خَيْرَ مَنْ قَادَ لِلْعِظَائِمِ شُعْباً
هُوَ فِي الْمُكْرَمَاتِ نِعَمَ الْمُقُودُ !
لَمْ تُخَفِكَ الْأَهْوَالُ يَوْمَ اكْفَهَرَتْ
وَتَخَلَّى عَنْ خَوْضِهَا الرُّعْدُودُ !
ثَوْرَةٌ قَادَهَا أَبُوكُمْ فَشَبَّتْ
وَدَمُ الشَّعْبِ فِي لَظَاهَا وَقُودُ !
زَمَجَرَتْ كَالرُّعُودِ فِي كُلِّ أَفْقٍ
وَرَوَّاسِي الْجِبَالِ مِنْهَا تَمِيدُ !

عَلَّمَ الْجَالِسِينَ فَوْقَ عُرُوشٍ

أَنْ يُضَحُّوا بِعِزِّهَا وَيَجُودُوا !

عَلَّمَ الْحَاكِمِينَ كَيْفَ يَصِيرُ الـ

حُكْمُ حُبًّا وَكَيْفَ تُرْعَى الْعُهُودُ !

يَوْمَ عَادَ الْعَظِيمُ فُكَّتْ عَنِ الشَّعْـ

بِ الْمَعْنَى سَلَّاسِلُ وَقُيُودُ

رَفَعَ الرَّأْسَ عَالِيًا بَعْدَ مَا كَانَ

يُعَانِي مِمَّا تُعَانِي الْعَبِيدُ !

وَإِذَا الشَّعْبُ بَعْدَ عَهْدٍ مِنَ الْحِجـ

رِ طَلِيقٌ وَسَيِّدٌ لَأُمْسُودُ

أَلْبَسَتْهُ يَدَاكَ مِنْ حُلَلِ الْعِزِّ

بُرُودًا وَجَلَّلَتْهُ السُّعُودُ

فَاسْتَعَادَ الصَّحْرَاءَ وَاقْتَحَمَ الْوَهْـ

مَ فَوَلَّى الْعِدَى وَغِيظَ الْحَسُودُ !

وَحَمَاهَا مِنَ الْخَوَارِجِ أُسْدٌ

أَيْنَ مِنْهَا فِي الْغَابِ تِلْكَ الْأَسُودُ !

أَشْرَبَتْ حُبَّ أَرْضِهَا وَهِيَ فِي الْغَيْـ

بِ وَلَمْ يَسْلُ شَيْخُهَا وَالْوَلِيدُ

ضَرَجَتْ رَمْلَهَا بِأَزْكَى دِمَاءِ

لَمْ تُخْضَبْ بِمِثْلِهَا قَبْلُ بِيَدٍ !

وَأَنْجَلِي لَيْلَ أَجْنَبِي دَخِيلٍ
 وَتَوَلَّتْ أَيَّامُهُ وَهِيَ سُودُ !
 فَغَبِي مَنْ يَنْطَحُ الصَّخْرَ كَالْوَعِ
 لِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّهُ جُلْمُودُ !
 وَإِذَا اعْتَلَّتِ النَّفُوسُ فَلَا طِبُّ
 حَكِيمٍ وَلَا عِلاجٍ يُفِيدُ !

* ● *

يَا سَلِيلَ الْأَبَاةِ دَامَ لَكَ الْمَجْدُ
 كَمَا نَرْتَجِي وَطَابَ الْعِيدُ
 وَهَنِيئاً بِالْغَيْثِ بَعْدَ جَفَافٍ
 مَاتَ فِيهِ الثَّرَى وَجَفَّ الْعُودُ !
 عِشْتَ لِلدِّينِ وَالْعُرُوبَةِ حَتَّى
 يَبْلُغَا فِي ظِلَالِكُم مَّا تُرِيدُ
 وَسَلَامٌ عَلَى أَبِيكَ الَّذِي لَمْ
 يُجْزِهِ عَنْ فِدَاهُ إِلَّا الْخُلُودُ
 رَاتِعاً فِي جَنَانِهِ الْخُضِرَ مُرْتَاً
 حَاً رَضِيئاً بِمَا يَنَالُ الشَّهِيدُ
 وَرَعَى اللَّهُ الْفَرَقْدِينَ وَعُمَرَ
 لَكَ - يَا سَيِّدَ الْبِلَادِ - مَدِيدُ !

المحرم

وَأَضَاءَ فِيهِ جَمَالُهُ وَجَلَالُهُ
مُتَجَوِّلٌ لَا يَنْتَهِي تَرْحَالُهُ
تَطْوِي الْحَيَاةَ وَعُمُرُنَا أَرْتَالُهُ
وَلَسَوْفَ تَأْتِي بَعْدَهُ أُمَثَالُهُ
كُلُّ الْقُلُوبِ وَيُرْتَجَى إِقْبَالُهُ
عَصَفَتْ بِنَا فِي بَحْرِهِ أَهْوَالُهُ ؟
وَيَمِيدُ فِيهِ جَنُوبُهُ وَشَمَالُهُ
يَشْقَى عَلَى يَدِهِم بِهِ جُهَالُهُ !
وَالجَائِرُ السَّقَاحُ فِيهِ رِجَالُهُ !
أُمْنًا، وَلَا سَعِدَتْ بِهِ أَجْيَالُهُ
وَكَاثِمًا هُوَ شَخْصُهُ وَمِثَالُهُ !
أَقْوَالُهُ، وَتَزَكَّهَا أَفْعَالُهُ !
وَتُصَفَّقُ الْأَيْدِي لِمَنْ يَغْتَالُهُ ؟
وَيُدَاسُ مَسْجِدُهُ، وَيُنْهَبُ مَالُهُ
وَيَسْرُّهَا أَنْ تَنْطَوِي أَجَالُهُ !

هَذَا الْمُحَرَّمُ قَدْ أَطْلَّ هِلَالُهُ
عَبَرَ الزَّمَانَ مَرَاجِلًا وَكَأَنَّهُ
فَلَكَ يَدُورُ بِنَا وَيُسْرِعُ لَاهِثًا
عَامٌ مَضَى وَآتَى جَدِيدٌ بَعْدَهُ
مَرَحَى بِوَافِئِنَا الَّذِي تَهْفُو لَهُ
مَاذَا حَمَلَتْ لِعَالَمٍ مُتَقَلِّبٍ
يَهْتَزُّ كَالْبُرْكَانِ فِي هَيْجَانِهِ
وَيَقُودُهُ الْعُلَمَاءُ لِلْمَوْتِ الَّذِي
وَنَنْتُ نَحْنُ مِنَ الزَّمَانِ وَجَوْرِهِ
وَلَى الْقَدِيمِ وَلَمْ يُحَقِّقْ عَهْدُهُ
وَآتَى الْجَدِيدُ يُعِيدُ سِيرَةَ مَنْ مَضَى
لَاخِيرَ فِي دَاعٍ إِذَا لَمْ يَحْتَرِمِ
أَيُّمُوتُ طِفْلٌ فِي نِظَامٍ عَادِلٍ
أَيَعِيشُ شَعْبٌ فِي الْخِيَامِ مُشَرِّدًا
وَحُمَاهُ هَذَا الْعَهْدِ تَرْقُبُ مَوْتَهُ

— *

* —

يَا وَافِدًا مَاذَا حَمَلْتَ لِعَالَمِ
الْحُرِّ فِيهِ مُطَارِدٌ لَا يَنْتَهِي
حَقُّ بَأْسٍ يَشْقَى لِيُسْعِدَ غَيْرَهُ
وَبَأْسٌ يَعِيشُ مُقْرَمًا فِي قُمْقُمٍ
وَالشَّرْقُ يَمْتَصُّ الْجِرَاحَ وَيَشْتَكِي
مُتَمَرِّقٌ وَخُصُومُهُ فِي خَنْدَقٍ
قَدْ كَانَ يَحْطُبُ وَدَّهُ وَيَخَافُهُ
وَمَنَارَةٌ لِلْعِلْمِ وَاضِحَةٌ الْهُدَى
مَجْدٌ إِذَا مَا أَنْكَرُوهُ فَهَذِهِ

* —

ذَكَرْتَنِي يَا وَافِدًا عَهْدًا مَضَى
يَسْرِي إِلَيَّ شَذَاهُ مِنْ أَرْضِ الْهُدَى
مُذْ هَرَّ يَثْرِبَ حَادِثٌ لَمَّا يَزَلُ
بَرَزْتَ مَوَاكِبَهَا تُعَانِقُ وَافِدًا
غَنَّتْ مَوَاكِبُهَا لَهُ أَلْحَانَهَا
وَارْتَادَ رَاعِيهَا الرِّمَالُ فَرَاعَهُ
وَزَكَتْ شَمَارِيخُ النَّخِيلِ وَبُورِكَتْ
فَكَأَنَّمَا حَلَّ الرَّبِيعُ بِثَرِبٍ
وَبَنَى بِهَا لِلَّهِ مَسْجِدَهُ الَّذِي
دَوَى صَدَاهُ مُجَلْجَلًا فِي وَاحِهَا

مُتَطَّلِعٌ لَمْ تَسْتَقِمِ أَحْوَالُهُ ؟
- وَإِنْ انْحَنَى - لِمُذْلِهِ إِذْ لَالُهُ
وَبَأْسٌ تَدُومَ وَإِنْ أَبَى أَغْلَالُهُ
تُحْصَى عَلَيْهِ كُنُوزُهُ وَغِلَالُهُ
مِنْ فُرْقَةٍ وَهَنْتَ بِهَا أَوْصَالُهُ
وَالْخُلْفُ دَاءٌ لَا يَزُولُ عُضَالُهُ
مَنْ خَاصَمُوهُ وَلَا يُطَاقُ نِزَالُهُ
فِي عَالَمٍ غَطَّى عَلَيْهِ ضَالَالُهُ
فِي كُلِّ أَرْضٍ - حَيَّةٌ أَطْلَالُهُ

* —

مُتَأَلِّقًا رَفَّتَ عَلَيَّ ظِلَالُهُ
عَبَقًا وَنُورًا فِي الْفُؤَادِ مَجَالُهُ
مِلءَ الْقُلُوبِ وَفِي الْعُيُونِ خِيَالُهُ
لِلَّهِ هَجَرَتُهُ، وَفِيهِ نِضَالُهُ
طَرِبًا، وَطَيَّبَتِ التُّرَابَ رِحَالُهُ
مَنْ حَوْلِهِ مَا أَنْبَتَتْهُ رِمَالُهُ
بِقُدُومِ مَنْ أَحْيَا الْوَرَى إِرْسَالُهُ
وَاخْتَالَ فِي أَعْرَاسِهَا مُخْتَالُهُ
أَعْلَى نِدَاءِ اللَّهِ فِيهِ بِلَالُهُ !
وَأَنْسَابَ فِي أَعْمَاقِهَا إِجْلَالُهُ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ فِي الْمَآذِنِ صِيحَةً
وَتَقَاطَرَتْ سُورُ الْكِتَابِ بِبِثْرِبٍ
وَتَعَانَقَتْ فِيهَا قُلُوبٌ طَالِمًا
خَسِيَّ الْيَهُودُ بِبِثْرِبٍ لَمَّا رَأَوْا
نَذَرُوا لِنُصْرَةِ دِينِهِ أَرْوَاحَهُمْ
يَقْفُونَ فِي الْأَسْحَارِ خَلْفَ مُحَمَّدٍ
وَبَدَا الْبِنَاءُ لِدَوْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ
فَتَفْتَحَتْ أَبْوَابُ مَكَّةَ وَانْحَنَتْ
وَالدِّينُ يُسَرُّ لَا التِّرَامُ مُرْهَقٌ
وَالنَّاسُ إِخْوَانٌ سَوَاسِيَّةٌ بِمَا
بِالْحُبِّ جَاءَ، وَبِالْعَدَالَةِ وَالتَّقَى
وَمَضَى وَقَدْ أَرْسَى قَوَاعِدَ دَوْلَةٍ

* —

مَا كُنْتُ إِلَّا مَنَحَةً مِنْ رَبِّنَا
بَلَغْتَ أَمْرَ اللَّهِ غَيْرَ مُقْصِرٍ
وَنُصِرْتَ بِالرُّعْبِ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ
فِيكَ الْمَدِيحُ يَطِيبُ إِلَّا أَنَّهُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ بِفَمِي وَشِعْرِي فَهُوَ فِي
يَهْنِي فُؤَادِي أَنَّهُ بِكَ مُومِنٌ
فَاضْرَعُ لِرَبِّكَ أَنْ يَمُنَّ بِتَوْبَةٍ

لِلشِّرْكِ تَعْلُنُ أَنَّهَا زَلْزَالَةٌ !
وَجَرَى عَلَى الْهَادِي بِهِ إِنْزَالُهُ
اِحْتَدَمَ الْعَدَاءُ بِهَا وَثَارَ جِدَالُهُ
فِيهَا النَّبِيُّ وَحَوْلَهُ أَشْبَالُهُ
فَهُمُّو دُرُوعُ مُحَمَّدٍ وَنِصَالُهُ !
صَفَاءً، وَتَجْمَعُهُمْ بِهِ أَصَالُهُ
مُثْلَى، وَقُدِرَ لِلْبِنَاءِ كَمَالُهُ
أَصْنَامُ شِرْكِ وَأَنْطَوَتْ أَقْيَالُهُ
تُوذِّي النُّفُوسَ إِذَا اهْتَدَتْ أَثْقَالُهُ
يَدْعُو إِلَيْهِ حَرَامُهُ وَحَلَالُهُ
وَلِمَبْدِ التَّوْحِيدِ كَانَ قِتَالُهُ
كَانَ الْمُضِيِّ لِنَهْجِهَا أَعْمَالُهُ

— *

لِيرَى الطَّرِيقَ إِلَى الْهُدَى ضَلَالُهُ
وَفَتَحَتْ مَا قَدْ أَغْلَقَتْ أَقْفَالُهُ
فَكَفَيْتَ مَا بِالسَّيْفِ كُنْتَ تَنَالُهُ
يَدْنُو إِلَيْكَ فَتَسْتَحْيِ أَرْجَالُهُ
قَلْبِي هَوًى مُتَدَفِّقٌ شَلَالُهُ
وَعَلَى يَدَيْكَ سَتَنْتَهِي أَوْجَالُهُ
تُنْجِي فَإِنَّكَ مَنْ يُجَابُ سُؤَالُهُ

وَأَشْفَعُ فَإِنَّكَ مَنْ تُشَفِّعَ يَوْمَ لَا
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِهِ

* —

لَا يَفْدِي الْغَنِيِّ إِذَا افْتَدَى أَمْوَالُهُ
وَجَزَاكَ مَا تُجْزَى بِهِ أَرْسَالُهُ

— *

يَا وَافِدَ الْخَيْرِ ! الَّذِي نَهَفُوا لَهُ
لَا يَأْسُ فِي هَذِي الْحَيَاةِ لَكَائِنْ

مُتَطَلِّعِينَ، مَتَى يَحِينُ مَنَالُهُ ؟
مَا لَمْ تَمُتْ فِي قَلْبِهِ أَمَالُهُ !

المَطْهَرُ

وَاقَى هَلَالُكَ غُرَّةَ الْأَزْمَانِ
يَخْتَالُ بَيْنَ مَوَاكِبِ الْإِيمَانِ
وَاقَى هَلَالُكَ فِي غَلَائِلِ نُورِهِ
مُتَوَهِّجاً فِي أَفْقِهِ الْمُزْدَانِ
نَفَحَاتُ قُدْسٍ لَمْ تَزَلْ فُوَاحَةً
بَعْبِيرُهَا فِي أُمَّةِ الْقُرْآنِ
بِالطُّهْرِ يَنْضَحُ وَالْهِدَايَةِ مَوْسِمُ
لِلْخَيْرِ يَحْمِلُهُ إِلَى الْأَكْوَانِ
شَدُّوا إِلَيْكَ عُيُونَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
وَتَرَقَّبُواكَ تَرَقَّبَ اللَّهْفَانِ
وَرَنْتَ إِلَيْكَ جُمُوعُهُمْ مُشْتَاقَةً
تَلَقَّاكَ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَحْضَانِ
دَقُّوا الطُّبُولَ وَزَغَرَدُوا لَمَّا رَأَوْا
إِطْلَالََةَ قَرَّتْ بِهَا الْعَيْنَانِ
لَمَّا رَأَوْكَ عَلَى الْمَآذِنِ كَبَّرُوا
مُسْتَبْشِرِينَ بِمَوْسِمِ الْغُفْرَانِ
فِي كُلِّ بَيْتٍ فَرَحَةٌ وَبَشَائِرُ
مِلَّةِ الْقُلُوبِ وَمِلَّةِ كُلِّ لِسَانِ !

وَمَبَاهِجُ رُوحِيَّةٍ أَسْرَارُهَا
تَنْسَابُ فِي الْأَعْمَاقِ وَالْوُجْدَانِ
تَزْكُو النَّفُوسُ بِهِ وَتَبْلُغُ صَفْوَهَا
مِمَّا تَعَلَّقَهَا مِنَ الْأَذْرَانِ
وَيُزِيحُ عَنْهَا مَا يَعُوقُ سُمْوَهَا
وَبُلُوغَهَا لِكَمَالِهَا الْإِنْسَانِي
غَصَّتْ بِمَقْدَمِكَ الْمَسَاجِدُ وَازْدَهَتْ
حَاقَاتُهَا بِمَشَاعِلِ الْعِرْفَانِ
يَسْعَى إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ تَحْقُفُهُمْ
عِنْدَ الصَّلَاةِ مَلَائِكُ الرَّحْمَانِ
كَمْ خَاشِعٍ لِلَّهِ لَمْ يَكْ خَاشِعاً
حَتَّى حَلَّتْ بِقَلْبِهِ الظُّمَأَنُ !
صَلَّى وَصَامَ لِرَبِّهِ مُتَعَوِذاً
مِنْ وَسْوَساتِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
وَمُضَلِّلِ نَوْرَتِ دَرْبِ حَيَاتِهِ
وَأَحَلَّتْ حَيْرَتَهُ إِلَى اطمِئْنَانِ
مَا كَانَ صَوْمُكَ مِحْنَةً وَمَجَاعَةً
كَلاَّ، وَلَا هُوَ قِمَّةُ الْجِرْمَانِ !
مَا كَانَ إِلَّا قُرْبَةً مَفْرُوضَةً
يَبْدُو بِهَا الْإِسْلَامُ كَالْبُنْيَانِ

الْأَغْنِيَاءُ بِمَالِهِمْ فِي صَوْمِهِمْ
وَالْمُعْدِمُونَ الْجَائِعُونَ سِيَانِ
لَيْسَ الصِّيَامُ بِمَظْهَرٍ لِكِنَّةِ
خُلُقٍ وَتَقْوِيمٍ، وَخُلُقٌ ثَانِي



هَذِي لِيَا لِيكَ الْحِسَانُ عَرَائِسُ
وَضَّاءَةٌ مَوْفُورَةٌ الْإِحْسَانِ
الْحُبُّ رَفَرَفٌ فِي سَمَاهَا وَانْمَحَتْ
الْقُلُوبُ وَنَزَغَةُ الْعُدْوَانِ
وَتَبَادَلَ النَّاسُ التَّحَايَا إِخْوَةً
وَتَزَاوَرُوا بِالْوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ
مَرَحَى هِلَالِ الْخَيْرِ ! فَيْكَ لَأُمَّتِي
أَمَلٌ بِعَوْدَةِ مَجْدِهَا الرِّيَّانِ
الْيَوْمَ تَجْمَعُ أَمْرَهَا وَتُعِيدُ مَا
هَدَّ الْخِلَافُ بِهَا مِنَ الْأَرْكَانِ
مِنْ بَعْدِ مَا تَاهَتْ مَرَاجِبُهَا بِلَا
هَدَفٍ يُوجِدُهَا وَلَا رُبَّانِ !
فَأُضِي مَسِيرَتُهَا بِنُورِكَ تَسْتَعِدُّ
إِشْعَاعَهَا، وَتَنْلُ أَعَزَّ مَكَانِ

يَا أَهْلَنَا فِي الْقُدْسِ يَأْمَنْ شَيْدُوا
بِدِمَائِهِمْ مَا لَمْ يُشِيدَ بِنَايِ
قَدْرُ الطُّفُولَةِ أَنْ تُرِيقَ دِمَاءَهَا
وَتُبَارِزَ الْأَعْدَاءَ فِي الْمِيدَانِ
لَمْ تَلَهُ فِي رَوْضٍ وَلَا فِي مَلْعَبٍ
أَوْ تَخُلُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَحْزَانِ
يَكْفِيكُمْو فِي التَّضَحِيَّاتِ سَخَاؤُكُمْ
بِالرُّوحِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ
لَوْ كَانَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَعْبُدُ أَرْضَهُ
كُنْتُمْ بِهَا مِنْ عَابِدِي الْأَوْطَانِ !
فَتَحِيَّةٌ لِصِغَارِنَا مَنْ زَلَزَلَتْ
أَحْجَارُهُمْ مُسْتَنْقَعُ الطُّغْيَانِ
مَنْ أَلْقَمُوا (شَامِيرَ) مِنْ أَحْجَارِهِمْ
مَا غَصَّ مِنْهُ وَخَرَّ لِلْأَذْقَانِ !
صُمْنَا. وَصُمْتُمْ قَبْلَنَا بِجَهَادِكُمْ
فَلْتَهْنَأُوا بِعِبَادَةِ الشُّجْعَانِ !

* ● *

جَاءَ الْمُطَهَّرُ ! فَاسْتَعِدَّ لَتَوْبَةٍ
فَالْعُمُرُ وَمَضَ، وَالْحَيَاةُ ثَوَانِي !
وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ وَالتَّمَسْ نَفَحَاتِهِ
وَاقْطِفْ فَإِنَّ الْقُطْفَ فِي الْإِبَّانِ !

القصيدة التي ألقى بين يدي جلاله الملك في ليلة المولد النبوي
بمناسبة تدشين مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء

المعلِّمة

بَلَّغْتَ بِالْعَزْمِ مَا لَا تَبْلُغُ الْهِمَمُ
وَشِدَّتْ مَا لَمْ تُشِيدْ مِثْلَهُ الْأُمَمُ
هَذَا الْبِنَاءُ الَّذِي أَعْلَيْتَ شَامِخَهُ
قَدْ غَضَّ طَرْفِيهِ مِنْ إِجْلَالِهِ الْهَرَمُ !
شَتَانِ مَنْ شَيَّدُوا لِلْمَوْتِ أَضْرَحَةً
وَمَنْ بَنَائَتْهُمْ قُرْبَى وَمُغْتَنَمُ
دَعَوْتَ جَنَّ سُلَيْمَانَ لِتَرْفَعَهُ
فَبَادَرْتُ نَحْوَكَ الْأُمْلَاكَ تَزْدَحِمُ !
عَبَّاتُ فِيهِ مِنَ الطَّاقَاتِ أُمُوهَا
وَدَعَّمَ الْعِلْمُ فِي إِرْسَائِهِ الْقَلَمُ !
أَرْسَيْتَهُ فَوْقَ مَوْجِ الْبَحْرِ سَامِقَةً
قَبَابُهُ تَخْتَفِي مِنْ حَوْلِهَا الْقِمَمُ
لَمْ يَشْهَدْ الْبَحْرُ عِمْلَاقًا بِشَاطِئِهِ
لَهُ مِنَ الْمَاءِ - يَجْرِي تَحْتَهُ - دِعْمُ

تَرْنُو النُّجُومَ إِلَيْهِ وَهِيَ خَاشِعَةٌ
وَيَنْتَنِي المَوْجُ عَنْهُ وَهُوَ مُحْتَشِمٌ !
أَنَّى التَّفْتُ رَأَتْ عَيْنَاكَ رَائِعَةً
وَحَيْثُمَا سِرْتَ فَالْإِبْدَاعُ مُنْتَظَمٌ
قَدْ أَبْرَزَ الفَنُّ فِي أَبْهَائِهِ تُحْفًا
رَوَائِعًا عَزَّ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا حُلْمٌ
تُسَافِرُ العَيْنُ فِي أَبْهَائِهِ سَعَةً
كَأَنَّهُ فَلَكٌ رُصَّتْ بِهِ نُجْمٌ
وَيَسْرَحُ الفِكْرُ مَأْخُودًا بِرَوْعَتِهِ
فِي رِحْلَةٍ لَمْ يَسِرْ فِي مِثْلِهَا قَدَمٌ !
كَأَنَّهُ قِطْعٌ مِنْ لَوْلُؤٍ نُظِمَتْ
أَوْ هَيْكَلٌ شِيدَتْ أَبْرَاجُهُ إِرْمٌ !

* ● *

تَزْهُو مَنَارَتُهُ العَذْرَاءُ فِي شَمَمٍ
عَمَلَاقَةً بِسِمَاتِ الفَنِّ تَتَسِمُ
كَأَنَّهَا سُلَّمٌ يَرْقَى الأَذَانُ بِهِ
تُقَبَّلُ النُّجْمُ فِي الجَوْزَا وَتَسْتَلِمُ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ فِي أَجْوَانِهَا عَبَقٌ
مِلءُ المَجَرَّاتِ فِي أَسْمَاعِهَا نَغَمٌ

كَمْ سَامِعٍ لِأَذَانِ اللَّهِ تَرْفَعُهُ
 لُبِّي، وَكَانَ بِهِ فِيمَا مَضَى صَمَمٌ !
 وَكَمْ قُلُوبٍ مَرِيضَاتٍ بِسَاحَتِهِ
 صَلَّتْ فَرَايَاَهَا الْإِرْهَاقُ وَالسَّقَمُ !
 تَسْرِي بِهِ نَفَحَاتُ اللَّهِ مُرْسَلَةً
 لِمَنْ أَتَى خَاشِعاً لِلْخَيْرِ يَغْتَنِمُ
 وَالْمَاءُ فِيهِ رَحِيقٌ سَالَ كَوُثْرُهُ
 وَمَنْهَلٌ يُرْتَوَى مِنْ فَيْضِهِ شَبْمٌ



وَجَلَّ مُحَرَّابُهُ فِي عَيْنِ نَاطِرِهِ
 كَالْقَلْبِ فِي صَدْرِهِ يَجْرِي إِلَيْهِ دَمٌ !
 يَكَادُ يَثْنِي عَلَى الْأَيْدِي الَّتِي صَنَعَتْ
 جَمَالَهُ وَهُوَ مَزْهُوٌّ بِمَا رَسَمُوا
 أَنَامِلٌ أَبْدَعَتْ فِي كُلِّ رَائِعَةٍ
 بِاللَّهِ تَبْدَاً وَبِالْقُرْآنِ تُخْتَمُ
 وَيَا لَأَقْوَاسِهِ وَالْفَنِّ أَلْبَسَهَا
 مَنْ السَّنَا حُلَاً لَمْ تُكْسَهَا رِيَمُ
 تَرْتَدُّ عَنْ حُسْنِهِ الْأَبْصَارُ خَاسِيَةً
 وَلَا تَكَادُ تُوفِي وَصْفَهُ الْكَلِمُ

فَبَارَكَ اللَّهُ فِي قَوْمِي عَبَاقِرَةً
بَاهَى الزَّمَانُ بِهِمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ
صَبُّوا مَوَاهِبَهُمْ فِيهِ فَغَاصَ بِهَا
فِي مَوْجَةٍ مِنْ سَنَى شَلَالِهَا عَرِمُ



رَأَيْتُ فِي آيَةِ الْفَرْدَوْسِ ثَانِيَةً
وَمَجْدَ غَرْنَاطَةٍ تَزْهُو بِهَا الْأَطْمُ
جَلَالُهُ نَفَحَاتٌ مِنْ جَلَالَتِهَا
وَمِنْ نَسَائِمِهَا تُسْتَرْوَحُ النَّسَمُ
غَرْنَاطَةٌ فِيهِ عَادَتْ بَعْدَ غَيْبَتِهَا
كَأَنَّهَا مِنْ عَوَادِي الدَّهْرِ تَنْتَقِمُ !
وَنَحْنُ مَنْ وَرِثُوا أَمْجَادَ أَنْدَلُسٍ
فَنَاءً وَعِلْمَاءٌ وَلَمْ يَقْعُدْ بِنَا عُقْمُ !
فِي كُلِّ دَارٍ لَنَا فَنٌّ بِقُرْطُوبَةِ
لَمْ يُبْلِهِ وَهُوَ فِي أَحْضَانِنَا قِدَمُ !
وَالنَّاسُ بَانِي بِنَاءٍ أَوْ مُتَمِّمُهُ
وَأَخْرُونَ إِذَا مَا شَيَّدُوا هَدْمُوا !



حَجَّتْ إِلَيْهِ وَفُودُ الشَّعْبِ ظَامِئَةً
 كَأَنَّهُ الْبَيْتُ مَعْمُوراً أَوْ الْحَرَمُ !
 لَسَوْفَ يَبْقَى مَدَى الْأَحْقَابِ مُعْجِزَةً
 عَمَلَاقَةً كُلِّ صَرْحٍ حَوْلَهَا قَزَمُ !
 وَمَا الْمَآثِرُ عُمْرَاناً وَلَا تَرْفَأُ
 وَلَا هِيَ أَكَلِ نُعْلِيهَا فَتُحْتَرَمُ
 وَإِنَّمَا هِيَ لِلْأَجْيَالِ مَدْرَسَةٌ
 وَنَاطِقَاتٌ بِمَا لَا تُفْصِحُ الْكَلَمُ



أَبَا الْمَجِيدَيْنِ جَاوَى اللَّهُ سَعْيِكَ عَنْ
 شَعْبٍ أَصِيلٍ بِهِدْيِ اللَّهِ يَلْتَزِمُ
 وَلَمْ تَزَلْ تَزِدْهِ فِيهِ صَنَائِعُكُمْ
 كَأَنَّهَا وَهْيَ فِي أَرْجَائِهِ دِيمُ
 إِذَا تَأَوَّهَ مِنْ جُرْحٍ سَهَرَتْ لَهُ
 وَمَسَّ جَنْبُكَ مِنَ الْأَمْسِ أَلَمُ !
 مَا انْقَادَ يَوْماً وَلَمْ يَرْكَعَ لَطَاغِيَةٍ
 وَلَا انْحَنَى رَأْسُهُ يَوْماً لِمَنْ ظَلَمُوا
 شَمَائِلُ هِيَ فِيهِ مِنْ شَمَائِلِكُمْ
 أَصِيلَةٌ هِيَ فِيمَا بَيْنَكُمْ قِسْمُ

لَمَّا دَعَوْتَ إِلَى الْحُسْنَى اسْتَجَابَ لَهَا
سَمحاً وَمِنْ طَبْعِهِ الْإِيثَارُ وَالْكَرَمُ !
وَلَيْسَ يَغْضَبُ مِنْ جُوعٍ وَلَا عَوَزٍ
كَمَا يُرَى غَاضِباً إِنْ دِيسَتِ الْحُرْمُ !
وَمَا دَعَوْتَ إِلَى جُلَى وَمَكْرُمَةٍ
إِلَّا وَلَبَّى، وَكَلَامُكَ لَأَوْهَ نَعْمُ !
كَبُرْتُ لَمَّا رَأْتُ عَيْنِي سَوَاعِدَهُ
تَبْنِي بِإِيمَانِهَا مَا لَيْسَ يَنْهَدِمُ
عَوْدَتُهُ حُبِّ هَذِي الْأَرْضِ مُذْ حَمَلْتُ
يَسَّادَكَ فَاسَّ بِنَاءٍ لَيْسَ يَنْتَلِمُ
فَسَارَ خَلْفَكَ مُؤْتَمِلاً بِرَائِدِهِ
وَرَائِدِ الْقَوْمِ عَذْلٍ لَيْسَ يُتَّهَمُ !
كَيْوَمَ زَلَزَلَهَا تَحْتَ الْبُغَاةِ وَقَدْ
نَفَّوْا أَبَاكَ فَلَمْ تَخْضُدْ لَهُ حُمَمُ
وَشَنَّهَا ثَوْرَةً حَمْرَاءَ جَامِحَةٍ
كَأَنَّهَا وَقَدْ احْتَفَّتْ بِهِمْ رُجْمُ
شُدِّهْتُ لَمَّا رَأْتُ عَيْنِي مَوَاكِبَهُ
فِي زَحْفِهَا لِحُدُودِ الْوَهْمِ تَقْتَحِمُ
رَأَيْتُ شَعْباً تَحْدَى لَيْسَ فِي يَدِهِ
إِلَّا الْمَصَاحِفُ يَزْهُو بَيْنَهَا الْعَلَمُ

كَأَنَّمَا ابْنُ زَيْادٍ عَادَ ثَانِيَةً
وَالسُّفُنُ فِي الرَّمْلِ لَا فِي الْبَحْرِ تَضْطَرُّ !
حَرَرَتْ بِالْعَقْلِ لَا بِالسَّيْفِ مَا عَجَزَتْ
عَنْ مِثْلِهِ أُمُّ لِسَيْفٍ تَحْتَكُمُ
عَادَتْ بِحِكْمَتِكَ الصَّحْرَاءُ وَاحْتَضَنْتْ
أَبْنَاءَهَا. وَارْتَدَى بِالْخِزْيِ مَنْ وَهَمُوا !
كَأَنَّمَا كُنْتَ إِعْصَاراً أَطَّاحَ بِهِمْ
أَوْ صَيْحَةً فَوْقَهُمْ مِنْ هَوْلِهَا وَجُمُوا !
لَمَسْتَهَا بِعَصَا مُوسَى فَمَا لَبِثَتْ
أَنْ اسْتَحَالَتْ رِيَاضاً نَشْرُهَا عَمَمُ
وَكُنْتَ بَرّاً بِأَبْنَاءِ مَنْحَتِهِمْ
عَفَواً وَأَرْقَهُمْ مِنْ زَيْغِهِمْ نَدَمُ
وَأَنْجَابَ عَنْ أَرْضِنَا عَهْدٌ عَصَفَتْ بِهِ
كَالْفَجْرِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهِ الظُّلَمُ
وَلَمْ تَزَلْ لِلْمَعَالِي تَرْتَقِي صُعْداً
وَدَائِماً أَنْتَ صَبٌّ لِلْعُلَى نَهُم !



أَبَا الْأَبَاةِ أَعْدَهَا سَمَحَةً فَبِكُمُ
شَمْلُ الْعُرُوبَةِ وَالْإِسْلَامِ يَلْتَجِمُ

أُنْقَذَتْ بِالْوَحْدَةِ الْكُبْرَى مَغَارِبَنَا
مِنَ الضِّيَاعِ فَعَادَ الشَّمْلُ يَلْتَنُّ
وَكَيْفَ نَرْفُضُ مَا يُفْضِي لِعِزَّتِنَا
وَالدِّينُ يَجْمَعُنَا وَالضَّادُ وَالرَّحِمُ
وَكَيْفَ نَبْقَى لِذَاكَ الْغَرْبِ مَزْرَعَةً
وَمَرْتَعاً يَرْتَوِي مِنَّا وَيَلْتَهُمْ ؟
وَكَلَّ خُلْفٍ سَرَابٌ لَا يَعُوقُنَا
عَنِ الْمَسِيرِ، وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا نِقَمٌ
وَقَدْ بَدَأَتْ فَتَمَمَ صَرْحٌ وَحَدِثْنَا
فَنَحْنُ عَوْنٌ لِمَا تَبْنِيهِ وَالْخِدمُ
وَاطْرُدْ عَنِ الدِّينِ مَا يَغْشَى مَكَارِمَهُ
فَالدِّينُ يُصْلِحُ مَا لَا تُصْلِحُ النُّظْمُ !
وَلَا تَمُوتُ مِنَ الْفَقْرِ الشُّعُوبُ وَلَا
تَنْهَارُ إِلَّا إِذَا مَا انْهَارَتِ الْقِيَمُ !
وَمَا سِوَى سِبْطِ طَهٍ مَنْ يُرَادُ لَهَا
وَمَا سِوَاهِ لِهَذَا الدِّينِ مُعْتَصِمٌ
مِنْ كُلِّ مُنْتَحِلٍ بِالدِّينِ مُرْتَزِقٍ
كَأَنَّ آرَاءَهُ فِي دِينِنَا الْحَكْمُ !
وَالدِّينُ يُسَرُّ وَشَرُّعُ اللَّهِ وَاضِحَةٌ
أَهْدَافُهُ وَالْمُغَالِي كَاذِبٌ خَصِمٌ

وَلَيْسَ إِلَهِ فِي الْإِسْلَامِ رَهْبَنَةٌ

وَلَا كَرَّاسِي اعْتِرَافَ فَوْقَهَا صَنْمٌ !

وَأِنَّمَا هُوَ نُورُ اللَّهِ حَيْثُ سَرَى

صَحَابِهِ الْعَقْلُ وَانْحَلَّتْ بِهِ الْأَزْمُ

* ● *

سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ تَحْيَا إِلَى زَمَنٍ

تَرَى زُهُورَكَ فِيهِ وَهِيَ تَبْتَسِمُ !

وَمَغْرِبِي جَنَّةَ خَضِرَاءَ وَارِفَةٍ

يَمُوتُ حَاسِدَهَا غَيْظًا وَيَحْتَدِمُ !

وَأَنْتَ قَائِدُنَا فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ

مَتَى رَأَتْكَ عَوَادِي الدَّهْرِ تَنْهَزِمُ !

يَهْنِكَ شَعْبٌ غَدَا فِي حُبِّهِ مَثَلًا

عَلَى الْوَفَاءِ لَكُمْ أَبْنَاؤُهُ فُطِمُوا

قَدْ هَابَكَ الشَّعْرُ وَاسْتَفْصَتْ شَوَارِدُهُ

وَمَالَهَا إِنْ أَبَتْ تَرْوِيضَهَا لُجْمُ

كَذَاكَ كُلُّ عَظِيمٍ لَا يُحِيطُ بِهِ

شَعْرٌ، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ الْمُعْجَبِينَ فَمَّ !

وَعَاشَ شُبْلَاكَ فِي عِزِّ وَفِي دَعَا
لَا إِلَهَ فِي عَقُودِ الْمَجْدِ تَنْتَظِمُ

الْيَوْمَ يَهْنَأُ بِمَا شَيْدَتْ وَإِلَيْدِكُمْ
وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ تُسْزِجِي لَكَ النِّعَمُ

يَا مَوْلِدَ النُّورِ ! فِي مِيلَادِ مَعْلَمَةٍ
أَنْتَ الْجَلَالُ ! وَهَذَا الْمَجْدُ وَالْعِظَمُ !!

دُعَا

يَا خَالِقَ الْكَوْنِ مَنْ أَعْلَى بِقُدْرَتِهِ

سَمَاءَهُ ثُمَّ أَرْسَاهَا بِلَا عَمَدٍ

وَحَفَّهَا بِسِيَّاحٍ مِنْ جَلَالَتِهِ

كَمَا أَرَادَ فَلَمْ تَجْنَحْ وَلَمْ تَمِدْ

جَبَالُهَا الشَّمُّ أَوْتَادٌ وَقُدْرَتُهُ

أَجَلَ فِي خَلْقِهَا مِنْ قُدْرَةِ الْوَتَدِ

نَوَّرَتْ ظِلْمَتَهَا بِالشَّمْسِ مُشْرِقَةً

مِنْ نُورٍ وَجْهَكَ لَمْ تُطْفَأْ وَلَمْ تَبِيدْ

وَبِالْكَوَاكِبِ تَسْرِي فِي مَطَالِعِهَا

مَسَارِجاً وَمَصَابِيحاً بِلَا عَدَدٍ

يَا مَنْ بِقَوْلِهِ (كُنْ) قَامَتْ عَوَالِمُهُ

وَكُلَّ آيَاتِهِ مِنْ أَمْرِهِ الْأَبَدِيِّ

وَوَاهِبَ الرُّوحِ أَجْسَاماً تُقِيمُ بِهَا

كَمَا يَشَاءُ، وَيُخَيِّمُهَا إِلَى أَمَدٍ

تُشْقِي بِعَذْلِكَ أَقْوَاماً، وَتُسْعِدُ مَنْ

تَشَاءُ فَضْلاً، وَأَنْتَ النَّبْعُ ذُو الْمَدَدِ

يَا مُخْرِجَ الْحَبِّ مِنْ أَعْمَاقِ تُرْبَتِهِ

بِمَائِهِ وَبِطَعْمِ غَيْرِ مُتَّحِدِ

وَمُلْهِمَ النَّحْلَ عِلْمًا فِي خَلِيَّتِهِ
فَشَادَ مِنْ رِيقِهِ قَصْرًا مِنَ الشُّهُدِ
وَمُجْرِيَ الْفُلِكِ كَالْأَعْلَامِ يَحْمِلُهَا
بِأَمْرِهِ الْيَمُّ وَالْأَمْوَاجُ فِي صُعْدِ
تُصَارِعِ الْمَوْجِ وَالْأَمْوَاجُ عَاتِيَةٌ
مُسَخَّرَاتٌ لَهَا تَجْرِي عَلَى نَضْدِ



يَا مَنْ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ مُحْتَجِبٌ
عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَنُورُ الْكَوْنِ مِنْهُ بُدِي
سَمَوَاتٍ عَنْ كُلِّ نِدٍ أَنْتَ خَالِقُهُ
وَعَنْ أَبِيكَ مَخْلُوقٍ وَعَنْ وَلَدِ
لَا شَيْءَ فِي الْكَوْنِ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَمِدٌ
عَلَيْكَ فِي رِزْقِهِ يَا خَيْرَ مُعْتَمِدِ
رَزَقْتَ فِي الصَّخْرَةِ الْمَلْسَاءِ كَائِنَةً
لَمْ تَشَقْ فِي الرِّزْقِ أَوْ تَنْهَضَ لَهُ بِيَدِ
يَا مُمْسِكَ الطَّيْرَ فِي الْأَجْوَاءِ سَابِحَةً
فَلَمْ تَقْعَ مِنْ أَعَالِيهَا وَلَمْ تَحْدِ
تَغْدُو خِمَاصًا إِلَى الْمَرْعَى وَتَرْجِعُهَا
شَبْعَى وَرَيْى وَلَمْ تَنْزَحْ عَنِ الْبَلَدِ

لَا يَنْفَعُ الْكَدُّ مَنْ لَمْ تُعْطِهِ سَعَةً

وَقَدْ يَعِيشُ قَلِيلُ الْحِرْصِ فِي رَغْدٍ !

أَزَجَيْتَ غَيْثَكَ يَسْقِي كُلَّ ذَابِلَةٍ

فَاخْضَرَّ وَجْهَ الثَّرَى وَالتَفَّ فِي بُرْدٍ

أَعَدْتَ بِهِجَتَهَا مِنْ بَعْدِ مَوْتَتِهَا

بِاللُّطْفِ مِنْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ تَعُدِ

فَغَرَّدَ الطَّيْرُ فِي أَدْوَاغِهِ وَجَرَتْ

جَدَاوِلُ الْمَاءِ سَاسَالًا لِكُلِّ صِدْيِ

وَعَادَ لِلْأَرْضِ شَيْخٌ كَانَ يَحْرِثُهَا

مَنْ بَعْدَ يَأْسٍ لِيَجْنِيَ خَيْرَهَا فِي غَدٍ



يَا مَنْ يُسَبِّحُ مَا فِي الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ

لَهُ، وَيَعْبُدُهُ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ

وَمَنْ بَقُدْرَتِهِ نَجَّى الْخَلِيلَ فَلَمْ

تَمْسَسَهُ نَارٌ لظَاهَا جَدَّ مُتَّقِدٍ !

وَأُقْحَمَ الْبَحْرَ مُوسَى وَهُوَ مُضْطَرِبٌّ

كَأَنَّهُ عَابِرٌ يَمْشِي عَلَى جَمَدٍ !

وَمَنْ أَتَى رُوحَهُ عِيسَى فَصَوَّرَهُ

وَكَلَّمَ النَّاسَ طِفْلًا وَهُوَ فِي الْمَهْدِ !

وَمَنْ بَنَى مِنْ خُيُوطِ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى
غَارِ النَّبِيِّ دُرُوعاً لَسُنَّ مَنْ زَرَدَ !
وَرَدَّ عَنْهُ قُرَيْشاً وَهِيَ جَامِحَةٌ
تَجَرُّ أذْيَالَهَا مِنْ غُصَّةِ الْكَمَدِ
هَدَى بِهِ مَنْ تَحَدَّوْهُ وَمَنْ عَبَدُوا
سِوَاهُ وَأَنحَرَفُوا جَهْلًا عَنِ الْجَدِ



رُحْمَاكَ رَبِّي بِغَرْقَى لَا نَجَاةَ لَهُمْ
إِنْ لَمْ تَحِطْهُمْ بِعَوْنٍ مِنْكَ أَوْ سَنَدٍ
فِي عَالَمٍ أَظْلَمَتْ فِيهِ النُّفُوسُ فَلَمْ
تَنَقِدْ لِدَاعِيَةِ الْخَيْرِ أَوْ تَقْدِ
ضَلَّتْ عِبَادُكَ نَهْجَ الْحَقِّ وَاعْتَنَقُوا
مَذَاهِباً أَفْلَسَتْ فِيهِمْ وَلَمْ تُفِدْ
وَمَزَقَّتْهُمْ خِلَافَاتٌ وَأَنْظَمَةٌ
لَمْ تَرْعَ حَقّاً لِمَقْهُورٍ وَمُضْطَهَدٍ
وَأَصْبَحَتْ أَرْضُنَا غَاباً وَمَسْبَعَةً
لَا يَأْمَنُ الظَّبِيُّ فِيهَا صَوْلَةَ الْأَسَدِ !
وَإِنْ تَكَلَّمْ فَقَدْ تَدْنُو نَهَايَتُهُمْ
وَيُخْتَفِي لَحْظَةً مَا شِيدَ فِي مُدَدٍ

مَا قِيمَةُ الْعِلْمِ إِنْ ضَاعَتْ خَضَارَتُنَا
 بِمَا نَعِدُّهُ لِلتَّدْمِيرِ مِنْ عُدَدٍ ؟
 تُرْمَى (الْمَلَايِينُ) فِي الْأَجْوَاءِ سَابِحَةً
 وَالْجُوعُ يَرْمِي مَلَايِينًا مِنَ الْمَعَدِ !
 خَاضُوا إِلَى الْقَمَرِ الْآفَاقَ فِي طَبَقٍ
 كَالْجَنِّ لَا تَخْتَشِي مِنْ رَاجِمٍ رَصَدٍ
 وَلَوْ دَرَى أَنَّ مَنْ يَغْزُونَهُ تَتَرُّ
 لَأَسْوَدَ نُورُ مُحْيَاهُ إِلَى الْأَبَدِ !
 غَطَّتْ جَرَائِمَنَا الدُّنْيَا وَمَا سَعِدَتْ
 وَأَصْبَحَتْ غَابَةً لِلنَّهْبِ وَالطَّرْدِ !



ادْعُوكَ دَعْوَةَ خَطَاءٍ تُؤْرِقُهُ
 ذُنُوبُهُ وَسَوَى مَوْلَاهُ لَمْ يَجِدِ
 فَاْمُنَحْهُ عَفْوَكَ وَاغْفِرْ مَا تَعَمَّدَهُ
 مِنَ الْخَطَايَا وَمَا لَمْ يَنْوِ أَوْ يُرِدِ
 وَكُنْ لَهُ يَوْمَ يَأْتِي وَهُوَ مُنْكَسِفٌ
 فِي مَوْقِفٍ بِجُمُوعِ الْخَلْقِ مُحْتَشِدِ
 قَدْ كُنْتُ أَمْشِي خَطَى عُمْرِي عَلَى مَهَلٍ
 وَالْيَوْمَ أَعْدُو بِخَطْوٍ غَيْرِ مُتَّئِدِ

دَخَلْتُ مِحْرَابَكَ الْأُسْنَى فَزَهَّدَنِي
 فِي حُبِّ غَيْرِكَ لَوْ أَنْجُو مِنْ الْحَسَدِ !
 مَنْ خَاضَ فِي الْوَحْلِ قَالُوا تَغْلَبْ جَشَعٌ
 وَمَنْ تَعَفَّفَ قَالُوا : شَرُّ مُنْعَقِدٍ !
 مَا الشَّعْرُ ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَجْوَى وَأَدْعِيَّةٌ
 إِلَيْكَ تَنْسَابُ مِنْ قَلْبِي وَمِنْ كَيْدِي
 نَسِيتُ كُلَّ هَوًى مُذْ شَعَّ نُورُكَ فِي
 نَفْسِي وَالْهَمَّهَا الرَّجْعَى إِلَى الرَّشْدِ
 أَوْدَعْتَ حُبَّكَ فِي قَلْبِي فَأَنْسَنِي
 وَلَمْ أَكُنْ وَهُوَ فِي قَلْبِي بِمُنْفَرِدٍ
 رَأَتْ جَمَالَكَ عَيْنِي فَأَنْبَهَرْتُ بِهِ
 وَغَابَ عَنْ عَيْنٍ مَنْ يَشْكُو مِنَ الرَّمْدِ
 أَخْشَى وَأَرْجُوكَ إِلَّا أَنْ لِي ثِقَلَةٌ
 بِأَنَّ حُبَّكَ طَوَّقَ مُمْسِكَ بِيَدِي
 فَقُلْ : غَفَرْتُ لِعَبْدِي تَتَفَرِّجُ كُرْبِي
 وَتَتَفَرِّجُ عَنْ فُؤَادِي ظُلْمَةُ الْعَقْدِ

وَأَفِدُ الْخَيْرِ

أُضِيُّ دُجَانًا بِمَا تُوجِيهِ مِنْ صُورٍ
وَضَّاءَةٍ وَبِمَا تُحْيِيهِ مِنْ سُورٍ
وَأَغْمُرُ بِنُورِكَ دُنْيَانَا الَّتِي غَرِقَتْ
فِي ظُلْمَةٍ لَمْ يَلْحَ فِيهَا سَنَى قَمَرٍ !
فَقَدْ طَغَتْ نَزَعَاتُ الشَّرِّ وَانْطَفَأَتْ
مَشَاعِلُ طَالَمَا أَهْدَتْ بَيْنِي الْبَشَرَ
وَتَاهَ مَرْكَبُنَا فِي الْمَوْجِ مُنْذَفِعًا
مَعَ الْعَوَاصِفِ بَيْنَ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ !
لَمْ يَدْنُ مِنْ مَرْفَأٍ إِلَّا وَأَبْعَدَهُ
عَنْهُ تَلَاطُمُ مَوْجٍ غَيْرِ مُنْتَظَرٍ
كَبَّرْتُ لَمَّا بَدَأَ فِي الْأَفْقِ مُؤْتَلِقًا
سَنَاكَ وَاخْتَالَ فِي قَلْبِي وَفِي نَظَرِي
وَعَانَقْتُكَ قُلُوبٌ وَهِيَ شَائِقَةٌ
إِلَى هَذَاكَ اشْتِيَاقِ الْأَرْضِ لِلْمَطَرِ !
قَدْ أَجْدَبَتْ وَاحَهَا مِنْ بَعْدِ نَضْرَتِهَا
وَعَادَ مَا كَانَ حَيًّا شِبْهَهُ مُحْتَضَرٍ !
تَهَلَّلْتُ أَوْجُهُ بِشَرًّا وَقَدْ لَمَحَتْ
هِلَالَ وَجْهِكَ مَجَلُّوا بِلَا سُتْرِ

وَاخْتَارَكَ اللَّهُ لِلْقُرْآنِ مَنْزِلَةً
قَدْ شَرَفَتْكَ وَكَانَتْ غُرَّةَ الْغُرَرِ
تَمْضِي السُّنُونَ وَتُنْسَى فِي مَسِيرَتِهَا
وَأَنْتَ أَخْلَدُ مَايَمْضِي مِنَ الْعُمُرِ !



يَاوَافِدَ الْخَيْرِ ! كَمْ قَوَّمتَ مِنْ عِوَجٍ
فِي الْمُؤْمِنِينَ وَكَمْ فَتَحْتَ مِنْ بَصَرٍ !
وَكَمْ جُودٍ أَزَالَ اللَّهُ حَيْرَتَهُ
فَصَامَ فِيكَ وَنَاجَى اللَّهَ فِي السَّحَرِ
وَخَالَطَ الْبَشَرَ وَالْإِيمَانَ مُهَجَّتَهُ
وَأَنْسَلَ فِي قَلْبِهِ مَا كَانَ مِنْ وَضَرٍ
وَمَا صِيَامَكَ إِلَّا طَهْرَةً وَتَقَى
وَجَنَّةً لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِمِصْطَبِرٍ
وَهَدَى مَدْرَسَةً جَاءَ الْكِتَابُ بِهَا
وَلَمْ تَزَلْ شِرْعَةً مِنْ سَالِفِ الْعُصْرِ
لَمْ يَحْتَرِمَكَ صِيَامٌ لَيْسَ يُعْجِبُهُمْ
مَنْ كُلَّ فَيْضِكَ إِلَّا مُتَعَةً السَّمَرِ !
وَلَمْ يَصْمَكَ لِسَانٌ لَمْ يَصْنِكَ فَلَمْ
يُمْسِكَ عَنِ اللَّغْوِ وَالْإِسْفَافِ وَالْهَذَرِ

أَسْهَرْتُ فِيكَ عُيُونِي وَاسْتَمَعْتُ لَهَا
 تَشْكُو لِلْبَلِّكَ مَا فِيهِ مِنَ الْقَصْرِ !
 رَأَيْتُ فِيكَ بَيُوتَ اللَّهِ مُسَرَّجَةً
 حُشُودَهَا زُمُرٌ تَسْعَى إِلَى زُمَر !
 كَأَنَّهَا النَّحْلُ تَشْدُو فِي خَلِيَّتِهَا
 ظَمَأَى تَنْقُلُ مِنْ زَهْرٍ إِلَى زَهْرٍ !
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ فِي أَعْلَى مَا آذِنَهَا
 مَلِيئَةٌ بِمَعَانِي الْهَدْيِ وَالْعِبَرِ
 تَفِيضُ أَلْسِنُهَا بِالذِّكْرِ خَاشِعَةً
 وَتَنْتَشِي مِنْ شَذَا قُرْآنِهَا الْعَطِرِ
 جَلَّتْ لِيَا لِيكَ فِيهَا كُلُّ مَكْرُمَةٍ
 وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ فِيهَا دُرَّةُ الدُّرَرِ !
 لَمْ تَخَفْ طَلَعْتُهَا إِلَّا لِأَنَّ لَهَا
 مِنَ الْجَلَالَةِ شَأْوَ بَالِغَ الْأَثَرِ
 تَنَزَّلَ الرُّوحُ فِيهَا بِالْكِتَابِ عَلَى
 مُحَمَّدٍ فَتَلَقَّاهُ عَلَى قَدَرِ
 وَعَاشَ يَتْلُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي عِلَنٍ
 مُبَشِّرًا بِهِ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرِ
 هَدَى بِهِ اللَّهُ عُمِيًّا فِي ضَالَّتِهَا
 وَطَهَّرَ الْكَوْنَ مِنْ إِشْرَاكِهَا الْقَدِيرِ

عَلَى الْجَبَاهِ الْتِي كَانَتْ مُمَرَّغَةً
 فِي التَّرَبِّ تَسْجُدُ لِلْأَصْنَامِ وَالْحَجَرِ !
 وَحَرَّرَ الْعَقْلَ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ عُقْدٍ
 وَظُلْمَةٍ أَيْنَ مِنْهَا ظُلْمَةُ الْحَقْرِ !
 قَدْ كَانَ شَرْعاً تَحْدَى كُلَّ أَنْظِمَةٍ
 وَثَوْرَةً قَبْلَهَا الْإِنْسَانُ لَمْ يَثِر !



ذَكَرْتُ بَذْراً وَأَبْطَالاً بِهَا صَمَدُوا
 لَوْلَاهُمُ لَمْ يَكُنْ دِينَ لِمُنْتَصِرِ
 سَقَتْ دِمَاهُ رُبَاهَا وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
 فَاخْضَلْ مِنْهَا عَمِيمُ النَّبْتِ وَالشَّجَرِ
 كَانُوا دُرُوعاً لِهَذَا الدِّينِ وَاقِيَةً
 وَعُصْبَةً عَزَّزَتْ مِنْ شَأْنِهِ الْخَطَرِ
 إِثَارُهُمْ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ مَأْثُورَةٌ
 وَسِيرَةٌ لَمْ تَزَلْ مِنْ أَرْوَعِ السَّيْرِ !
 مَنْ لِي بِهِمْ إِخْوَةٌ فِي دِينِهِمْ غَيْراً
 مَنْ بَعْدَ نَكْبَتِهِ فِي أَهْلِهِ الْغَيْرِ !

وَأُمِّةٌ لَمْ تُفَقْ مِنْ طُولِ هَجْعَتِهَا
وَلَمْ تُورَقْ بِنِيهَا صِيْحَةُ النُّذْرِ !

كَالنَّسْرِ بَاتَ مَهِيضاً فِي شَوَاهِقِهِ
لَوْ قِيلَ : طَرَّ كِبَغَاتِ الطَّيْرِ لَمْ يَطِرْ !

يَاوَافِدَ الْخَيْرِ مَا لِلْعُرْبِ تَائِهَةٌ
وَمَا لِمَرْكَبِهَا يَمْشِي عَلَى حَذَرٍ ؟

لَعَلَّ فِي وَجْهِكَ الضَّاحِي تَبَاشِيرَ قَدْ
تُحْيِي الرِّوَائِعَ مِنْ أَمْجَادِهَا الْكُبَرِ !

فَعُدْ لَنَا بِالْأَمَانِي وَهِيَ مُزَهَّرَةٌ
وَبِالْغَدِ الْمُشْرِقِ الْمَوْسُومِ بِالظَّفَرِ

الحُبُّ الْكَبِيرُ

يَا حُبُّ ! يَا وَهَجَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يُعْطَى
رُ بِالطُّيُوبِ وَبِالشَّدَا أَرْجَاءَهَا
يَا مَشْعَلًا بِيَدِ الْحَيَاةِ مُنَوَّرًا
بِشُعَاعِهِ وَمُجَلِّيًا ظُلُمَاءَهَا
وَأَلَذَّ مَا أَهْدَتْ لَنَا مِنْ مُتْعَةٍ
وَأَجَلَّ مَا نَفَحَتْ بِهِ أُنْبَاءَهَا
لَوْلَاكَ مَا نَاغَى الْوَلِيدُ وَلَا حَنْتُ
أُمِّ، وَأَعْطَتْ عُمَرَهَا وَهَنَاءَهَا
وَلَمَّا اسْتَسَاغَ بَنُو الْحَيَاةِ حَيَاتَهُمْ
وَلَمَّا تَحَمَّلَ مُرْهَقُونَ شَقَاءَهَا
وَلَمَّا اسْتَمَرَّ دَمُ الْحَيَاةِ مُجَدِّدًا
رَغَمَ الْخُطُوبِ شَبَابَهَا وَرُوءَاءَهَا
يَا بَلَسَمَ الرُّوحِ الَّتِي عَزَّتْ عَلَى
نُطْسِ الْأَسَاةِ وَلَمْ تُشَخَّصْ دَاءَهَا
تَنْسَابُ فِي ذَرَاتِهَا مُتَوَهِّجًا
وَتَعِيدُ بَعْدَ مَوَاتِهَا إِحْيَاءَهَا
بِكَ أُرْسِلَتْ كُتُبُ السَّمَاءِ وَرَدِّدَتْ
فِي الْعَالَمِينَ دُعَاءَهَا وَنِدَاءَهَا

بِكَ شَادَ قَوْمِي فِي الشُّعُوبِ حَضَارَةً
 أُرْسُوا عَلَيْكَ أَسَاسَهَا وَبِنَاءَهَا
 وَبِكَ اسْتَقَامَتْ فِي الشُّعُوبِ مَمَالِكُ
 فَقَدْتَ بِدُونِكَ عِزَّهَا وَبَقَاءَهَا
 حَوَّلْتَ ضَارِيَهُمْ حَمَاماً وَادِعاً
 وَذِنَابَهُمْ فِي الْغَابِ تَرَعَى شَاءَهَا
 مَذْ غِبْتَ غَابَ عَنِ الْحَيَاةِ جَمَالُهَا
 وَتَجَهَّمْتَ لَيْلاً وَكُنْتَ ضِيَاءَهَا
 الْأَقْوِيَاءُ بِهَا تَدُوسُ ضِعَافَهَا
 وَتُرِيقُ أَفْطَحَ مَا تُرِيقُ دِمَاءَهَا
 لَأَحَبُّ يُشْرِقُ فِي النَّفُوسِ فَتَنْجَلِي
 عَنْهَا غَيُومٌ لَا تَمَلُّ سَمَاءَهَا



أَمَنْتُ بِالْحُبِّ الَّذِي حَبَلَتْ بِهِ
 خُضْرُ الْجِنَانِ فَاَنْجَبَتْ حَوَاءَهَا
 أَغْرَتْ بِفِتْنَتِهَا أَبَانَا أَدَمًا
 وَمَشَتْ فَسَارَ كَمَا تَشَاءُ وَرَاءَهَا !
 أَشْرَقَتْ فِي قَيْسٍ وَلَيْلَى شُعْلَةً
 لَمْ تَسْتَطِعْ مِحْنُ الْهَوَى إِطْفَاءَهَا

بَلَى الزَّمَانُ وَمَا تَزَالُ عَلَى الْمَدَى
 أُسْطُورَةٌ تَحْكِي الدُّنَى أَصْدَاءَهَا
 لِأَشْيَاءٍ أَحَلَّى مِنْكَ بَعْدَ قَطِيعَةٍ
 وَسَخَائِمٍ تَشْكُو الْقُلُوبُ جَفَاءَهَا



تَاهَ قَوْمٌ فِي الْفَيَافِي رَغْبَةً
 عَنْ زَيْفِ دُنْيَا صَارِعُوا أَهْوَاءَهَا
 وَرَأَتْ بَصَائِرُهُمْ حَقَائِقَ لَا تُرَى
 عَيْنُ الْحَيَارَى وَالْغُوَاةِ سَنَاءَهَا
 بِكَ هِمْتُ فِي رَبِّي وَفِي آيَاتِهِ
 وَشَمِمْتُ مِلءَ مَشَاعِرِي أَشْدَاءَهَا !
 وَرَثَيْتُ إِخْوَانًا وَلِي نَفْسٌ عَلَى
 سَفَرٍ يُورِقُهَا نَسِيْتُ رِثَاءَهَا !
 مَرَضْتُ بِحُبِّ الْخَلْقِ حَتَّى عَانَقْتُ
 مَحَبُّوبَهَا الْأَسْمَى فَكَانَ شِفَاءَهَا
 وَوَجَدْتُ فِي حُبِّي الْكَبِيرِ سَعَادَةً
 ضَوَّلْتُ سَعَادَاتِ الْوُجُودِ إِزَاءَهَا
 تَعَسْتُ نَفْسُ أَلْهَتْ مَنْ دُونِهِ
 بَشَرًا، وَأَعْطَتْ لِحُطَامٍ وَلَاءَهَا !

الطبيخات

رَبِيعُ بِلَادِي

وَاقَى الرَّبِيعُ وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ
وَأَفْتَرَّ فِي خُضْرِ الرَّبِيِّ نُورُهُ
وَشَدَّتْ بَلَابِلُهُ عَلَى أَفْنَانِهَا
فَتَرَاقَصَتْ مِنْ شَدْوِهَا أَشْجَارُهُ
وَسَرَى عَبِيرُ الزَّهْرِ بَيْنَ خَمَائِلِ
نَشْوَى فَطَابَتْ بِالشَّذَا أَسْحَارُهُ
وَجَرَتْ جَدَاوِلُهُ لُجَيْنًا ذَابَ فِيهِ
—
مَعَ الْأَصِيلِ جُمَانُهُ وَنُضَارُهُ
وَمَبَاسِمُ الْأَزْهَارِ يَغْشَاهَا النَّدى
سِحْرًا، وَتَرَشَّفَتْ تَغْرِهَا أَطْيَارُهُ
حَامَ الْفِرَاشِ عَلَى كُؤُوسِ رَحِيقِهَا
ثَمَلًا فَزَادَ أَوَامُهُ وَخَمَارُهُ
وَعَلَى الرِّوَابِيِّ الْخُضْرُ بَيْنَ شِيَاهِهِ
رَاعٍ يُغْنِي لِلَّهِوَى مِزْمَارُهُ
يَشْدُو لِلْيَلَاهِ لَوَاعِجَ حُبِّهِ
لَحْنًا تُدَغِّغُ قَلْبَهَا أَوْتَارُهُ
تَرْوِي الْبَطَاحَ لُحُونُهُ وَشُجُونُهُ
وَتَظَلُّ خَالِدَةً بِهَا أَشْعَارُهُ

جَادَ الْغَمَامُ عَلَى الثَّرَى بِفُيُوضِهِ
 فَاخْضَرَّ سُنْبُلُهُ وَرَفَّ عَرَارُهُ
 وَكَسَتْ رُبَاهُ مَطَارِفًا مَوْشِيَةً
 وَزَرَابِيًا مَبْتُوثَةً أُمَّ طَارُهُ
 رَاقَ النَّسِيمُ فَهَبَّ يَسْكُبُ عِطْرُهُ
 مُتَجَوِّلاً عَبْرَ الرُّبَى عَطَّارُهُ
 وَأَشَاعَ فِي الدُّنْيَا بَشَائِرَ بَهْجَةٍ
 مُخْضِرَّةٍ طَفَحَتْ بِهَا أَنْهَارُهُ
 مِنْ بَعْدِ مَا اكْتَسَحَ الشِّتَاءُ جَمَالَهَا
 وَاجْتَاخَ فِتْنَةً أَرْضَهَا إِعْصَارُهُ
 أَبْلَى مَحَاسِنَهَا الشِّتَا وَأَحَالَهَا
 شَمُطَاءَ تَكْسُو جِسْمَهَا أَطْمَارُهُ
 عَقَدَ الْكَرَى أَجْفَانَهَا حَتَّى إِذَا
 وَافَى الرَّبِيعُ وَأَيْنَعَتْ أَزْهَارُهُ
 دَبَّتْ حَيَاهُ لَمْ تَكُنْ فِي كَائِنٍ
 وَرَأَيْتَ إِبْدَاعاً سَمَتْ أَطْوَارُهُ



نُطِفَتْ تَظَلَّ دِفِيزَةً تَحْتَ الثَّرَى
 حَتَّى إِذَا اكْتَمَلَتْ بَدَتِ أَسْرَارُهُ

لَوَحَاتُ فَنَّا نِ كَبِيرٍ لَمْ يَزَلْ
فِي كُلِّ قَلْبٍ مُؤْمِنٍ اكْبَارُهُ
يُزْجِي السَّحَابَ لِمَنْ يَشَاءُ مَتَى يَشَاءُ
مَاءٌ تُطَلُّ مِنَ الْغُصُونِ ثِمَارُهُ
وَمَرَاتِعُ مِلءِ الْعُيُونِ نَضَارُهُ
سَارَ النَّسِيمُ بِهَا فَطَابَ مَسَارُهُ
أَنْى التَّقَتَّ رَأَيْتَ فَيُضَاءُ مِنْ سَنَى
وَسَرَّيْتُ فِي كَوْنٍ زَهَتْ أَقْمَارُهُ
وَسَمِعْتَ مُوسِيقَى الطَّبِيعَةِ هَمْسَهُ
وَحَرِيرَ نَهْرٍ صَاحِبِ تَيَّارُهُ
وَعِنَاءَ شَخْرُورٍ وَسَجَّ حَمَامَةٍ
وَنَدِيمَ حَيٍّ أَطْرَبَتْ أَسْمَارُهُ
يَنْسَى أَسَاهُ أَخُو الْأَسَى فِي حِضْنِهِ
وَتَذُوبُ فِي أَعْرَاسِهِ أَكْدَارُهُ
يَجْرِي الصِّغَارُ بِهِ كَمَا شَاءَ الْهَوَى
وَيَعِيشُ عُمْرَهُمُ الْجَدِيدَ كِبَارُهُ
أَطْيَافُ فِتْنَتِهِ عَرَائِصُ عَبْقَرٍ
مَجْلُوءَةٌ يَزْهُو بِهَا آذَارُهُ
يَمْضِي الزَّمَانُ كَمَا يَجِي وَرَبِيعُهُ
بَاقِيَةٌ بِقُلُوبِنَا آثَارُهُ

وَسَبَابُ عُمْرِكَ فِي الْحَيَاةِ رَبِيعُهُ
فَإِذَا انْقَضَى لَمْ يَبْقَ مَا تَخْتَارُهُ !
مَنْ لَا يُحِسُّ وَلَا يَرَى آيَاتِهِ
أَعْمَى، وَإِنْ كَشَفَ السُّهَاءَ مِنْظَارُهُ !



لِلَّهِ فَاسٌ ! فِي الرَّبِيعِ وَنَهْرُهَا
(رَقْرَاقٌ) تَوْمِضُ بِالسَّنَا أَحْجَارُهُ
يَجْرِي كَمَا تَجْرِي الْحَيَاةُ مُسَافِرًا
لَا يَشْتَكِي، أَوْ تَنْتَهِي أَسْفَارُهُ !
وَعَلَى الصَّفَافِ أَرَايَكَ مِنْ سُنْدُسٍ
أَلْقَتْ جَدَائِلَهَا بِهَا أَبْكَارُهُ
صُورُ الرَّبِيعِ بِهِ رُؤَى شَعْرِيَّةً
وَمَوَاقِبُ حَفَلَتْ بِهَا أَعْمَارُهُ
شَوْقِي إِلَيْهِ - وَإِنْ نَأَيْتُ - مُبْرَحٌ
وَبِأَعْيُنِي - مِثْلَ الْجَنَانِ - دِيَارُهُ



حَلَّ الرَّبِيعُ، فَتَّارَ فِي أَعْمَاقِنَا
جُرْحٌ عَلَى مَرِّ الْفُصُولِ مَدَارُهُ

أَطْفَالُنَا فِي الْقُدْسِ لَمْ يَسْتَمْتِعُوا
بِشَذَا الرَّبِّيعِ وَلَمْ تَنْمِ أَحْرَارُهُ
وَالْمَوْتُ يَحْصِدُهَا بَرَاعِمَ غَضَّةٍ
لَمْ يَتْنَهَهَا الْبَاغِي وَلَا اسْتَكْبَارُهُ
وَالنَّصْرُ لِلْأَبْطَالِ آتٍ وَاعِدٌ
وَالظُّلُمُ حُلْمٌ لَا يَطُورُ نَهَارُهُ
هَذَا الرَّبِّيعُ ! فَكَيْفَ يَفْرَحُ عَالَمٌ
لَا تَنْطَفِي بِالْحَقِّدِ فِينَا نَارُهُ ؟
وَبَائِي عَيْنٍ يَنْظُرُونَ لِحُسْنِهِ
وَهُمُ خَرَابُ دِيَارِهِ وَدَمَارُهُ ؟
لَيْتَ الرَّبِّيعَ أَحَالَ دُنْيَانَا إِلَى
وَاحَاتِ حُبٍّ، وَانْمَحَتْ أَشْرَارُهُ
وَأَعَادَ لِلْإِنْسَانِ إِنْسَانِيَّةً
قَدْ مَزَقَتْ أَقْدَاسَهَا أَظْفَارُهُ !
وَمَتَى سَيُرسِي مَرْكَبٌ فِي شَطْطِهِ
إِنْ كَانَ مُعْتَسِفاً بِهِ بَحَارُهُ ؟
مَرْحَى بِوَجْكَ يَا رَبِّيعُ فَمَوْطِنِي
بِحُلُولِ رُكْبِكَ تَزْدْهِي أَقْطَارُهُ
فَأَقْضِ نَدَاكَ فَأَنْتَ نَبْعُ حَيَاتِهِ
وَبِمَا تَجُودُ بِهِ يَسِيرُ قِطَارُهُ

نَدَاءُ الرَّبِّيعِ

وَلَى الشِّتَاءُ، وَفِي جَوْفِ الثَّرَى نُطْفٌ
جَنِينُهَا بِالرَّبِّيعِ الْيَوْمَ يَكْتَمِلُ
تَعَهَّدَتْهُ غَوَادِي السُّحُبِ هَامِيَةً
حَتَّى اسْتَوَى مِنْهُ سَاقُ نَاعِمٍ خَضِلُ
وَأَفْتَرَّ مَبْسِئُهُ الْمَوْرُودُ عَنْ فَلَقِ
وَاخْتَالَ بَيْنَ السَّوَاقِي عِطْرُهُ الْجَذِلُ
وَضَمَخَ الْأَرْضَ طَيِّبًا، فَالْوُجُودَ بِهِ
وَقَدْ تَضَوَّعَ فِي أَسْحَارِهِ ثَمَلُ
وَقَبَّلَ النَّحْلُ - مُشْتَاقًا - مَرَاشِفَهُ
فَكُلَّ مَا فِي خَلَايَا شُهُدِهِ قَبْلُ !
لَمْ يُرَوْ غُلَّتَهُ مِنْ زَهْرِهِ نَهْلُ
وَلَيْسَ يُشْبِعُهُ مِنْ خَمْرِهِ عَلَلُ
وَالطَّلُّ يَنْسَابُ رَقْرَاقًا عَلَى بُسْطِ
مُخَضَّرَةٍ فِي حَوَاشِي بُرْدِهَا خَمَلُ
وَالنِّسَائِمُ هَبَّاتٌ مُوشِوشَةٌ
كَأَنَّهَا لَرَّبِّيعٍ وَأَفِيدٍ رُسُلُ !
وَالْمِيَاهُ خَرِيرٌ لَحْنُهُ نَغَمُ
مُرْغَرْدٌ هُوَ فِي شَلَالِهَا زَجَلُ

أَوْدَى الشِّتَاءُ بَعْشٍ كَانَ يَسْكُنُهُ
 فَهَبَّ يَبْنِيهِ لَمْ يَقْعُدْ بِهِ مَلٌّ
 وَلَى الشِّتَاءُ الَّذِي عَرَى خَمَائِلَهُ
 وَالْيَوْمَ تَكْسُو عَرَايَا رَوْضِهِ الْحُلَّ !



هَذَا الرَّبِيعُ حَيَاةٌ قَبْلَهَا سِنَةٌ
 لِلْأَرْضِ فِيهَا وَإِنْ ضِقْنَا بِهَا، شُغْلُ
 تَصَوُّغٍ، فِي غَيْبَةٍ عَنَّا - مَبَاهِجَهَا
 دُؤُوبَةٌ فِي سُكُونٍ مِلْؤُهُ الْعَمَلُ
 سُكُونُهَا ثَوْرَةٌ فِي الْعُمُقِ مُبْدِعَةٌ
 وَعَالَمٌ آخَرٌ يَبْنِي وَيَشْتَغِلُ !
 لَأَشْيَاءَ فِيهَا بِمَيِّتٍ مِنْ أَجْنَتِهَا
 وَإِنْ تَرَاحَى بِهَا فِي غَيْبِهَا الْأَجَلُ
 وَالْحُبَّ فِيهَا بِدِفْئِهِ الْحُبُّ تُنْبِتُهُ
 سَنَابِلًا بِرِبَاطِ الْوُدِّ تَتَّصِلُ
 هَذَا الرَّبِيعُ حَوَالَيْنَا مَفَاتِنُهُ
 خَمَائِلًا هِيَ فِي خُضْرِ الرَّبِيِّ ظَلَلُ
 أَطْيَافٍ بِهَجَّتِهِ فِي الْعَيْنِ مَائِلَةٌ
 عَرَائِسًا، مَا لَهَا فِيمَا رَأَتْ مَثَلُ

لَا شَيْءَ يَمْلَأُ عَيْنِي مِثْلَ رَوْعَتِهَا
 وَالسَّهْلُ قَدْ غَارَ مِنْ نَيْرُوزِهِ الْجَبَلُ
 أَنَّى التَّفَتَّ رَأَتْ عَيْنَاكَ رَائِعَةً
 فِي كُلِّ قَلْبٍ وَوَجْدَانٍ لَهَا نُزْلُ
 رَبِيعِ أَرْضِي الَّتِي عَانَقْتُ تُرْبَتَهَا
 جَنَّاتُ خُلْدٍ إِلَيْهَا تَطْمَحُ الْمُقَلُّ
 لَوْ يَشْتَهِي الْمَرْءُ فِرْدَوْسًا يَقِيمُ بِهِ
 مَا كَانَ عَنْ خُلْدِهَا الْمَوْعُودِ يَنْتَقِلُ
 هَبَّتْ نَسَائِمٌ مِنْ فَاسٍ تُذَكِّرُنِي
 رَبِيعَهَا بِسُبُو وَالزَّرْعُ مُكْتَمَلُ
 تَبْدُو سَنَابِلُهُ الْخَضِرَاءُ مُرْهَقَةً
 كَأَنَّهَا حَبَائِلَاتٌ آدَهَا الْحَبْلُ !
 مَرَابِعٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْعَيْنِ خُضِرَتْهَا
 تَجَلَّو رَوَائِعُهَا الْأَسْحَارُ وَالْأَصْلُ
 مَا هَبَّ رِيحُ صَبَا إِلَّا وَذَكَرْنِي
 رَبِيعَ فَاسٍ وَإِخْوَانًا بِهَا ارْتَحَلُوا !



هَذَا الرَّبِيعُ نِدَاءٌ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
 مَرْضَى الْقُلُوبِ وَلَا يَدْرِيه مَنْ جَهْلُوا

لِلْحُبِّ تَدْعُو بَنِي الدُّنْيَا أَزَاهِرُهُ
وَاللِّصَفَاءِ، وَلِلْسَّلَامِ الَّتِي ابْتَذَلُوا
مَتَى يَحُلُّ رَبِيعٌ لَأَزْهُورَ بِهِ
إِلَّا سَلَامٌ بِهِ قَدْ يُزْهِرُ الْأَمَلُ !
فَالزَّهْرُ يَذْبُلُ - إِنْ لَمْ يُسَقَ - مِنْ ظَمًا
وَالنَّاسُ مِنْ فَقْدِهِمْ لِلْحُبِّ - قَدْ ذَبَلُوا!
مَتَى تَهَبُّ عَلَى الدُّنْيَا نَسَائِمُهُ
وَتَحْتَفِي بِالسَّلَامِ الْعَائِدِ الدُّوَلُ ؟
فَلَا رَبِيعٌ وَلَا عِطْرٌ سَيُنْعِشُنَا
بِغَابَةِ لَمْ يَعِشْ فِي ظِلِّهَا حَمَلُ !
حُمَاتُهَا ! نَصَبُوا لِلْعَدْلِ أَنْفُسَهُمْ
يَا لَيْتَهُمْ مَرَّةً فِي حُكْمِهِمْ عَدَلُوا !
يَا لَيْلُ أَصْبَحِ ! فَقَدْ تَاهَتْ مَرَاجِبُنَا
وَضَلَّ رُبَّانُهَا، وَاعْوَجَّتِ السُّبُلُ
هَذَا الرَّبِيعُ ! وَلَكِنْ مَنْ يُحْسُ بِهِ
وَمَنْ بِمَوْلِدِهِ هَذَا سَيَحْتَفِلُ ؟
وَأَيَّ عَيْنٍ تَرَى آيَاتِ رَوْعَتِهِ
فِي عَالَمٍ مُتَخَنٍ بِالْحَقْدِ يَقْتَتِلُ ؟!

فِي رِيَاضِ ابْنِ زَيْدُون

إِنِّي شَمِمْتُ مِنَ (الْعَرِيفِ) عَبِيرًا
وَذَكَرْتُ فِيهِ حَضَارَةً وَمَصِيرًا
هَبَّتْ عَلَيَّ نَسَائِمٌ مَخْمُورَةٌ
فَوَجَدْتَنِي ثَمَلًا بِهَا مَخْمُورًا
وَلَمَحْتُ خَلْفَ الْعُدُوتَيْنِ مَعَالِمًا
وَرَأَيْتُ ثُمَّ مَعَاقِلًا وَثُغُورًا
وَذَكَرْتُ فِرْدَوْسِي الْفَقِيدَ وَأُمَّتِي
فِيهِ وَطَارِقَ فَتْحِهِ الْمَنْصُورًا
وَأَجَلْتُ طَرْفِي فِي قُصُورِهِمُ الَّتِي
شَادُوا رَوَائِعَهَا فَلَحَنَ قُبُورًا
فَتَحَتْ لِصَقْرِ وَافِدٍ أَبْوَابَهَا
وَحَبَّتْهُ جَنَّتُهَا فَعَاشَ قَرِيرًا
مَجْدٌ طَوَّتُهُ يَدُ الزَّمَانِ كَأَنَّهُ
مَا كَانَ يَوْمًا زَاهِيًا مَنَشُورًا
جَفَّ الرُّوَاءُ فَلَا مَرَاتِعَ لِلْهَوَى
فِيهَا وَلَا دُنْيَا تَفِيضُ حُبُورًا
طَبَعَ الْأَسَى أَطْلَالَهَا فَكَأَنَّهَا
خَرَسَاءُ أَفْقَدَهَا الْأَسَى التَّغْيِيرَا !

وَكَاَنَّمَا لَمْ يَشُدْ فِيهَا شَاعِرٌ
صَبٌّ وَلَمْ يَصْدَحْ بِهَا شُحْرُورًا
وَكَاَنَّمَا لَمْ تَشْهَدْ الدُّنْيَا بِهَا
مِيْلَادَ حُبِّ عَطَّرَ الْمَعْمُورًا
جَلَسَ ابْنُ زَيْدُونَ عَلَى عَرْشِ الْهَوَى
فِيهَا وَبَايَعَهُ النَّسِيبُ أَمِيرًا
ذَابَتْ بِلَوْعَتِهِ الْقُلُوبُ وَفَجَّرَتْ
أَشْعَارُهُ إِحْسَاسَهَا تَفْجِيرًا
إِشْبِيلِيَا تَاهَتْ عَلَى أَخْوَاتِهَا
بِأَبِي الْوَلِيدِ مَتِيمًا مَبْهُورًا
ذَابَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ آهَاتُ الْهَوَى
شِعْرًا كَأَزْهَارِ الرَّبِيعِ نَضِيرًا
حَلَّى بِهِ جِيدَ الزَّمَانِ وَعَاشَ فِي
فِرْدَوْسِهِ قَيْسَ الْهَوَى الْمَشْهُورًا
رَقَّتْ غَلَائِلُ شِعْرِهِ فَكَأَنَّهَا
أَنْفَاسُ رَوْضٍ جِئَتْهُ مَمْطُورًا
تُصْغِي إِلَى أَجْرَاسِهِ فِي نَشْوَةٍ
تَنْسَى بِهَا إِبْدَاعَهُ الْمَنْثُورًا
أَبَا الْوَلِيدِ جُزِيَتْ عَنْ وَلَادَةٍ
لَوْ لَكَ كَانَتْ كَاِنْتًا مَغْمُورًا

أَحْبَبْتُهَا مَتَّصَوْفًا وَوَهَبْتُهَا

قَلْبًا مَلِيًّا بِالْوَفَاءِ كَبِيرًا

فَتَحَتِ لِعَاشِقِهَا الْمَتِيمِ قَلْبَهَا

فَأَقَامَ فِي وَاحَاتِهِ مَسْجُورًا

قَلْبَانِ لَفَّهُمَا الْهَوَىٰ فِي بُرْدِهِ

وَتَخَضَّعَا عَبْقًا وَشَعًّا نُورًا

صَافَتْهُ أَحْيَانًا وَأَظْلَمَ صَفْوَهَا

حِينَئِذَا فَكَانَ الْعَاشِقُ الْمَهْجُورًا

وَجَثَا (ابْنُ عَبْدِوَسٍ) عَلَى أَقْدَامِهَا

مُتَذَلِّلًا مُتَشَفِّيًا مَوْتُورًا

إِنْ يَأْخُذِ الْعَبْدُوسُ مِنْ مَجْنُونِهَا

بَعْضًا فَقَدْ أَعْطَتْهُ لَيْلَاهُ الْكَثِيرَا !

مَاذَا دَهَى وَلَادَةٌ ؟ أَفَتَرْتَضِي

عَنْ شَاعِرِ الْحُبِّ ابْنَ عَبْدِوَسِ الْوَزِيرَا ؟

مَا كَانَ إِلَّا سَارِيًّا فِي دُجْنَةِ

لَمَّا رَأَى رَأَى أَنْتِ النُّورَا !

وَأَحَبَّ شَاعِرَةً كَأَنْفَاسِ الصَّبَا

خُلُقًا وَأَنْسَامِ الْأَصِيلِ شُعُورَا

مَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَ حُسْنُكَ أَمْرًا

أَعْلَى وَكَانَ فُؤَادُهُ الْمَأْمُورَا ؟

وَلَا دَةَ ! يَا بَرْزَةَ الْوَجْهِ الَّذِي
 نَسَجَ الْجَمَالَ حِجَابَهُ الْمُسْتُورَا
 هَلْ كَانَ قَصْرُكَ غَيْرَ نَادٍ ضَمَّ مِنْ
 عُشَّاقِ قَلْبِكَ أَنْجُمًا وَبُذُورَا ؟
 جُمِعَتْ أَمَانِي الرُّوحِ فِيكَ فَحَوِّمُوا
 فِي مُنْتَدَاكِ الْمُسْتَطَابِ طُيُورَا
 وَغَدَوْتَ مَطْمَحَ كُلِّ طَرْفٍ عَاشِقٍ
 يَرْتَدُّ عَنْكَ إِذَا رَأَى حَسِيرَا



زَهْرَاءُ يَا بَلَدَ الْهَوَى وَمَزَارَهُ
 جَدَّدَتْ فِي قَلْبِ الْعَمِيدِ سَعِيرَا
 لَمْ تُنْسِهِ جَنَاتُكَ الْخَضْرَاءُ وَهِيَ
 فِي مَفَاتِنُ تَدْعُ الْوُقُورَ غَرِيرَا
 تِلْكَ الَّتِي احْتَجَبَتْ وَظَلَّ جَمَالَهَا
 فِي كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ مَنْظُورَا !
 لَمْ تُنْسِهِ بِرُؤَاكِ سَاحِرَةِ الرُّؤَى
 لَكِنْ شَدَّدَتْ جَنَاحَهُ الْمَكْسُورَا
 فَسَقَى رُبَّكَ بِشِعْرِهِ وَدُمُوعِهِ
 وَشَكَا إِلَيْكَ فُؤَادَهُ الْمَقْطُورَا

لَا الْأَرْضُ فِي الزَّهْرَاءِ تُشَبِّهُ رَوْضَهَا

خَضِلاً وَلَا هَذِي الطُّيُورُ طُيُوراً

هِيَ جَنَّةٌ لَكِنَّهُ يَحْيَا بِهَا

كَالطُّيْرِ فِي قَفْصِ الْجَمَالِ أُسِيرَا

لِلَّهِ حُبٌّ لَمْ يَزَلْ مَتَوَهَّجاً

كَالنُّورِ يَخْتَرِقُ الْفَضَاءَ مَسِيرَا

سَيَظِلُّ فِي دُنْيَا الْهَوَى أُمُتُولَةً

تُرَوَّى وَدُسْتُورَ الْهَوَى الْمُسْطُورَا

الوادي الكبير

عَبَقُ الْفِرْدُوسِ فِي الْوَادِي الْكَبِيرِ وَعَبِيرُ الْعُرْبِ فِي الْمَجْدِ الْأَسِيرِ
جَدَّدَا لِي ذِكْرِيَّاتٍ لَمْ يَزَلْ
جُرْحُهَا يَسْكُنُ فِي قَلْبِي الْكَسِيرِ
ذَكَّرْتَنِي أُمَّةً شَرْقِيَّةً
هَبَطَتْ فِي الْغَرْبِ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ
نَوَّرُوا بِالْعِلْمِ أَرْضاً لَمْ تَكُنْ
لَتَرَى - لَوْلَاهُمُ - وَمُضَّةَ نُورِ
وَبَنَوْا أَمْجَادَهُمْ مِنْ شُهْبِ
مُشْرِقَاتٍ فَازْدَهَتْ عَبْرَ الْعُصُورِ
مَنْ تَرَاهُمْ عَبَرُوا بُوْغَازَهَا
فَغَذَا بِالْفَتْحِ فَخَرًا لِلْبُحُورِ ؟
مَنْ تَرَاهُ جَاءَ صَقِراً كَاسِراً
خَضَدَتْ شَوْكَتُهُ كُلَّ الصُّقُورِ ؟
يَا مَغَانِي الْمَجْدِ فِي أَنْدَلُسِ
وَلِيَالِيَهَا كَهَالَاتِ الْبُدُورِ !
هَزَنِي الشَّوْقُ لَدُنْيَاكِ الَّتِي
سَبَحَتْ فِي مَرَكَبَاتٍ مِنْ عُطُورِ

لَأَرَى التَّارِيخَ فِي أَطْلَالِهَا
يَسْكُبُ الْعِبْرَةَ مِنْ خَلْفِ السُّطُورِ
وَأَرَى فِيهَا قُصُوراً أَصْبَحَتْ
بَعْدَ إِذْ بَارِ اللَّيَالِي كَالْقُبُورِ !
فَهِىَ كَالْخَرَسَاءِ فِي أَعْيُنِهَا
دَمْعَةُ الْحُزْنِ وَمَأْسَاةُ الْمَصِيرِ !

* ● *

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي نَعِيمٌ وَافِـــــــرٌ
وَأَرِفُ الظِّلِّ نَقِيٌّ كَالْغَدِيرِ ؟
وَعَشَايَا الْإِنْسِ فِي غَرْنَاطَةٍ
بَيْنَ أَشْجَارٍ وَأَوْتَارٍ وَحُورِ !
وَصَبَايَا حَالِمَاتٍ نَشَرَتْ
فَوْقَ بُسْطِ الزَّهْرِ أَمْوَاجَ الشُّعُورِ
وَشَذَا الْأَزْهَارِ فِي أَجْوَائِهَا
عَنْبُرٌ يَسْبَحُ فِيهَا وَبَخُورِ
فَتَنٌ يَفْقَدُ فِيهَا قَلْبَهُ
جَامِحُ الْقَلْبِ وَيَخْشَاهَا الْوَقُورِ
أَوْحَشَتْ مُذْ أَقَلْتُ أَقْمَارَهَا
وَخَلْتُ مِنْ أَنْسِهَا تِلْكَ الْقُصُورِ !

لَمْ يَعُدْ يُسْمَعُ فِيهَا وَتَرَّ
أَوْ يُغَرَّدُ بُلْبُلٌ فَوْقَ الزُّهُورِ
حَوَّامَ الْبُومِ عَلَى أَبْرَاجِهَا
وَطَوَّاهَا الْمَوْتُ مِنْ غَيْرِ نَشُورِ
وَرَوَى التَّارِيخُ عَنْهَا قِصَّةً
سَكَنْتَ مَأْسَاتُهَا كُلَّ الصُّدُورِ !
فَكَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ وَلَمْ
يَكْ فِيهَا لِابْنِي الْعُرْبِ حُضُورِ !
إِنْ جَلَّوْا عَنْهَا وَغَابُوا فَلَهُمْ
فِي مَغَانِيهِمْ شُخُوصٌ وَظُهُورِ !
كُلُّ شَيْءٍ يَتَرَاى لَكَ فِي
فَنَهِهَا الزَّاهِي إِشَارَاتٍ مُرُورِ !
وَلِسَاناً عَرَبِيّاً نَاطِقاً
وَدَمّاً يُوشِكُ فِيهَا أَنْ يَثُورِ !

* ● *

كَمْ شَدَا فِيهَا ابْنُ زَيْدُونَ عَلَى
فَنَنِ الْحُبِّ فَنَنَّاغْتَهُ الطُّيُورِ
مَنْحَتُهُ حُبَّهَا وَلَادَّةُ
صَافِي الْمَنْهَلِ عَذْباً لَا يَغُورِ

خَلَّدَتْهَا فِي الْهَوَى أَشْعَارُهُ

مَثَلًا يَبْقَى عَلَى مَرِّ الدَّهْوَورِ

وَشَدَا زُرْيَابٌ فِي أَبْهَائِهَا

مَا تَغَنَّتْ بِهِ رَبَّاتُ الْخُدُورِ !

كَمْ أَتَاهَا (يُوسُفُ) فِي جُنْدِهِ

يَعْبُرُ الْبَحْرَ إِلَيْهَا وَالْجُسُورِ !

ذَبَّ عَنْهَا كُلُّ طَاغٍ وَحَمَى

بَيْضَةُ الْإِسْلَامِ كَاللَّيْثِ الْهَاصُورِ

لَمْ يَكُنْ يَكْبَحُ عَنْ أَعْدَائِهَا

خَيْلُهُ حَتَّى تُوَارِيَهَا الْجُحُورِ !



شَدَّتِ الْقَلْبَ إِلَى حَمْرَائِهَا

وَخَرِيرُ الْمَاءِ لِلْأُسْدِ زَيْيرِ !

وَشَمِمْتُ الزَّهْرَ مِنْ زَهْرَائِهَا

فَارْتَشَفْتُ الرَّاحَ مِنْ ثَغْرِ الْعَبِيرِ

مَخْوفٌ لِلْجُسْنِ إِلَّا أَنَّهُ

مَاتَمَ فِي الْقَلْبِ مَوْصُولِ السَّعِيرِ

هَاهُنَا كَانَ رِجَالٌ وَدَّعُوا

تَارِكِينَ الْمَجْدَ وَالْعِزَّ الْوَفِيرِ

أَسْكَرَتْهُمْ نَشْوَةُ الْعِزِّ فَمَا
 فَارَقُوا النَّشْوَةَ إِلَّا بِالنَّفِيرِ !
 مَنْ يَمْتَ حُزْناً عَلَى فَقْدَانِهَا
 لَمْ يَمِتْهُ غَيْرُ وَعْيٍ فِي الضَّمِيرِ
 أَيْنَ فِي الْفِرْدَوْسِ مُلْكُكَ بَازِحٌ
 كَانَ لِلْإِسْلَامِ وَالْعُرْبِ النَّصِيرُ ؟
 خَفَقَتْ رَايَاتُهُ عَالِيَهُ
 وَارْتَوَى مِنْ صَاحِبِهِ كُلُّ مُغِيرِ
 كُلِّ شَيْءٍ رَاحَ إِلَّا دِمْنُكَ
 وَقَصُوراً كَدَمَى الطِّفْلُ الْغَرِيرِ
 تَلَهُمُ الشُّعْرَ وَتَدْعُو لِلْبُكَاءِ
 بِدَمِ الْقَلْبِ، وَبِالصَّوْتِ الْجَهِيرِ !
 كُلُّ شَيْءٍ غَابَ ! لَا جُنْدٌ وَلَا
 مَوْكِبٌ يَزْهُو. وَلَا عَرْشُ أَمِيرِ !



مَنْ رَأَتْ عَيْنَاهُ يَوْمَ ارْتَحَلُوا
 وَهُمْ وَبَيْنَ طَرِيدٍ وَأَسِيرِ !
 وَدَّ لَوْ كَانَ أَعْمَى لَا يَرَى
 دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ فِي النَّزَعِ الْأَخِيرِ !

خَلَعُوا أَلْبَسَةَ الْعِزِّ الَّتِي
أَلْفَوْهَا وَنَسُوا الْمَهْدَ الْوَتِيرَ
وَإِذَا مَنْ كَانَ فِي الْأُمْسِ بِهِ
يَسْتَجِيرُ النَّاسَ يَسْعَى لِلْمُجِيرِ !

* ● *

هَكَذَا خُلِقَ اللَّيَالِي صَفْوَهَا
غَيْرُ مَأْمُونٍ، وَدَوْلَابٌ يَدُورُ
لَيْسَ يَبْقَى حُزْنٌ مَحْزُونٌ بِهَا
أَبَدَ الدَّهْرِ، وَلَا يَبْقَى سُرُورُ
فَسَقَى اللَّهُ رَبِّي ضَمَخَهَا
دَمٌ قَوْمِي، وَسَقَى تِلْكَ الصُّخُورُ
كَمْ رِجَالٍ ضَرَجُوا أَرْجَاءَهَا
بِدِمَاهُمْ، وَحَمَوْا فِيهَا الثُّغُورُ !
وَتَحَدَّوْا عُصَبَ الشَّرْكَ بِهَا
فِي الْوَعَى مُنْقَضَةً مِثْلَ النُّسُورِ
مَا عَلَى قَوْمِي بَأْسٌ إِنْ كَبَا
بِهِمُ الدَّهْرُ فَلِلدَّهْرِ عُنُورُ !

* ● *

يَا رُبُّوَعِ الْمَجْدِ فِي أَنْدَلُسٍ
إِنَّ عُمَرَ الْمَجْدِ فِي الدُّنْيَا قَصِيرُ !
كَلَّمَا هَبَّتْ نُسَيْمَاتُ صَبَا
كَدْتُ مِنْ شَوْقِي لِدُنْيَاكِ أَطِيرُ !

غَرْنَاطَة

لِغَرْنَاطَةٍ مِنْ شَوْقِهَا تَتَحَرَّقُ
كَأَنَّ سَنَاهَا أَنْجَمٌ تَتَأَلَّقُ
وَالْحَانَةُ مِنْ نَهْرِهَا تَتَدَفَّقُ
مِثْلًا لِمَنْ يَهْوَى الْجَمَالَ وَيَعْشَقُ
تُعَانِقُهَا الْأَمْوَاجُ وَهِيَ تُصَفِّقُ
تَسِيرُ الْهُوَيْنَى وَهِيَ كَالسَّهْمِ تَمْرُقُ!
يَكَادُ يُحْيِي الْوَافِدِينَ وَيَنْطِقُ
وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ بِغَمْدٍ مُطَوَّقُ
كَمَا قِيلَ صَقْرٌ كَاسِرٌ لَيْسَ يُلْحَقُ
وَفِي الْعَيْنِ دَمْعٌ جَامِدٌ يَتَرَفَّرُقُ
وَقَلْبِي فِي الْحَمْرَاءِ بِالْحُبِّ مُوْتَقُ

*

وَجَادَكَ فِي كُلِّ الْمَوَاسِمِ غَيْدُقُ
مَدَى الدَّهْرِ لَا تَفْنَى وَلَا هِيَ تَخْلُقُ
وَعَادُوا حَدِيثًا لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ
وَفِي كُلِّ أَفْقٍ فِيهِ يَطْلُعُ مَشْرِقُ
وَأَنْسَامُهَا بِالطَّيِّبِ تَسْرِي وَتَعْبُقُ
وَكَدْتُ بِشَلَالِ الْمَدَامِيعِ أَغْرُقُ !

نَسِيرُ إِلَى غَرْنَاطَةٍ وَقُلُوبَنَا
مَغَانٍ غَرَسْنَا فِي ثَرَاهَا مَعَالِمًا
سَلَامٌ عَلَى زُرْيَابٍ فِي عِرْصَاتِهَا
سَلَامٌ عَلَى وَلَادَةٍ وَأَدِيبِهَا
عَبَرْنَا لَهَا مِنْ سَبْتَةٍ فِي سَفِينَةٍ
نَحَالُ مِنَ الشَّوْقِ الْمُبْرَحِ أَنَّهَا
رَأَيْتُ بِهَا الصَّقْرَ الْمُحَلَّقَ فِي الْعُلَى
عَلَى رَأْسِهِ الْمَرْفُوعِ لُقَّتْ عِمَامَةٌ
مَلَامِحُهُ السَّمْرَاءُ تُنْبِئُ أَنَّهُ
وَقَفْتُ بِقَلْبِي فِي مُضْلَاهُ خَاشِعًا
وَعُدْتُ وَفِكْرِي فِي الْجَزِيرَةِ سَابِحُ

*

سَقَتْ أَرْضُكَ الْخَضْرَاءَ كُلَّ غَمَامَةٍ
وَبُورِكَ قَوْمُ الْبُسُوكِ مَفَاخِرًا
طَوْتَهُمْ يَدُ الْأَيَّامِ طَيِّ صَحَائِفِ
جَمَالِكَ غَرْبِي الْمَلَامِحِ آسِرُ
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الرُّبَى وَزُهُورِهَا
إِذَا زُرْتَهَا أَحَسْتُ فِي الْقَلْبِ حُرْقَةً

تحية(*)

أَنْدَلُوسِيَا ! يَا مُلْتَقَى الْفِكْرِ وَالشَّعْرِ
— رِ، وَيَا حُلْمَ الْمُبْدِعِ الْفَنِّانِ
يَا مَغَانِي الْفَرْدَوْسِ زَارِكِ صَبِّ
شَاعِرِ الْقَلْبِ طَافِحِ الْوَجْدَانِ
طَارَ شَوْقاً إِلَيْكَ وَهُوَ عَلِيلٌ
وَتَدَانَتْ بِشَوْقِهِ الْعُدُوتَانِ
مِنْ هُنَا مَرَّ مَوْكِبٌ عَرَبِيٌّ
وَتَغَنَّى زُرِّيَابٌ أَحْلَى الْأَغَانِي
وَرَوَى الْحُبُّ لَابِنَ زَيْدَانَ آيَا
تِ بَيَّانٍ تَقُوقُ كُلَّ بَيَّانٍ
مَجَّدَ الْحُبِّ فِي خُشُوعٍ وَنَاجِيٍّ
بِالْقَوَافِي جَمَالَكَ الرُّوحَانِي
كَمْ تَغَنَّتْ حَمَائِمُ الشُّعْرِ جَذَلِي
بَيْنَ عُودٍ مُغَرَّدٍ وَحِسَانِ
وَاللِّيَالِي الْمَلَا حُ شِعْرٌ وَأَسْمَا
رٌ وَأَنْسُ عَلَى رَيْنِ الْمَثَانِي

(*) أَلْقَيْتُ بِهِ السَّبَاعَ بِالْحَمَاءِ فِي أَكْتُوبَرِ سَنَةِ 1990.

فَرَعَى اللّٰهُ يَابْنَ زَيْدُونَ عَهْدًا
 عَبَقَرِي الرَّوَى وَصِيَّ الْأَمَانِي
 أَيَّ مَجْدٍ تَرَى عُيُونِي مُضِيئًا
 مَشْرِقَ الْوَجْهِ شَامِخَ الْبُنْيَانِ ؟
 أَيَّ مَاضٍ يَطْلُ مَا زَالَ حَيًّا
 مَآثِلًا - وَهُوَ غَائِبٌ - لِلْعِيَانِ ؟
 هَبَطَ الشَّرْقُ هَاهُنَا يَغْرِسُ الْخَيْ -
 - رَ ، وَيَبْنِي مَعَاهِدَ الْعِرْفَانِ
 وَيُعَلِّي بِالْحُبِّ وَالسَّلَامِ مَا لَمْ
 يُعَلِّ بِالْحَقِّدِ وَالْعَدَاوَةِ بَانِي !
 فِي مَزِيحٍ مِنْ عَبَقَرِيَّةِ شَعْبِ
 عَرَبِيٍّ وَمُبْدِعِ اسْبَآنِي
 بِسَوَى الْحُبِّ وَالتَّسَامُحِ مَا كَانِ
 نَ لِحَيَا بِأَرْضِكُمْ دِينَانِ !
 هَا هُنَا تَرُقُدُ الْحَضَارَةُ وَالْمَجْدُ -
 - دُ الَّذِي شَادَهُ بَنُو مَرْوَانِ
 إِنْ يَكُونُوا مَضَوْا فَفِي كُلِّ قَصْرِ
 شَيْدُوهُ مُحَدَّثٌ بِلِسَانِ !
 رَفَرَفَ الْحُبِّ فِي فَضَائِكِ نَشُوءًا
 نَ وَأَضْفَى عَلَيْكَ ظِلَّ الْأَمَانِ
 فَسَلَامٌ عَلَى رُبَاكِ الزَّوَاهِي
 وَعَلَى عَهْدِ مَجْدِكَ الرِّيَّانِ

ذَكَرَانِي

ذَكَرَانِي إِنْ كُنْتُمَا تَذْكُرَانِ
بِالَّذِي مَرَّ مِنْ رَبِيعِ زَمَانِي
ذَكَرَانِي فَمَا أَنَا ذُو عُقُوقٍ
لِتُرَاثِي وَلَا بِذِي نُّكَرَانِ !
ذَكَرَانِي مَبَاهِجاً فِي بِلَادِي
مَا تَمَلَّتْ بِحُسْنِهَا عَيْنَانِ
عِنْدَ نَهْرٍ أَوْ جَدُولٍ أَوْ بَسَاطِ
سُنْدُسِي رَبِيعِي الْأَلْوَانِ
وَرِيَاضٍ شَدَا بِهَا كُلُّ صَدَا
حِطْرُوبٍ بِأَعْدَبِ الْأَلْحَانِ
وَالصَّبَايَا بَيْنَ الْحُقُولِ فَرَاشُ
يَرْتَوِي مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ
وَالرَّوَابِي الْخَضِرَاءُ يَشْدُو بِهَا الرَّا
عِي وَيَحْدُو طَلَائِعَ الْقِطْعَانِ
بَيْنَ غَابٍ وَبَيْنَ شَمْسٍ وَتَلْجِ
وَرِمَالٍ تَنْسَابُ فِي الشُّطَّانِ
وَجَمَالٍ يُضِيءُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
فِي سَمَاهَا فِي الرُّوضِ فِي الْإِنْسَانِ !

وَجَبَالَ تَرُوي مَلاحِمَ مَجْدٍ
خَلَدَتَهَا مَواكِبُ الشَّجَعانِ
صُورٌ مِنْ رَبِيعِ أَرْضِي لَا تَسْ—
مُو إِلَيْهَا أَنامِلُ الفَنانِ !



ذَكَرَني شَبابٌ عُمَرِ نَضِيرِ
بِاسِمِ الثَّغَرِ بِالمُنَى رِيانِ
تَاهَ بي فِيهِ زورَقٌ ضَلَّ مَسْ—
رَاهُ بِلا مَجْدَفٍ وَلَا رُبَّانِ
وَطُيُوفُ الأحلامِ كَالوَرْدِ تُوجِي
بِغَدٍ حَافِلٍ بِأَعْلَى الأَمَانِي
طَافَ بي طَائِفٌ مِنَ الشَّعْرِ مَازِلِ—
تُ أَعَانِي مِنْ مَسِّهِ مَا أَعَانِي !
كَلَّمَا قُلْتُ قَدْ جَفَانِي وَشُوفِي—
تُ أَتَانِي مُعَاوِدًا شَيْطَانِي !
فَكَأَنِّي بِغَيْرِ شَعْرِ كِتَابِ
تَرَكَوهُ عَمْدًا بِلا عُنْوانِ !
وَكَأَنَّ الحَيَاةَ مِنْ غَيْرِ أَوْزَا
نِ قَصِيدِ دُنْيَا بِلا مِيزَانِ !

وَبِقَلْبِي مِنْ عَاصِفِ الشُّعْرِ مَا تَعُ
 — جَزْ عَنْهُ بَلَاغَتِي وَبَيَانِي
 كَمْ شَجَانِي مِنْهُ هَزَارٌ بِلَحْنٍ
 مَوْصِلِي الْغِنَاءِ عَذْبِ الْمَعَانِي
 لَمْ يَضُرَّنِي أَنِّي قَدِيمٌ إِذَا كَا
 نَ قَدِيمِي يَمْتَحُ مِنْ وَجْدَانِي !
 رَبِّ ثَوْبٍ يَكْسُوكَ وَهُوَ مُعَارٌ
 أَنْتَ فِيهِ لِلنَّاسِ كَالْعُرْيَانِ !
 فَاَمْشِ فِي النُّورِ لَا يَلُفُّكَ لَيْلٌ
 مُذْلَهُمْ يُعْجِبُ بِالْعُمَيَّانِ !
 فَالْخَفَافِيشُ لَا تَرَى بِهِجَةَ النُّو
 رِ وَتَهْوَى الظَّلَامَ فِي الْأَكْوَانِ !



ذَكَرَانِي فَاسَاءً وَأَيَّامُهَا غُر
 ر وَضِيئَاتُ كَالْوُجُوهِ الْحَسَانِ
 وَرَبِيعاً بِهَا إِذَا حَلَّ فِيهَا
 أُيْقِظَ الشُّعْرَ وَالْهَوَى وَالْمَثَانِي !
 شَهِدَ الْعِلْمُ فِي مَجَالِسِهَا مَا
 شَهِدَتْهُ بَغْدَادُ مِنْ عِرْفَانِ !

لَيْتَ أَيَّامَهَا تَعُودُ وَتَرْهَوُ
بَيْنِيهَا قُصُورُهَا وَالْمَغَانِي
فَجَمَالُ الْبِنَاءِ أُبْلَغُ فِي الْحُسْنِ
— من إِذَا زَانَهُ جَمَالُ الْبَانِي !
فَرَعَى اللَّهُ عَهْدَهَا وَسَقَاهَا
بَصْبِيبٍ مِنْ غَيْثِهِ هَهُنَانِ
ذَكَرَانِي شَعْبًا تَدْفَقُ كَالسَّيْفِ
— لِ أَتِيًّا وَثَارَ كَالْبُرْكَانِ
وَاسْتَرَدَّ الْبِلَادَ بَعْدَ نِضَالِ
دَمَوِي بِشَعْلَةِ الْإِيْمَانِ
ثَوْرَةٌ مَا لَهَا مِثَالٌ وَلَا كَا
نَ لَهَا فِي الْمَلَأِجِمِ ثَانِ !



ذَكَرَانِي وَمَا نَسِيتُ وَلَكِنْ
أَتَنَاسَى لَعَلَّ أَنْ تُذَكِّرَانِي !
قَدَرُ مَا بَيْنَ أَنْ نَعِيشَ وَأَنْ نَرُ
حَلَّ يَوْمًا عَنْ بَعْضِنَا خُطُوتَانِ !
نَحْنُ فِي نَزْهَةٍ وَيَا حُسْنَهَا لَوْ
سَلِمْتَ لَحُظَّةً مِنَ الْأَحْزَانِ !
سَوْفَ نَمْضِي كَمَا أَتَيْنَا وَيَبْقَى
بَعْدَنَا مَنْ بَقَاهُ فَوْقَ الزَّمَانِ !

أَمَا أَنْ لِلْفَارِسِ أَنْ يَتَرَجَّلَ

أَمَا أَنْ لِلصَّقْرِ الْمُحَلِّقِ فِي الْعُلَى
 عَلَى قِمَمِ الْفِرْدَوْسِ أَنْ يَتَرَجَّجَ لَا ؟
 مُطِلاً مِنَ الْمَاضِي بِقَامَةِ فَارِسٍ
 وَمُرْهَفَ سَيْفٍ كَانَ فِي الْيَدِ مَشْعَلاً
 وَفِي هَامَةِ شَمَاءَ شُدَّتْ عِمَامَةٌ
 تُظَلِّلُ وَجْهًا أَسْمَرَ قَدْ تَهَلَّلَا
 وَتَحْتَ جَنَاحِ الصَّقْرِ قَلْبٌ يَحْتُمُهُ
 إِلَى الْغَرْبِ إِنْ حَدَّ الْخُطَى أَوْ تَمَهَّلَا
 رَأَى نَخْلَةً فِي الْغَرْبِ عَزَلَاءَ مَثَلَهُ
 كَأَنْ لَمْ يُشَاهِدْ مِثْلَهَا وَهُوَ فِي الْفَلَا
 فَحَنَّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَنَخِلَهَا
 وَقَلَّدَهَا شِعْراً مِنَ الدُّرِّ أَجْمَلَا
 وَحِيداً يُغِذُّ السَّيْرَ فِي رِحَالَتِهِ
 وَفِي صَدْرِهِ قَلْبٌ يُعَادِلُ جَحْفَلاً !
 شُدَّتْ إِلَى تِمْتَالِهِ وَرَأَيْتُ فِي
 مَلَامِحِهِ عِزاً وَمَجْداً تَمَثَّلَا

وَقَبَّلْتُ بُرْدًا لَفَّ أَطْيَبَ مَنَكِبٍ
وَأَكْرَمَ بِهِ بُرْدًا وَإِنْ شَقَّه الْبَلَى
كَأَنَّ عَلَى أَكْتَافِهِ كُلِّ مَا بَنَى
وَمَا شِيدَ مِنْ مَجْدٍ أَحْيَرًا وَأَوَّلًا
فَلِلَّهِ نَحَاتٌ ! أَعَادَ حَقِيقَةً
بِإِزْمِيلِهِ مَا كَانَ لِي مُتَخَيَّلًا
دَخَلْتَ كَمَا قَالُوا ! وَلَمْ يَكْ هِينًا
لَتَبْنِي هُنَا مُلْكًا، وَقَدْ كُنْتُ أَعْزَلًا
وَلَكِنَّكَ الصَّقْرُ الَّذِي يَمْلَأُ الْفَضَا
صَدَاهُ. وَلَا يَرْضَى لَهُ السَّفْحَ مَنْزِلًا
طَلَعَتْ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَشْرِقِ الْهُدَى
لِتَطْرُدَ لَيْلًا مِنْ هُنَا كَانَ أَلْيَا
نَزَلْتَ كَعِيسَى فِي بِلَادٍ وَجَدْتَهَا
مَوَاتًا بِلَا رُوحٍ. وَعَقْلًا مُعْطَلًا
فَأَنْشَأْتَهَا خَلْقًا جَدِيدًا وَأَصْبَحَتْ
مَنَارَةً إِشْعَاعٍ، وَغَيْثًا وَمَنْهَلًا
وَلَمْ يَكْ فِيهَا السَّيْفُ فِي السَّلَامِ مَقْصَلًا
وَلَا كَانَ فِيهَا فِي الْمَعَامِ مَغْزَلًا
رَفَعْتَ بِهَا لِلْعُرْبِ أَسْمَى حَضَارَةٍ
وَكَانَتْ لِدِينِ اللَّهِ وَالْعُرْبِ مَعْقَلًا

وَكَاثَتْ فَرَادِيسَا تَفِيضُ نَضَارَةً
وَكَاثَتْ نَعِيمًا طَابَ حُسْنًا وَمُجْتَلَى
فَحَيْثُ شَمِمْتَ الْعِطْرَ أَبْصَرْتَ رَوْضَةً
وَحَيْثُ سَمِعْتَ الطَّيْرَ أَبْصَرْتَ جَدْوَلًا
مَنْى النَّفْسِ فِيهَا ظِلُّ دَوْحٍ وَمِزْهَرٌ
وَمَجْلِسُ أَنْسٍ يَجْعَلُ اللَّيْلَ أَطْوَلًا
شَذَا الشِّعْرِ فِيهَا كَالزُّهْرِ مَتَى شَذَا
بِالْحَانِهِ زُرِّيَابٌ غَنَّى وَأَثْمَلًا



وَقَفْتُ عَلَى أَطْلَالِهَا وَكَأَنَّيْ
مُحِبٌّ أَتَى بَعْدَ الرَّجِيلِ لَيْسَالًا
وَلَوْ أَنَّي أَبْكِي بَعَيْنِي رَأَيْتَ لِي
دُمُوعًا عَلَى أَمْجَادِ قَوْمِي هُطَّلًا
وَلَكِنَّي أَبْكِي بِقَلْبٍ مَقْرَحٍ
بُكَاءَ التَّكَالَى قَدْ فَقَدَنَ الْمُعْوَلَا
رَأَيْتُ قُصُورًا لَيْتَنِي مَا رَأَيْتُهَا
فَقَدْ نَكَاتَ فِي الْقَلْبِ جُرْحًا تَوَغَّلَا

لَقَدْ كُنْتُ كَالصَّبِّ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ
تَسْلَى عَنِ الْحُبِّ الْقَدِيمِ وَمَا سَلَ !
بِكُلِّ مَكَانٍ آيَةً عَرَبِيَّةً
وَتَارِيخٌ مُجِيدٌ مَا يَزَالُ مُسْلَسَلًا
مَسَارِحُ عِزٍّ أَقْفَرَتْ بَعْدَ عِزِّهَا
وَقَلْعَةٌ مُجِيدٌ قَدْ هَوَى وَتَحَوَّلَا
وَفَنٌّ كَسَا أَبْهَاءَهَا مُتَحَدِّثٌ
بَلِغٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى مَا تَبَدَّلَا
مَعَالِمُ خُرْسٍ غَيْرَ أَنَّ لِسَانَهَا
جَوَامِعُ آيَاتٍ وَوَحْيٌ تَنْزَلَا
قَلَائِدُ مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ تَحُوطُهَا
فَلَلَهُ مَا أَبْهَى سَنَاهَا وَأَكْمَلَا !
مَضَتْ أَسَدٌ كَانَتْ هُنَاكَ رَوَابِضًا
وَأَبْقَتْ تَمَائِيلاً وَلَمْ تَكُ أَمْثَلَا !
وَأَيْدِي اللَّيَالِي لَا تَطِيَّشُ سَهَامُهَا
إِذَا مَارَمَتْ تَخْتَارُ لِلِسَهْمِ مَقْتَلَا
أَجَلْتُ عُيُونِي فِي مَطَارِحِ حُسْنِهَا
وَفِيهَا فُؤَادِي قَبْلَهَا قَدْ تَجَوَّلَا

فَأَبْصَرْتُ فَيْضاً مِنْ سَنَى مُتَوَهِّجاً
وَعَايَنْتُ رَوْضاً بِالْفَخَارِ مُكَلَّلاً
مَضَوْا وَغَوَالِي الْمَجْدِ وَالْفَنِّ مَا مَضَتْ
تَقْصُ عَلَى الْأَجْيَالِ مَجْداً مُرْتَللاً
سَلَامٌ عَلَى غَرْنِاطَةٍ وَقُصُورِهَا
وَمَاضٍ سَنِي مُسْتَطَابٍ بِهَا خَلَا
سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِنَا بِرُبُوعِهَا
وَعَيْشٍ نَضِيرٍ بَعْدَهَا قَطُّ مَا حَلَا

23 أكتوبر 1990

من وحي زيارتي للمنكب بالأندلس لتسلم جائزة ابن الخطيب
وقد وقفت بها على تمثال عبد الرحمن الداخل .

فِي ذِكْرِ ابْنِ الْفَاتِحِ إِدْرِيسَ

ذِكْرَاكَ

يَاهِبَّةً مِنْ صَبَا فَاسٍ وَوَادِيهَا
نَكَّرْتَنِي الْغُرَّ مِنْ أَيَّامِ مَاضِيهَا
أَنَا الْمَشُوقُ فَمَا تَشْدُو مُطَوِّفَةً
إِلَّا تَذَكَّرْتُ مِنْ شَوْقِي مَغَانِيهَا
وَلَا شَمِمْتُ شَذَا زَهْرٍ فَأَنْعَشَنِي
إِلَّا تَوَهَّمْتُهُ رِيًّا رَوَابِيهَا
ذَكَّرْتُهَا فَذَكَّرْتُ الْمَجْدَ مُؤْتَلِقًا
وَالْعِزَّ كَالْتَّاجِ فِي أَعْلَى نَوَاصِيهَا
عَادَتْ لَأَحْضَانِهَا بَغْدَادُ ثَانِيَةً
وَعَانَقَتْ شَهْرَزَادٍ فِي لِيَالِيهَا
جَنَّاتُهَا الْخَضِرُ نِيرُوزٌ وَكُوْثَرُهَا
يَنْسَابُ شُهْدَاءُ مُذَابًا فِي سَوَاقِيهَا

تَسَافِرُ الْعَيْنُ فِي آفَاقِ رَوْعَتِهَا
مَبْهُورَةَ الشُّوقِ لَا تَسْلُو مَجَالِيهَا
كَمْ أَنْجَبَتْ مِنْ مَهَارَاتٍ وَكَمْ طَلَعَتْ
بِأَفْقِهَا أَنْجَمٌ تَجْلُو دِيَاجِيهَا !
وَكَمْ كُنُوزٍ بِهَا حُبْلَى تُخَبِّئُهَا
سَيَكْشِفُ الْعِلْمُ يَوْمًا عَنْ لَائِلِهَا !
كَأَنَّ غَرْنَاطَةَ الْحُمْرَا وَقُرْطُبَةَ
قَدْ أَوْدَعَا كُلَّ مَوْرُوثِيهِمَا فِيهَا !
تَسْتَقْبِلَانِكَ فَنَاءً فِي جَوَامِعِهَا
وَفِي الْقُصُورِ وَفِي أَزْهَى مَبَانِيهَا
تَزْهُو الْمَدَائِنُ بِالْعُمُرَانِ تَرْفَعُهُ
وَفَاسٌ تَزْهُو بِمَا تُوجِي مَعَالِيهَا
كَمْ خَلَدَتْ فِي سِجِلِّ الْمَجْدِ مِنْ قِيمٍ
وَكَمْ شَدَا بِأَغَانِي النَّصْرِ شَادِيهَا !
قَدْ أَلْبَسَتْهَا يَدُ الْأَمْجَادِ أَلْبَسَةً
قَشِيبَةً يَتَحَدَّى الدَّهْرُ بِأَلِيهَا



جَرَى إِلَيْهَا سَبُّو شَوْقًا لِيَمْنَحَهَا
خَصْبًا وَيَرْقُصَ زَهْرًا فِي مَرَاغِيهَا

وَتَكْتَسِي الْأَرْضُ فِي آذَارِ أُرْدِيَّةٍ
مُطَرَّرَاتٍ بِأَزْهَارٍ حَوَاشِيهَا
مَطَارِفٌ مِنْ نَسِيجِ الزَّهْرِ غَالِيَةٍ
وَفِتْنَةٍ مِنْ رَبِيعٍ جَلٍّ مُنْشِيهَا
رَبِيعُ فَاسٍ فَرَادِيسُ مَبَاهِجُهَا
هِيَ الْوَضَاءَةُ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا !
تَبْدُو السَّمَاءُ بِهَا زَرْقَاءُ ضَاحِكَةٌ
كَأَنَّمَا الْبَحْرُ يَجْرِي فِي أَعَالِيهَا
لِكُلِّ فَضْلٍ بِهَا طَعْمٌ طَيِّبٌ
وَكُلُّ عِيدٍ بِهَا حُسْنٌ يُوَاتِيهَا !



كَأَنَّهَا شَامَةٌ فِي وَجْهِ مَغْرِبِنَا
وَإِنْ رَأَاهَا قَذَى فِي الْعَيْنِ قَالِيهَا !
أَوْ أَنَّهَا قِصَّةٌ فِي الْمَجْدِ مَا انْقَطَعَتْ
يَوْمًا حَوَادِثُهَا أَوْ مَلَّ رَاوِيهَا !
أَسْوَارُهَا السُّمُرُ وَالْأَبْرَاجُ شَامِخَةٌ
تُنْبِيكَ أَقْدَارُهَا عَنْ قَدَرٍ مُعْلِيهَا
مَا كَانَ فَاتِحُهَا إِدْرِيسُ مُعْتَسِفًا
لَمَّا تَخَيَّرَهَا، وَاخْتَارَ أَهْلِيهَا !

دَعَا لَهَا بِدُعَاءِ الْخَيْرِ فَانْفَتَحَتْ
لَهُ السَّمَاءُ، وَلَبَّى اللَّهُ دَاعِيَهَا

* ● *

يُؤْمِنِي عَازِلِي فِيهَا وَيُوهِمُنِي
أَنِّي بِبُعْدِي عَنْهَا سَوْفَ أَسْلُوهَا
وَلَوْ رَأَاهَا بِعَيْنِي مَرَّةً لَرَأَى
دُنْيَا مِنَ الْحُسْنِ تَسْبِي عَقْلَ رَائِيهَا
لَمْ أَنْسَ جَامِعَهَا الْمَعْمُورَ دَافِقَةً
حِيَاضُهُ تَرْتَوِي مِنْهَا صَوَادِيهَا
صَلَّيْتُ لِلَّهِ فِي مُحَرَابِ جَامِعِهَا
وَارْتَدَّتْهُ كُلَّمَا نَادَى مُنَادِيهَا
لِلَّهِ بَانِيَّةٌ ! شَادَتْ قَوَاعِدَهُ
وَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَرْسَتْهُ أَيْدِيهَا !
قَدْ شَرَفَتْ كُلُّ أُنْتَى وَهِيَ صَائِمَةٌ
تَبْنِي مَدَامِيكَهُ فِيهِ وَتُعْلِيهَا
خَلِيَّةٌ لَمْ تَكُنْ تَخْلُو مَنَابِرُهَا
وَرَوْضَةٌ لَمْ تَكُنْ تَغْفُو شَوَادِيهَا
كَانَتْ مَنَارَةً إِشْعَاعٍ وَمُعْتَصِمًا
لِلدِّينِ وَالضَّادِ تَحْمِيهِ وَيَحْمِيهَا !

وَقَلْعَةً تَتَخَدَّى كُلَّ عَاصِفَةٍ
وَمَعْقِلًا كَانَ يُخْشَاهُ أَعَادِيهَا
مَضَى الزَّمَانُ بِأَمْجَادٍ وَمَا بَقِيَتْ
إِلَّا مَتَاحِفُهَا الْخُرْسَا نُنَاجِيهَا !



تَلَقَّاكَ مُطَرِّقَةً فِي صَمْتِهَا عِبرَ
وَرَهْبَةٍ مِنْ غَدَا أَمْسَى يُعْنِيهَا
عَلِيَاءٌ لَمْ تَزَلْ تَشْكُو بِلَا مَلٍ
وَلَمْ تَزَلْ تَتَمَنَّى مَنْ يُدَاوِيهَا
أَتَيْتُهَا فَغَضَضْتُ الطَّرْفَ مُنْصَرِفًا
وَمِلَأْتُ نَفْسِي هُمُومٍ لَسْتُ أَخْفِيهَا
غَابَتْ وَجُوهٌ وَضَاءٌ كُنْتُ أَكْبُرُهَا
وَخَيْمَ الصَّمْتِ فِي كُبْرَى نَادِيهَا
فَهَلْ أَرَى الدَّارَ دَارًا بَعْدَ مَا فَقَدْتُ
رُوءَاهَا وَفَقَشْتُ فِيهَا مَسَاوِيهَا ؟
وَهَلْ تَعُودُ إِلَى فَاسٍ مَبَاهِجُهَا
وَيَمْسَحُ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ بِأَكْيَهِهَا ؟

صورة لمدينة فاس



فَاسَ

حُيِّتِ فَاسُ ! وَحَيَّا الْمَجْدُ مَغْنَاكَ
مُذْ غَبِتَ مَا غَابَ عَنْ عَيْنِي مُحْيَاكَ !
مَا هَبَّ رِيحٌ صَبَا إِلَّا وَذَكَرَنِي
نَسَائِمًا عَبَقَتْ مِنْ طِيبِ رِيَّاكَ
وَلَا رَأَيْتُ زُهُورًا فِي خَمَائِلِهَا
إِلَّا ذَكَرْتُ رَبِيعًا مِنْ مَزَايَاكَ
كَسَا رَبَّاكَ فَرَادِيسًا وَأَرْدِيَّةً
حَلَّاكَ مِنْ زَهْرِهَا الزَّاهِي وَوَشَّاكَ
وَسَالَ وَاذِيكَ رَقْرَاقًا بِجَوْهَرِهِ
يَحْكِي مِنَ الْمَجْدِ مَا لَمْ يَرَوْهُ حَاكِي !
نَيَّرُوهُ كَانَ أَغْرَاسًا وَمَوْسِمُهُ
نَشِيدُ حُبٍّ يُنَادِينَا لِلْقِيَاكَ
تَشْدُو بِهِ كُلُّ وَرَقَاءٍ مُطَوَّقَةٍ
شَدُّوا كَانِي بِهِ مِنْ عَاشِقٍ بَاكِي !
تَلْهُو الصَّبَايَا بِهِ فِي كُلِّ أَرْجُوحَةٍ
تَطْفِرْنَ بَيْنَ أَزَاهِيرٍ وَأَشْوَاكِ
أَصِيلَةُ الْمَجْدِ تَزْهُو فِي مَعَالِمِهِ
كَالنَّجْمِ يَبْدُو مُضِيئًا بَيْنَ أَحْلَاكِ

مَهْدُ التُّرَاثِ وَمَهْدُ الْفِكْرِ فِي وَطَنِ
 مَا كَانَ يَصْطَنِعُ الْأَمْجَادَ لَوْلَاكَ !
 وَقَلْعُهُ صَمَدَتْ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ
 قَدْ ذَاقَ عِلْقَمَهَا مَنْ كَانَ عَادَاكَ !
 كَمْ شَدَّنِي مَنْظَرُ تُصْبِي وَضَاءَتُهُ
 وَكَمْ سَجَدْتُ لِرَبِّي فِي مُصَلَّاكَ !
 وَكَمْ مَعَالِمَ مَا زَالَتْ تُحَدِّثُنَا
 عَنْ حِقْبَةٍ أَزْهَرَتْ فِي رَوْضِ عَلْيَاكَ
 عَادَ الْمَشُوقُ وَفِي أَعْمَاقِهِ لَهَبٌ
 يَكَادُ يَحْمِلُهُ شَوْقاً لِدُنْيَاكَ
 وَرَاعَهُ أَنْ يَرَى الْحَسَنَاءَ شَاحِبَةً
 وَإِنْ يُحْسِ اغْتِرَاباً حِينَ يَلْقَاكَ !
 غَابَتْ مَجَالِسُ إِيْنَاسٍ سَعِدَتْ بِهَا
 وَوَدَّعَتْ أَوْجُهُ عَاشَتْ لِتَهْوَاكَ
 غَنِّيَتْ فِيهَا أَنْشِيدِي وَكُنْتُ بِهَا
 أَوْفَى مُحِبِّ شَدَا شِعْراً وَغَنَّاكَ
 نَظَمْتُهُ لَكَ اسْمَاطاً مُنْضَّدَةً
 تُهْدِي وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ هَدَايَاكَ
 شَقِيتُ مِنْ حُبِّكَ الْغَالِي وَارْقَنِي
 فَمَا أَمْرُكَ فِي قَلْبِي وَأَحْلَاكَ !
 عَلَى الْبَنَى وَنُزُوحِ الدَّارِ يُسْعِدُنِي
 إِذَا تَنَاسَوُكَ أَنِّي لَسْتُ أَنْسَاكَ !

الوطنيات

عرس شعب

عَانَقَتْ فِيهِ مَنْ رَعَاهَا فَاسُ !
 أُيْنَعَتْ فِي نَيْرُوزِهِ الْأَغْرَاسُ
 هَا وَطَابَتْ كَمَايَهُ الْأَنْفَاسُ
 مَا لِتِيَارِهِ الْمَهِيْبِ انْجَبَاسُ
 خَجَلَتْ مِنْ تَكْبِيرِهَا الْأَجْرَاسُ
 طَافَ فِي سَاحِهَا وَلَبَّى النَّاسُ !
 وَأَنْتَشَى مَنْ لَمْ تَجْتَذِبْهُ الْكَاسُ !
 طَرَبًا أَوْ شَدَا الْأَهَازِيْجَ بَاسُ
 لِنُجُومِ السَّمَاءِ مِنْهَا اقْتَبَاسُ
 دِي قِبَابًا كَأَنَّهَا حُرَّاسُ !
 فِي فَضَاءِ سُكَّانِهِ أَجْنَاسُ
 شَهْرَزَادَ أَوْ يَرُوْهَا جُلَاسُ
 كُلُّ غُصْنٍ فِي دَوْحِهَا مَيَّاسُ !
 لَمْ يَكُنْ فِيهِ قَبْلَ ذَا إِيْنَاسُ

*

أَيْنَ مِنْ رَوْعَةِ الضُّحَى النُّبْرَاسُ !
 قَا وَلَا زَادَ مِنْ سَنَاهَا الْمَاسُ !
 تَعْلَقُ بِهَا وَصْمَةٌ وَلَا أَدْنَاسُ
 لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ لِمَلِكٍ أَسَاسُ !

أَيَّ عُرْسٍ ! لَمْ تَحْكِهِ أَعْرَاسُ
 حَلَّ فِيْهَا كَمَا يَحِلُّ رَبِيعُ
 فَاضَ بِالْحُبِّ وَالْمَبَاهِجِ وَادِيْ
 وَوُفُوْدُ الْوَلَاءِ شَلَالُ حُبٍ
 وَكَأَنَّ الْفَضَا مَآذِنُ تَشْدُوْ
 وَإِذَا فَاسُ بَيْنَنَا عَرَفَاتُ
 وَتَغْنَى مَنْ لَا يُجِيْدُ غِنَاءُ
 مَا عَلَى الشَّيْخِ إِنْ تَرَاقَصَ فِيْهَا
 يَسْرُحُ الطَّرْفُ فِي فَضَاءَاتِ نُورٍ
 قَدْ تَبَاهَتْ خِيَامُهَا الْبَيْضُ فِي الْوَا
 وَكَأَنِّي بِهَا مَدَائِنُ شِيْدَتْ
 بَهْرَتُهُمْ مَشَاهِدٌ لَمْ تَصْفَهَا
 كُلُّ شَيْءٍ فِي فَاسٍ يَرْقُصُ زَهْوًا
 عَمَّتِ الْبُشْرِيَّاتُ كُلَّ مَكَانٍ

*

مَا لِحَسَنَاءِ أَمَامَ حَسَنَاءِ حُسْنُ
 لَمْ تَزِدْهَا قَلَائِدُ الدَّرِّ إِشْرَا
 مِنْ أَصُولِ عَرِيْقَةِ الطَّهْرِ لَمْ
 وَمَلِيْكَ أَرْسَى عَلَى الْحُبِّ عَرْشًا

خَيْرٍ مَنْ عَاشُوا لِلشُّعُوبِ وَلِلْسُلُ
قَدْ تَحْدَى وَلَمْ يُبَالِ بِكَيْدِ
مَا ارْتَقَى قِمَّةً مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا

*

وَتَهَادَتِ عَرَائِصُ الشَّعْبِ بَاقَاتِ
خَطِرَاتٍ فِي مَوْشِيَاتِ بُرُودِ
خَضِبَتْ بِالْحِنَّا أَنْامِلَ أَنْدَى
غَمَرَتْهَا مِنْ عَطْفِهِ أَرْيَحِيَا
لَمْ يَكُنْ مَالِكاً وَلَكِنْ أَباً بَرّاً
يَا أَبَا الْمَجْدِ ! دَامَ لَكَ الْعِ
وَرِضَاكَ الْعَمِيمُ يَغْمُرُ حَسَنًا
كُلَّ شَيْءٍ يُقَاسُ إِلَّا هَوَى شَع

*

مِ وَمَنْ أَمَّنُوا الْبِلَادَ وَسَاسُوا
مِنْ حَسُودٍ أَوْ يَتَنَّبَهُ دَسَّاسُ !
كَانَ فِيهَا لِحَاسِدِيهِ انْتِكَاسُ !

وَلَاءَ تُظِلُّهَا الْأَقْسُوسُ
كَظِلِّاءٍ لَمْ يَحْتَضِنُهَا كِنَاسُ
مِنْ نَدَى الرُّوضِ رَفَّ فِيهِ الْآسُ !
تُ لَهَا كُلَّمَا أَرَادَ انْبِجَاسُ
بِشَعْبٍ لَهُ بِهِ إِحْسَاسُ !
رَزَّ وَدَامَتْ لِشَعْبِكَ الْأَعْرَاسُ
لَهَا مِنْهُ زِينَةٌ وَلِبَاسُ
بِكَ هَذَا فَمَا لَهُ مِقْيَاسُ !!

البشرى

دَقَّتْ طُبُولُ الْفَرْحَةِ الْكُبْرَى
وَسَعَتْ إِلَيْكَ مَوَاكِبُ الْبُشْرِى
وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ شَعْبَانِ اهْتَدَى
بَطْلَاهُمَا، وَاسْتَقْبَلَا الْفَجْرَا
مِنْ بَعْدِ أَعْوَامِ الْقَطِيعَةِ يَأْتَقِي
شَعْبَانِ ذَاقَ بَنُوهُمَا الْمُرَا
وَتَسَاقَيَا كَأْسَ الْمَنَايَا مُرَّةً
وَهُمَا اللَّذَانِ تَحَدَّيَا الْقَهْرَا
فَتَحَتِ جُرُوحاً غَائِرَاتٍ لَمْ يَكُنْ
لَوْلا التَّعَقُّلِ شَرُّهَا يَبْرَا
فِي كُلِّ بَيْتٍ فَرْحَةٌ وَمَسْرَّةٌ
أُنْسَتْ بِنَيْهِ الْعِيدِ وَالْفِطْرَا
هَٰذِي الْحَمَائِمِ أَقْبَلَتْ مِنْ بَعْدِ مَا
هَجَرَتْ فَرُوعَ هَجْرَهَا الْوُكْرَا !
وَبَدَتْ طَلَائِعُهَا تَزْفُ سَلَامَهَا
وَتَغْدِ نَحْوَ رُبُوعِنَا السَّيْرَا
لِيَعُودَ حُبٌّ كَادَ يَنْضَبُ نَبْعُهُ
وَمَعِينُهُ، مَتَدَفِّقًا ثَرَا

لِيُعَاوِدَ الْأَمْلُ الْقُلُوبَ فَتَنْتَشِي
 مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ زَلْزَلَ الصَّبْرَ
 ضَاعَتْ سِنُونُ ! وَنَحْنُ فِي دَوَّامَةٍ
 كِدْنَا بِهَا أَنْ نَبْلُغَ الْقَعْرَ !
 قَدَرٌ تَرَصَّدْنَا وَلَمْ يَكْ دَفْعُهُ
 سَهْلًا، وَلَا أَخْطَارُهُ تُدْرَى !

* ● *

كَمْ أَعْيِنِ سَالَتْ مَدَامِغُهَا دَمًا
 عَاشَتْ عَلَى مَنْ وَدَّعَتْ سَهْرِي !
 وَمَوَاكِبِ لِلْمَوْتِ سِرْنَا خَلْفَهَا
 لَمْ يَجْنِ صَانِعُهَا بِهَا نَصْرًا
 وَأَرَامِلٍ رَبَطَتْ عَلَى أَكْبَادِهَا
 حُزْنًا عَلَى مَنْ شَيَّعَتْ جَمْرًا
 فَبِمَنْ أَصُولُ إِذَا قَطَعْتُ يَدَيَّ أَخِي
 وَبَنَيْتُ فَوْقَ دِمَائِهِ قَصْرًا ؟
 وَلِمَنْ أَنَا يَدِي ؟ إِنَّ دَهْلِي خَطْبٌ وَمَنْ
 أُدْنِي إِلَيَّ لِيَحْمِيَ الظُّهْرَ — رَا ؟
 لَأَشْيَاءَ أَرْوَعُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ
 يَأْسُو الْجِرَاحَ، وَيَكْـرَهُ النَّارَ

وَيُذِيرُ دُولَ الْخُطُوبِ بِحُكْمَةٍ
 حَتَّى تُزَاحَ وَيُعْمَلَ الْفُكْرُ
 مَا كَانَ أَجْدَرَ أَنْ نَضُمَّ جُهودَنَا
 لِإِنِّاءِ شَعْبَيْنَا، وَمَا أُحْرَى !
 وَنَمْدُ أَيَّدِينَا إِلَى إِخْوَانِنَا
 فِي الْقُدْسِ أَرْضِ الْوَحْيِ وَالْمَسْرَى
 مَا ضَرَّ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ بِأَرْضِنَا
 أَشْوَاكَهُ، أَنْ يَغْرَسَ الزَّهْرَا !
 وَيُفِيضَ حُبًّا فِي الْقُلُوبِ وَبَهْجَةً
 وَيَفُوحَ فِي جَنَاطِهَا عَطْرَا



الْيَوْمَ مَوْلِدُ أُمِّةٍ لَمْ تَتَنَكَّسِ
 إِلَّا اسْتَقَامَتْ مَرَّةً أُخْرَى
 وَمَشَتْ عَلَى دَرْبِ الْحَيَاةِ وَلِيْدَةً
 تُفْشِي السَّلَامَ، وَتَنْشُرُ الْخَيْرَا
 وَكَأَنَّنِي أَصْغِي إِلَى أَصْدَائِنَا
 فِي الْقُدْسِ، فِي بَغْدَادَ فِي مِصْرَا !
 فَمَتَى تُحَقِّقُ أُمَّتِي أَحْلَامَهَا
 وَطُمُوحَهَا لِلْوَحْدَةِ الْكُبْرَى ؟

وَمَتَى سَتَتَّخِذُ الْقَرَارَ كَأُمَّةٍ

لَا تَسْتَقِي مِنْ غَيْرِهَا الْأُمَرَاءَ ؟

مَنْ لِي بِأَنْ أَحْيَا إِلَى أَنْ تَسْتَعِي—

—دَ عُرُوبَتِي أَيَّامَهَا الْغُرَّاءَ ؟

سَأَبِيتُ لَيْلَتَهَا لِرَبِّي سَاجِدًا

وَأَصُوغُ فَرْحَتَنَا بِهَا شَعْرًا..

(*) بمناسبة بداية الانفراج في العلاقات بين المغرب والشقيقة الجزائر سنة 1987.

هُتَمَ الْحَمَاءُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ! شَمْلُ الْمَغْرِبِ التَّحَمَّا
وَجُرْحُ أَبْنَائِهِ بِالْوَحْدَةِ التَّامَا
وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ تَأْتِي لَطَائِفُهُ
عِنْدَ الْخُطُوبِ فَيَجْلُو نُورُهَا الظُّلَمَا !
مِنْ بَعْدِ لَيْلٍ مُخِيفٍ ضَلَّ مَرْكَبُنَا
بِهِ، وَطَوَّحَهُ الإِعْصَارُ فَارْتَطَمَا
وَبَعْدَمَا أَصْبَحَتْ أَمَالُ أُمَّتِنَا
فِي مَغْرِبِ عَرَبِيٍّ وَاحِدٍ حُلُمَا
تَحَقَّقَ الْأَمَلُ الْغَالِي وَأُمُكِّنَ أَنْ
نَبْنِي وَنَرْفَعَ صَرْحاً يَبْهَرُ الْأُمَمَا
وَأَنْ نُوَكِّدَ لِلدُّنْيَا وَقَدْ شَهِدَتْ
عِنَاقُنَا وَرَأَتْ أَبْطَالَنَا الْقِمَمَا
بِأَنَّ مَغْرِبَنَا الْعِمْلَاقَ لَيْسَ لَهُ
أَنْ يَرْتَضِيَ الْعَيْشَ فِي أَبْنَائِهَا قَرْمًا !
مَرَّتْ سِنُونُ أَضْعَافِهَا سُدًى وَجَرَتْ
دُمُوعُنَا، وَهِيَ تَمْتَصُّ الْجُحُودَ دَمَا
وَكَانَ أَجْدَى عَلَى الْأَجْيَالِ لَوْ صُرِفَتْ
لِخَيْرِهَا، وَكَفَتْهَا الدَّمْعُ وَالْأَلَمَا

فَبِاسْمِ رَبِّي مُجْرَاهَا إِذَا انْطَلَقَتْ
وَبِاسْمِهِ سَتُوَالِي سَيْرَهَا قُدَمَا
أَيْدِي بَيْنَهَا جَمِيعاً خَلْفَ دَفْتِهَا
دَعَائِمًا لَمْ تَكُنْ يَوْمًا لِتَنْهَدِمَا
غَدًا تُفَجِّرُ فِي الْأُورَاسِ طَاقَتَهَا
وَفِي رَبِّي أَطْلُسِي تَزْهُو بِهِ نِعَمًا
وَيُخَصِّبُ الزَّرْعُ وَالْإِنْسَانُ فِي وَطَنِ
بِلَا حُدُودٍ وَلَا يَبْقَى هُنَاكَ حِمَى !
وَيَشْهَدُ الْأَطْلُسُ الْعِمْلَاقُ مَلْحَمَةً
لَأُمَّةٍ حَبْلُهَا الْمَوْصُولُ مَا انْقَصَمَا
مَشَتْ عَلَى الدَّرَبِ أَحْقَابًا يُوجِدُهَا
بَيْنَ، وَمَاضٍ، وَخَصَمٍ فَوْقَهَا جَثَمًا
فَلَمْ تَذِلَّ وَلَمْ تَخْضَعْ لِطَاغِيَةٍ
وَلَا خَبَا أَمَلٌ فِي رُوحِهَا اضْطَرَمَا



وَيَا أَحِبَّايَ فِي الْخَضِرَاءِ فَرَحَتُنَا
عِيدٌ، وَصَحْوَةٌ حُبِّ طَاوِلِ الْقِدَمَا
وَفِي طَرَابُلُسَ أَحْرَارٌ غَطَارِفَةٌ
صَانُوا عُرُوبَتَهُمْ، وَاسْتَلَّهُمُوا الْقِيَمَا

وَمُورِيطَانِيَا ثَرَى لَمْ يَخُلْ مِنْ عَبَقِ
وَمِنْ ثَرَاثِ أَصِيلٍ يَزْدَهِي شَمَمَا
زَهَتْ بِأَعْرَاسِهَا الْحَمْرَاءُ وَاقْتَبَلَتْ
أَحْبَابَهَا بِقُلُوبٍ شَوْقُهَا اخْتَدَمَا
فَلَيْسَ فِيهَا يَدٌ إِلَّا اخْتَوَتْ عِلْمًا
وَلَيْسَ فِيهَا فَمٌّ إِلَّا شَدَا نَعْمَا !
وَيُسَعِفُ الدَّمْعُ مُشْتَاقًا فَيَسْكُبُهُ
مُعْبِرًا عَنْ لِسَانٍ لَمْ يَجِدْ كَلِمَا
حَجَّتْ إِلَيْهَا وَفُودُ الشَّعْبِ زَاحِفَةٌ
سَيْلًا مِنَ الْحُبِّ فِي أَرْجَائِهَا عَرِمَا
حَجَّتْ لِتَشْهَدَ مِيلَادًا لِمُعْجَزَةٍ
تَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ فِي تَارِيخِنَا عِلْمَا
كَأَنِّي بِابْنِ تَاشْفِينٍ يُبَارِكُهَا
وَقَدْ أَضَاءَ الْمُحْيَا مِنْهُ وَابْتَسَمَا
كَأَنَّ مُوْتَمَرَ الْحَمْرَاءِ فَاتِحَةٌ
لِعَهْدِهِ الذَّهَبِيِّ، بَدْءٌ لِمَا اخْتَتَمَا
قَدْ غَرَّدَ الطَّيْرُ فِي أَفْنَانِهِ طَرَبًا
وَضَمَّنَّ الزَّهْرُ أَرْجَاءَ الدُّنَى نَسَمَا
رَأَيْتُ حَوْلِي حُشُودًا لِأَحْدُودَ لَهَا
تَقُورُ حُبًّا، وَتُبْدِي بَعْضَ مَا كُتِمَا

وَلَوْ يُعَابُ جُنُونٌ فِي مُوَاطَنَةٍ
 لَقُلْتُ جُنُّوا ! وَأَكْرِمُ مَنْ بِهِ اتِّهَمَا !
 كَانَ أَرْوَاحَ مَنْ مَاتُوا قَدْ انْبَعَثَتْ
 فَلَا تَكَادُ تَرَى الْأَقْدَامُ مُقْتَحَمَا
 فِي بَعْضِ مَا شَاهَدَتْ عَيْنَايَ مِنْ صُورٍ
 مَا يُنْطِقُ الْخَرَسُ أَوْ يُنْسِيهِمُ الْبَكْمَا
 فَيَا الْمِرَاكُشَ الْحَمْرَا، وَقَدْ لَبَسَتْ
 مِنَ الرَّبِيعِ بُرُوداً لَفَّتِ الْأَكْمَا
 عَاشَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلَوْ سُئِلَتْ
 عَنْ فُرْصَةِ الْعُمْرِ كَانَتْ خَيْرَ مَا اغْتَنِمَا



أَمَامَنَا عَقَبَاتٌ سَوْفَ نَقْطَعُهَا
 إِذَا شَدَدْنَا لَهَا فِي سَيْرِنَا الْحَزْمَا
 أَمَامَنَا الْجَهْلُ فِي دُنْيَا مُصَنَّعَةٍ
 وَلَا مَكْرَافَةَ إِلَّا لِمَنْ عَلِمَا !
 أَمَامَنَا الْفَقْرُ فِي دُنْيَا نَجُوعَ بِهَا
 وَيَسْتَكِي الْغَرْبُ مِنْ خَيْرَاتِنَا التُّخْمَا !
 أَمَامَنَا مُحِنَةُ الْإِنْسَانِ فِي وَطَنِ
 تَدُوسُ صَهْيُونَ فِي أَبْنَائِهِ الْحَرْمَا

تَخْتَالُ فِي كِبَرِيَاءَ لَيْسَ يَرُدُّعُهَا
 دِينَ، وَلَا خُلُقٌ مَا زَالَ مُنْعِدِمًا !
 أَمَامَنَا فِي كُنُوزِ الْأَرْضِ أَرْضِيدةٌ
 تَصُونُهَا لِشُعُوبٍ تَشْتَكِي الْعُدْمَا
 وَلَمْ يَضِعْ أَبَدًا جُهْدٌ إِذَا خَلُصَتْ
 نِيَاتُ صَاحِبِهِ لِلَّهِ وَالتَّزَمَا !



مَرَحَى بِإِخْوَتِنَا فِي أَرْضِ إِخْوَتِهِمْ
 وَمَنْ تَدَاعَاوَا لِيُحْيُوا الْعَهْدَ وَالرَّجْمَا
 هَذِي الشُّعُوبُ الَّتِي أَضَحَتْ بِهَمِّتِكُمْ
 شُعْبًا وَقَلْبًا سَلِيمًا نَابِضًا وَفَمَا
 لَسَوْفَ تُعْطِي سَخِيَّاتٍ سَوَاعِدُهَا
 وَتَسْتَحِثُّ لِمَا تَبْنُونَهُ الْهَمَمَا
 سَتَحْمِلُ الْمُغْوَلَ الْبِنَاءَ كُلُّ يَدٍ
 وَتَحْمِلُ السَّيْفَ وَالْقِرْطَاسَ وَالْقَلَمَا
 وَسَوْفَ نُمْلِي عَلَى الدُّنْيَا فَتَسْمَعُنَا
 وَسَوْفَ نُبْعِدُ عَنْ آذَانِهَا الصَّمَمَا
 وَيَعْرِفُ الْغَرْبُ أَنَّ الْعُرْبَ، مَا خَضَعَتْ
 لِمُسْتَبَدٍّ، وَلَا كَانَتْ بَنُوهُ دُمَى !

قَدْ آنَ لِلْغَرْبِ أَنْ يَنْسَى مَرَاضِعَهُ
وَلَا يَحْنُ لِضَرْعٍ عَنْهُ قَدْ فُطِمَا
وَأَنَّ لِلشَّرْقِ أَنْ يَبْنِي قَوَاعِدَهُ
عَلَى أَسَاسٍ وَيَنْسَى مَابِهِ وَصِمَا
هَذَا الرَّبِيعُ الَّذِي تَأَقَّتْ لِبَهْجَتِهِ
شُعُوبُنَا. وَسَقَى أَوْطَانَنَا دِيمَا !
قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ بَعْدَ غَيْبَتِهِ
وَضَمَّ لَهُ كُلُّ قَلْبٍ يَشْتَكِي سَقَمَا
مَوْلَايَ يَهْنِكَ مَا حَقَّقَتْ مِنْ ظَفَرٍ
لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ يَسْعَى نَحْوَهُ هُزِمَا
أَسْهَرْتَ جَفْنَكَ وَالْأَجْفَانُ هَاجِعَةٌ
لَا تَرْتَجِي مَكْسَبًا أَوْ تَشْتَكِي سَأَمَا
لَمْ يُغْنِكَ الْجِدُّ فِي مَسْعَاكَ عَنْ قَدَرٍ
وَمَمَا رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الْإِلَاهَ رَمَى !
قَدْ كُنْتَ فَلْتَةً هَذَا الدَّهْرُ فِي زَمَنِ
مَازَالَ يَشْكُو بَنُوهُ الْجَدْبَ وَالْعُقْمَا !
يَهْنِكَ إِخْوَتُكَ الْأَخْرَارُ تَحْضُنُهُمْ
لِتَرْفَعُوا مَعَهُمْ فِي مَجْدِنَا هَرَمَا
فَلْتَسَلِّمُوا وَعُيُونُ اللَّهِ تَكَلُّوْكُمْ
مَشَاعِلًا وَهُدَاةً تَكْشِفُ الْغُمَمَا
وَعَاشَ شُبْلَاكَ فِي عِزٍّ يَحْفُهُمَا
مَا طَافَ مُعْتَمِرٌ بِالْبَيْتِ وَاسْتَلَمَا

(* بمناسبة معاهدة مراكش لقيام اتحاد المغرب العربي في 17 فبراير 1989.

اللقاء

كَلِمَاتٌ نَبَعَتْ مِنْ شَفَتَيْنِ !
وَعِنَاقٍ بَيْنَ أَعْلَى قِمَتَيْنِ !
يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ أَعْلَى فَرْحَتَيْنِ !
كُلَّ مَحْزُونٍ وَأَجْرَى كُلِّ عَيْنٍ !
وَأُمْتَحَانًا لِرِجَالِ الثُّورَتَيْنِ
وَصَبِيحًا مُدًّا لِلْأَمِّ الْيَدَيْنِ
عَيْنُهُ مِمَّا رَأَى مَرَّتَيْنِ !
بَيْنَهُ وَالْأَهْلَ مَرَمَى كُرَتَيْنِ
وَعُبُورٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ صَفَتَيْنِ

*

كُلَّ حَادٍّ وَتَحَدَّى النُّقْطَتَيْنِ
طَافِحَ الشَّوْقِ سَخِيَّ الْمُقْلَتَيْنِ
قَلْبُهُ قَبْلَ اجْتِيَازِ الْقَدَمَيْنِ !
غَائِبٍ عَنْ عَيْنِهِ فِي خُطُوتَيْنِ
بِيَدٍ تَحْمِلُ أُنْدَى وَرْدَتَيْنِ !

*

نُوبٌ لَمْ يَصْفُ إِلَّا بَعْدَ أَيْنٍ
وَهَمًّا لَمْ يَطْلَعَا مِنْ خُنْدَقَيْنِ !
تَكُّ يَوْمًا فِي جِمَانَا صَرْخَتَيْنِ
زَحْفَنَا حَتَّى بَلَّغْنَا الْحَسَنَيْنِ

أَيُّ حُبٍّ فَجَّرَتْ شَالَا لَهُ
أَيُّ عُرْسٍ طَفَحَتْ أَفْرَاحُهُ
أَيُّ بُشْرَى عَانَقَ الشَّعْبُ بِهَا
حَدَثٌ أَسْعَدَ مِنْ بَعْدِ الْأَسَى
كَانَ مِيلَادًا وَبَعْثًا وَاعِدًا
مَنْ رَأَى شَيْخًا يُوَارِي دَمْعَهُ
وَنِسَاءً يَتَعَانَقْنَ، بَكَتْ
وَشَبَابَ جَمَحَ الشَّوْقُ بِهِ
مَشْهَدٌ يُعْجِزُ عَنْ تَصْوِيرِهِ

*

قَدْ تَعَدَّى الْحُبُّ فِي سَوْرَتِهِ
وَمَشَى كُلُّ أَخٍ نَحْوَ أَخٍ
عَبَرَ الشَّوْقُ بِهِ فَاجْتَازَهَا
يَتَمَنَّى لَوْ طَوَى الْأَرْضَ إِلَى
يُغْلِنُ الشَّوْقُ إِلَى مَحْبُوبِهِ

*

يَا الْحُبُّ كَدَّرْتَ يَنْبُوعَهُ
كَيْفَ لِلثَّائِرِ أَنْ يَنْسَى أَخَا
صَرْخَهُ الْأُورَاسِ وَالْأَطْلَسِ لَمْ
بَارَكَ اللَّهُ خُطَانَا وَرَعَى

لَمْ يَزِغْ مَرْكَبَنَا عَنْ شَطِئِهِ
وَتَدَابَرْنَا كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ
وَنَسِينَا أَهْلَنَا فِي قُدْسِنَا
يَشْرَبُ الدَّمْعَ وَيُنْكِي جُرْحَهُ
وَيُعَانِي مِنْ أَذَى جَلَادِهِ
وَلَعَلَّ الْفَجْرَ يَبْدُو نُورُهُ
وَنَرَى الْمَغْرِبَ يَبْنِي هَرَمًا
وَيُؤَالِي خَطْوَهُ مُسْتَدْرِكًا
خَلْفَ بَانِي الْمَجْدِ مَيِّمُونَ الْخَطَى
رُبَّمَا نَكْبُو، وَلَكِنْ قُلْ أَنْ
أَيُّهَا النَّاجِتُ مِنْ صَخْرَتِنَا
إِنَّنَا مَهْمَا اخْتَلَفْنَا أُمَّةً

مُبْجَرًا حَتَّى رَكَبْنَا مَرْكَبَيْنِ !
فِي مَآسِي وَطَنِينَا أَخَوَيْنِ
مَهْبِطِ الْوَحْيِ وَثَانِي الْحَرَمَيْنِ
وَأَسَآءُ خُلْفَ أَهْلِ الْقِبْلَتَيْنِ
وَمَنْ الْخُذْلَانِ أَقْسَى حَسْرَتَيْنِ
فَنُصَلِّي فِي حِمَاةِ الرُّكْعَتَيْنِ
شَامِخِ الْهَامَةِ يَعْطُو الْفَرْقَدَيْنِ
كُلَّ مَاضِيَعَهُ فِي الْمِحْنَتَيْنِ
مُنْقِذِ الصَّحْرَاءِ ثَانِي الْحَسَنَيْنِ
يَكْبُو الْفَارِسُ فِينَا مَرَّتَيْنِ !
لَا تُحَاوِلْ أَنْ تَرَاهَا صَخْرَتَيْنِ !
دِينُهَا الْحُبُّ، وَلَسْنَا أُمَّتَيْنِ !

* *

(*) بمناسبة لقاء الملك الحسن الثاني والرئيس بنجديد بنقطة الحدود لإعادة الروابط.

السَّفِينَةُ

أُبْحِرْ بِنَا فِي مُحِيطِ الْحُبِّ إِخْوَانَا
بَحْرٌ عَبْرُنَاهُ أَحْقَاباً وَأَزْمَانَا
وَاكْتُبْ عَلَى الْمَوْجِ ذِكْرِي مَنْ تَوَهَّجَهَا
تَبْقَى عَلَى الْوَحْدَةِ الْغَرَاءِ عُنُونَا
وَسَلَهُ عَنْ أُمِّهِ كَانَتْ مُوَحِّدَةً
حُبّاً وَقَلْباً وَأَهْدَافاً وَوُجْدَانَا
لَمْ يَشْهَدْ الْبَحْرُ عُرْساً مِثْلَ مَوْكِبِنَا
وَلَا امْتَطَتْ مَوْجُهُ دُنْيَا كُدُنْيَانَا
سَفِينَةٌ لَمْ تَكُنْ كَالْفُلِكِ مَاخِرَةً
وَلَمْ تَكُنْ مِثْلَهَا تَحْتَاجُ رُبَّانَا
وَأِنَّمَا هِيَ أَرْوَاحٌ مُجَنَّبَةٌ
وَبَرْزَخٌ كَانَ بِالْأَشْوَاقِ مَلَانَا !
وَبِالْمَوَاهِبِ إِبْدَاعاً وَمَعْرِفَةً
وَبِالْعَطَاءَاتِ أَشْكَالاً وَأَلْوَانَا
وَيَسْكُبُ الْبَحْرُ فِي سَمْعِ الزَّمَانِ صَدَى
أَمْوَاجِهِ نَغْماً عَذِيباً وَالْحَانَا
كَأَنَّمَا الْأَرْضُ أَعْيَاهَا تَفَرَّقْنَا
فَأَسْعَدَ الْبَحْرَ أَنْ يَحْظِيَ بِلُقْيَانَا !

خَلَّتْ سِنُونُ ! أَضْعَاها سُدَى وَمَضَى
جِيلٌ تَجَرَّعَ آلاماً وَأَحْزَاناً
كَأَنَّمَا لَمْ نَسِرْ يَوْماً إِلَى هَدَفٍ
وَلَمْ نَكُنْ كُلُّنَا فِي الْخَطْبِ أَعْوَاناً
وَلَمْ تُرَوْ دِمَاناً أَرْضَ مَغْرِبِنَا
وَسَرَّنا الدَّهْرُ أَحْيَاناً وَأَبْكَاناً
شَدْنَا بِوَحْدَتِنَا الْكُبْرَى صُرُوحَ عَلَا
قَامَتْ عَلَى الْحَبِّ تَوَطِيداً وَبُنْيَاناً
إِذَا اشْتَكَى أَلَمَا فِي فَاسٍ مُضْطَهَدٍ
شَكَا أَخُوهُ الْمَعْنَى فِي تَلَمَّسَانَا !
عَشْنَا وَكَانَ لَنَا فِي مَجْدِنَا وَطَنٌ
وَمَغْرِبٌ لَمْ يَكُنْ دُوراً وَأَوْطَاناً
وَعَطَّلَ الدَّهْرُ مَسْرَانَا وَعَوَّقَهُ
وَأَلْبَسَ الْمَجْدَ أَسْمَالاً وَأَكْفَاناً
كَأَنَّ مَا كَانَ فِي أَيَّامِ وَحْدَتِنَا
مِنَ الْعِظَائِمِ وَالْأَمْجَادِ مَا كَانَا !
وَالْيَوْمَ نَنْهَضُ فِي عَزْمٍ عَلَى قَدَمٍ
وَنَحْنُ أَعْمَقُ إِصْرَاراً وَإِيمَاناً !



أَلَقْتُ بِمِرْسَاتِهَا فِي الشُّطِّ وَأَقْتَبَلْتُ
أَهْلًا كِرَامًا وَأَحْبَابًا وَأُحْضَانًا
لَوْ وَزَعُوا شَوْقَهُمْ فِي الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ
لَضَاقَ عَنْ فَيْضِهِ أَرْضًا وَإِنْسَانًا
قَدْ كَانَ فِي كُلِّ قَلْبٍ جَذْوَةٌ كَمَنْتَ
حَتَّى رَسَوْنَا فِتَارَ الشَّوْقِ بُرْكَانًا!
وَضَمَّ كُلُّ أَخٍ بَعْدَ الْفِرَاقِ أَخًا
وَفَجَّرَ الْحُبُّ أَشْوَاقًا وَأَجْفَانًا
وَجَمَعَ اللَّهُ شَمْلًا بَعْدَ فُرْقَتِهِ
وَذَابَ مَا عَاقَ مَسْرَانًا وَالْهَانَا
مَنْ شَكَّ فِينَا وَفِي تَارِيخِ أُمَّتِنَا
يَلْقَى عَلَى الْبَحْرِ إِبْطَاتًا وَبُرْهَانًا
لَنْ يَبْلُغَ الْغَرْبُ مِنَّا مَا يُؤْمِلُهُ
كُنَّا وَنَبَقِيَ أَشَقَاءَ وَإِخْوَانًا!
وَسَوْفَ نُمْلِي عَلَى الدُّنْيَا فَتَسْمَعُنَا
وَيَفْتَحُ الْغَرْبُ مِنْذُ الْيَوْمِ آذَانًا
مَا كَانَ أُخْرَى بِأَنْ نَسْعَى إِلَى هَدَفٍ
أَسْمَى وَنَطْفِي نِيرَانًا وَأَضْغَانًا
لِيَأْسُو الْعَرْبُ جُرْحًا لَمْ يَزَلْ وَرِمًا
وَيَمْسَحُوا وَصْمَةً تَكْسُو مُحْيِيَانَا

شُعُوبُنَا لِلْغَدِ الزَّاهِي مُعَبَّاةٌ
فَلَا مَكَانَ لِكَسَلَى أَوْ لِكِسْلَانَا !
وَأَرْضُنَا وَهِيَ مِعْطَاءٌ سَنَزْرَعُهَا
حَبًّا. وَحُبًّا يُغْذِي كُلَّ جُوعَانَا
وَلَا حُدُودَ عَلَى أَطْرَافِ مَغْرِبِنَا
وَلَنْ تَرَى بَعْدَ مَسْجُونَا وَسَجَّانَا !
وَأِنَّمَا وَاحِدَةٌ خَضِرَاءُ يَسْكُنُهَا
شُعْبٌ تَوَحَّدَ أَرْوَاحاً وَأَبْدَانَا
سَيَطْرُدُ الْفَقْرَ مَا تُحْيِي سَوَاعِدُهُ
وَمَا سَيَنْشُرُهُ عَذْلًا وَعِرْفَانَا
يُقْضَى مَضْجَعُنَا مَأْسَاءً إِخْوَتَنَا
فِي الْقُدُسِ، وَالْمَوْتُ فِي جَنَاتِ لُبْنَانَا
وَلَنْ يَطِيبَ لَنَا عَيْشٌ بِمَغْرِبِنَا
حَتَّى نُصَلِّيَ جَمِيعاً فِي مُصَلَّانَا !
عَادَتْ سَفِينَتُنَا بِالْخَيْرِ وَاعِدَةً
فَبِاسْمِ رَبِّكَ مُجْرَانَا وَمُرْسَانَا
وَحَقَّقَ اللَّهُ أَمَالاً لِقَادِتِنَا
حَتَّى نَرَى مُسْتَحِيلَ الْأُمْسِ إِمْكَانَا !

(* بمناسبة إبحار سفينة وحدة المغرب العربي وزيارتها لأقطاره سنة 1988.

الحمائم

مَا لِلْحَمَائِمِ فِي الرِّيَاضِ بَوَاكِي
مِنْ بَعْدِ مَا أَمِنْتَ مِنَ الْأَشْرَاكِ ؟
كَانَتْ تُرِيدُ لَحْنَهَا فِي دَوْحِهَا
فَتُرِيدُ الدُّنْيَا صَدَاهَا الْحَاكِي
مَا لِلْخَمَائِلِ اسْتَحَالَتْ مَاتِمًا
وَالزَّهْرُ ذَاوٍ، وَالْمُسَامِرُ بَاكِي ؟
هَذِي الْجَدَاوِلُ يَا حَمَائِمَ مَالَهَا
جَفَّتْ فَأَجْدَبَ بَعْدَهَا مَرَعَاكِ ؟
يَا جَنَّةً لَمْ يَبْقَ مِنْ أَضْوَائِهَا
إِلَّا وَمِيْخُ النَّجْمِ فِي الْأَفْـلَاكِ
شَاهَتْ رُؤَاكِ ! وَأَظْلَمْتَ يَا جَنَّتِي
بَعْدَ الْوَضَاءَةِ وَالسَّنَا دُنْيَاكِ
وَتَنَكَّرْتَ لِي إِخْوَةً عَانَقْتُهُمْ
وَرَعَيْتُ ثَوْرَتَهُمْ عَلَى أَعْدَاكِ
أَسَكَنْتَهُمْ قَلْبِي وَكُلَّ جَارِحِي
وَرَأَيْتُ بُغْضَهُمْ وَمِنْ الْإِشْرَاكِ !
وَرَأَيْتُ فِي نَصْرِ الْجَزَائِرِ نَصْرَتِي
وَرَأَيْتُ فِي إِهْلَاكِهَا إِهْلَاكِي !
وَالْيَوْمَ تَحْصِدُ نَارُهَا أَكْبَادَنَا
فِي قَسْوَةِ الْمُتَوَحِّشِ السَّفَاكِ

فَبَكَيْتُ مِمَّنْ كُنْتُ أَبْكِي حُزْنَهُ
وَوَقَفْتُ مَشْدُوهَا بِغَيْرِ حَرَكَ !

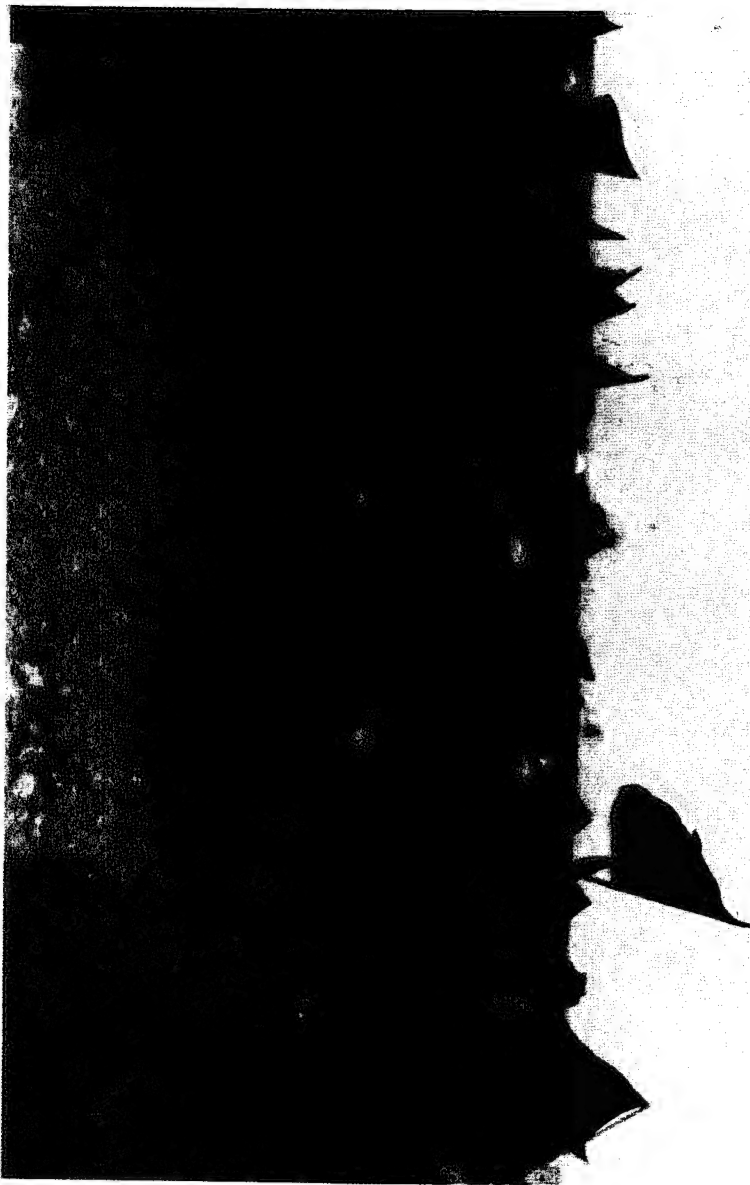


يَا أُخْتُ ! يَأْمَنْ جُدْتُ يَوْمَ نِضَالِهَا
بِدَمِي، فَكَانَ جَزَاؤُهُ إِنَّهَا كِي
بَعْدَ الْعِنَاقِ وَبَعْدَمَا اشْتَبَكَتْ يَدِي
بِيَدَيْكَ حَتَّى بَلَغْتُكَ مُنْذَكَ
قَدْ كُنْتُ دِرْعاً فِي نِضَالِكَ وَأَقِيماً
وَالْهَادِي الْمَأْمُونِ فِي مَسْرَاكِ
وَرَضِيتُ أَنْ أَشْقَى لِيَسْعَدَ إِخْوَتِي
وَوَجَدْتَنِي فِي النَّائِبَاتِ أَخَاكِ !
زَغَرَدْتُ يَوْمَ بَلَغْتَ مَا أَمَلْتِهِ
وَهْتَفْتُ بِالتَّكْبِيرِ تَحْتَ لَوَاكِ !
لَا تَحْفِرِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ هُـوَّةً
فِيهَا هَلَاكُكَ أَوَّلًا وَهَلَاكِي !
لَا تَطْمَعِي أَنْ تَسْرِقِي صَحْرَاءَ مَنْ
سَأَلَتْ دِمَاؤُهُمْو عَلَى صَحْرَاكِ !
لَا تَغْرِسِي الْأَشْوَكَ فِي جَنَاتِنَا
وَضَعِي الزُّهُورَ مَوَاضِعَ الْأَشْوَكَ !

مَسِيرَةُ الْمَجْدِ

أَرَأَيْتَ الْجِبَالَ تَرْكُضُ زَحْفًا
وَالرِّيَّاحَ الْهَوْجَاءَ تَعْصِفُ عَصْفًا ؟
هَلْ رَأَيْتَ الْبَحَارَ وَهِيَ غَضَابٌ
تَتَحَدَّى وَتَقْذِفُ الْمَوْجَ قَذْفًا ؟
إِنَّهَا كَالْأَحْرَارِ فِي مَوْكِبِ الْمَجْدِ
يُلَبُّونَ دَاعِيَ الْمَجْدِ صَفًّا
بِقُلُوبٍ إِلَى الْأَحْبَبَةِ ظُمَاً
وَحُشُودٍ إِلَى الشَّهَادَةِ لَهْفًا
تَتَخَطَّى كَالسَّيْلِ وَهُمْ حُدُودُ
وَهِيَ عَزْلَاءٌ لَا تُعَانِقُ سَيْفًا
وَمَتَى كَانَتْ الْأَسُودُ تَهَابُ الـ
مَوْتَ أَوْ تَتْرُكُ الطَّرَائِدَ خَوْفًا ؟
زَلْزَلُوا الْأَرْضَ تَحْتَ أَقْدَامِ مَذْرِيـ
دِ، وَكَانَتْ مَسِيرَةُ الْمَجْدِ خَسْفًا
مَنْ رَأَى الشَّيْخَ لَاهِثًا وَهُوَ يَمْشِي
شَامِخَ الرَّأْسِ رَاضِيًا مُسْتَخَفًّا
يَنْهَبُ الْأَرْضَ لَا يَبَالِي أَيْظَمًا
فِي سُرَاهُ الطَّوِيلِ أَمْ سَوْفَ يَحْفَى

صورة للمسيرة الخضراء



وَالْعَجُوزُ الشَّمْطَاءُ تَسْبَحُ فِي الرَّمْلِ
لِ، وَلَا تَشْتَكِي - مَعَ الْعَجْزِ - ضَعْفًا
وَشَبَابًا فِي نَضْرَةِ الزَّهْرِ لِمَا
أَنْ دَعَتْهُ الْبِلَادُ هَبَّ وَخَفَّ
عَبَرُوا الرَّمْلَ وَالْحَوَاجِزَ وَالْوَهْ
مَ الَّذِي صَارَ بِالإِرَادَةِ طَيْفًا
وَأَسْتَرَدُّوا بِالسَّلَامِ مَا أَخَذَتْهُ
قُوَّةُ الْغَاصِبِينَ حَرْبًا وَعُنْفًا



وَجَرَتْ نَحُونَا (الْعُيُونِ) اشْتِيَاقًا
فَمَدَدْنَا نَحْوَ الْعُيُونِ الْأَكْفَا !
وَتَهَادَتَ عَرَائِشُ النَّخْلِ جَذْلَى
فِي سَمَاءٍ لَمْ تَبْدُ كَالْيَوْمِ أَصْفَى
وَإِذَا مَا إِرَادَةُ اللَّهِ كَانَتْ
سَنَدًا فِي خُطَاكَ لَأَقِيَتْ لُطْفًا
وَوَجَدَتِ الطَّرِيقَ بِالْوَرْدِ مَفْرُ
شًا وَدَرَبَ الصِّعَابِ بِالْأَمْنِ حُفًّا
أَيَّ بَشَرَى لَأَمَّتِي يَوْمَ عَادَتِ
أَيَّ عُرْسٍ بِهِ التَّوْحِيدُ زُفًّا !

رَقَصَ الْكَوْنُ فَرَحَةً وَتَغْنَى

بِالتَّهَانِي وَفَاحَ طَيْباً وَعَرَفَا

وَجَرَى الْحُبِّ فِي شَرَايِينِ شُعْبِي

مِنْ جَدِيدٍ، وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ جَفًّا !

وَشَدَا بِالْقَرِيضِ مَنْ لَمْ يَصُغْ نَثَـ

ـرَأً، وَلَا رَصَفَ الْكَلَامِ الْمُقَفَّى

حَدَثٌ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُرَ فِي عَقْـ

ـلٍ، وَلَا أَنْ يُحَاطَ نَعْتاً وَوَصَفَا !

صُغْتُ فِيهِ مِنَ الْقَرِيضِ رَحِيقاً

هُوَ أَحْلَى مِنْ ذَائِبِ الشَّهْدِ رَشْفَا

كَعَبِيرِ الزَّهْوَورِ يَعْبُقُ فِي الرَّوِّ

ضِيٍّ، وَكَالْغُصْنِ مِنْ نَدَى الْفَجْرِ رَفًّا

بَارَكَ اللَّهُ فِي بِلَادِي مَلِكاً

نَذَرَ الْعُمُرَ لِلنِّضَالِ وَوَفَّى

وَبَنَى مِنْ شَوَامِخِ الْمَجْدِ آيَا

هِيَ فِي الدَّرَبِ مَشْعَلٌ لَيْسَ يُطْفَأُ

عائد

صَحَا مِنْ نَوْمِهِ ! وَرَأَى الضِيَاءَ
وَأَبْصَرَ بَعْدَمَا عَانَى الْعَمَاءَ !
وَضَلَّاهُ سَرَابٌ كَانَ يَبْدُو
لِعَيْنَيْهِ وَمَنْ خَدَعُوهُ مَاءَ !
صَحَا مِنْ بَعْدِ أَعْوَامٍ عَجَافٍ
تَجَرَّعَ فِي مَتَاهَتِهَا الشَّقَاءَ
جَفَا أَهْلِيهِ مُنْشَقَاً وَأَعْطَى
لِمَنْ كَادُوا لِأُمَّتِهِ الْوَلَاءَ
فَمَنَّوهُ أَمَانِي كَاذِبَاتٍ
تُوْهَلُّهُ لِيَخْتَرِقَ السَّمَاءَ !
وَوَظَنُوا قَهْرَ أُمَّتِنَا مُرَاداً
يَسِيرَ رَأً لَا يُجْشِمُهُمْ عَنَاءَ
فَكَانُوا كَالْوُعُولِ أَتَتْ لِصَخْرِ
لُتُوْهِنَهُ فَلَمْ تَحْمَدِ لِقَاءَ !
تَحَدَّيْنَا وَمَا زَالَ التَّحْدِي
لَنَا خُلُقاً لِمَنْ أَبْدَى الْعَدَاءَ

صَحَا مِنْ نَوْمِهِ، فَارْتَاعَ مِمَّا
 لِأَعْيُنِهِ الْحَسِيرَةِ قَدْ تَرَأَى
 خِيَامَ سَاكِنُوهَا شِبْهُ مَوْتَى
 يُعَانُونَ الْمَجَاعَةَ وَالْعَرَاءَ
 رَأَى مُسْتَنْقَعَاتِ الْعَسْفِ يَشْقَى
 بِهَا إِخْوَانُهُ، فَبَكَى بُكَاءً !
 رَأَى زَيْفًا تَكْشِفَ وَاسْتِلَابًا
 وَمَأْسَاةً، وَفَقْرًا، وَاغْتِنَاءَ
 وَحُرَاسًا عَلَيْهِ بِكُلِّ دَرْبٍ
 مَخَافَةً أَنْ يُحَاوَلَ الْاِخْتِفَاءَ
 وَمَا مِنْ حَوْلِهِ إِلَّا رِمَالٌ
 تَسُدُّ أَمَامَ عَيْنَيْهِ الْفَضَاءَ !



وَفِي لَيْلٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ
 وَعَصْفُ الرِّيحِ يَقْتُلُ الْخَبَاءَ
 وَيُطْفِئُ كُلَّ نَارٍ أَوْقَدُوهَا
 وَيَنْتَزِعُ الْوَسَادَةَ وَالْغَطَاءَ
 وَقَدْ ذُهِرَ الْجَمِيعُ وَرَوَّعَتْهُمْ
 رِيَّاحٌ لَمْ يَرَوْا مِنْهَا النَّجَاءَ

تَسْلَلُ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ يَسْرِي
وَقَدْ نَسَجَ الظَّلَامُ لَهُ رِدَاءَ
وَحَلَفَ فِي الْمُعْسَكِرِ شِبْهَ طِفْلِ
رَضِيعٍ لَمْ يَجِدْ فِيهِ غِذَاءَ
وَأَمَّا غَابَ عَنْهَا فَهِيَ سَهْرَى
تُقَاسِي فِي مُخَيَّمَهَا الْبَلَاءَ
وَأَوْغَلَ فِي الرِّمَالِ بَغِيرَ هَادٍ
فَمَا ضَلَّ الطَّرِيقَ وَلَا تَنَاءَى
يَسِيرُ وَقَلْبُهُ يَحْدُوهُ حَتَّى
رَأَتْ عَيْنَاهُ فِي الْأَفْقِ الضِّيَاءَ
تَمْنَى الْأَرْضَ لَوْ تُطَوَّى لِيَلْقَى
أَحَبَّتَهُ وَيَرْتَوِي ارْتِوَاءَ
وَيُبْصِرَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مُرُوجاً
يَرَى فِيهَا الْخُصُوبَةَ وَالنَّمَاءَ
وَإِخْوَاناً بِأَيْدِيهِمْ قُؤُوسٌ
تَشُقُّ الْأَرْضَ أَوْ تُغْلِي الْبِنَاءَ



وَأَشْرَقَتِ الْقِبَابُ الْبَيْضُ جَذَلَى
تُبَادِلُهُ التَّحِيَّةَ وَالْوَفَاءَ

وَعَانَقَهُ النَّخِيلُ وَسَاكِنُوهُ
عَزِيزاً، بَعْدَمَا افْتَقَدُوهُ جَاءَ !
وَتَبْتَهَجُ (الْعِيُونَ) وَقَدْ رَأَتْهُ
فَتَرَقُّصُ يَوْمَ عَوْدَتِهِ انْتِشَاءً
صَحَا مِنْ بَعْدِ غَفْوَتِهِ ! وَلَبَّى
وَقَدْ نَادَاهُ عَاهِلُنَا النِّدَاءَ
وَمَنْ يَنْدَمُ كَمَنْ لَمْ يَأْتِ ذَنْباً
وَيَلْقَى فِي نَدَامَتِهِ الدَّوَاءَ
فَمَا أَبْهَاكَ يَا وَطَنِي غَفُوراً
تُرحبُ بِالمُسيءِ وَإِنْ أَسَاءَ !
وَمِنْ أَجْلِ السَّلَامِ نَرَاكَ تَبْنِي
لِتَحْقِنَ بَيْنَ أَهْلِينَا الدِّمَاءَ
فَدُمُ فِي الْخَافِقَيْنِ أَعَزُّ أَرْضٍ
وَأَغْلَاهَا وَأَعْلَاهَا لَوَاءَ

لِقَاءُ الْحُبِّ

مِنْ جِبَالِ الْأَحْرَارِ مِنْ مَوْطِنِ الْعِزَّةِ مِنْ آسَةِ وَمِنْ طَنْطَانِ
أَنْدُرُعْ صَوْبَ رَكْبِكَ تَمْتَدُّ وَأَيْدٍ تَلْقَاكَ بِالْأَحْضَانِ
هَبَّ فِي فَرْحَةٍ مَشُوقاً إِلَى اللَّقْيَا وَغَنَى هَوَاكَ كَالْهَيْمَانِ
أَمَلٌ فِي اللَّقَاءِ طَالَ تَمَنِّيهِ، وَمَا زَالَ مِنْ أَعَزِّ الْأَمَانِي !
يَحْسِبُ الْيَوْمَ حَقْبَةً تُشَبِّهُ الدَّهْرَ وَيَشْكُو مِنْ بُطْءِ نَبْضِ الزَّمَانِ
مَنْ رَأَى نَاحَةَ الْجَنُوبِ بِلُقْيَاكَ رَأَى الْحُبَّ وَالْوَفَا فِي آنٍ
وَرَأَى الشَّعْبَ لَوْحَةً لَمْ تَصْغَهَا فِي دُنَى الْفَنِّ رِيشَةُ الْفَنَّانِ !
قَفَّ تَلَفَّتْ تَرِ الْجَمَاهِيرِ نَشْوَى صَادِحَاتٍ بِأَعْدَبِ الْأَلْحَانِ
لِتَرَى الْحُبَّ فِي الْعُيُونِ ضِيَاءً وَنَشِيداً يَهْزُ كُلَّ جَنَانٍ
دَافِقاً كَالشَّلَالِ لَحْناً وَشِعْراً زَانَهُ أَنَّهُ بِلَا أَوْزَانِ !

* ● *

لَمْ يَكُنْ زَائِراً وَلَمْ يَكُ ضَيْفاً مَلِكٌ فِي الْعُيُونِ كَالْإِنْسَانِ !
قَادَ بِالْعَقْلِ وَالْحَصَافَةِ شَعْباً سَارَ مِنْ خَلْفِهِ سَخِي الْعِنَانِ
مَوْكِبُ الْخَيْرِ أَيْنَمَا حَلَّ هَلَّتْ بُشْرِيَاتٌ وَاخْضَرَّ كُلُّ مَكَانٍ
وَسَرَى الدَّفْعُ فِي الشَّرَائِينَ وَأَمْتَدَّ دَبِيبُ الْحَيَاةِ فِي الْجُثْمَانِ
وَرَأَيْتِ الْأَيْدِي تَغْيِرُ وَجْهَ الْأَرْضِ تَبْنِي مَا لَمْ يُشِيدْهُ بَانِي
مُنْجَزَاتٌ بِالْأَمْسِ كَانَتْ خَيَالَاتٍ تَعَالَتْ شَوَامِخاً فِي الْعِنَانِ
بَارَكَ اللَّهُ فِي سَوَاعِدِ أَهْلِينَا دِعَامَاتِ هَذِهِ الْأَوْطَانِ

مُسْرَعَاتٍ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَشَلَالٍ عَطَاءٍ، وَمَنْبَعٌ مِنْ حَنَانٍ
كَسَّرَتْ قَيْدَهَا، وَحَرَّرَتْ الْأَرْضَ، وَدَكَّتْ مَعَالِمَ الطُّغْيَانِ
وَبِهَا نَسْتَرِدُّ مَا اغْتَصَبَ الْغَاصِبُ مِنَّا، وَمَا اسْتَبَاحَ الْجَانِي



أَيِّ وَصْفٍ لِشَاعِرٍ يَتَقَصَّى مِهْرَجَانَ الْوَفَا، وَأَيِّ بَيَانٍ ؟
مُلْتَقَى كَانَ، جَدَّدَ الشَّعْبُ فِيهِ حُبَّهُ مُعْلِنًا بِلَا تَرْجَمَانِ !
كَالْقَذَى كَانَ فِي عُيُونِ أَعَادِيكَ، وَكَالْمَاءِ فِي فَمِ الظَّمَانِ !
نَثَرُوا الْوَرْدَ فِي طَرِيقِكَ وَالْوَرْدُ لِسَانُ الْوَجْدَانِ لِلْوَجْدَانِ
شَهِدَ الرَّمْلُ وَالنَّخِيلُ عِنَاقًا لَمْ تُشَاهِدْ جَلَالَهُ عَيْنَانِ !
مَنْ تَرَاهُ مِنْهُمْ سَيَنْكُثُ عَهْدًا، أَوْ تَرَاهُ يَرْتَدُّ عَنْ إِيْمَانٍ ؟
وَهُمُو كَالْجِبَالِ فِينَا صُمُودًا وَأَمَامَ الْإِعْصَارِ كَالْكَثْبَانِ
كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَنْسَى بِيَوْمِكَ هَذَا جُرْحَ قَوْمِي، أَوْ أَنَّهُ يَنْسَانِي
غَيْرَ أَنِّي أَحْبُّ مِثْلَكَ قَوْمِي. وَهُوَ حُبٌّ يَنْسَابُ فِي شِرْيَانِي
فَعَسَى أَنْ تَجْرِيَ الرِّيحُ بِمَا شِئْنَا، وَنُرْسِي عَلَى جَنَاحِ الْأَمَانِ
وَنُصَلِّي وَرَاكَ فِي الْقُدْسِ أَفْوَاجًا وَنُهْدِي إِلَيْكَ فِيهِ التَّهَانِي
فَأَبْقَ حَتَّى تَرَى ثَمَارَ مَسَاعِيكَ وَمَا أَزْهَرَتْ يَدَاكَ دَوَانِي
وَلَتَقْرَ الْعَيْنَانِ مِنْكَ بِشِبْلَيْنِ هُمَا فِي أَفْقِ الْعُلَى فَرَقْدَانِ

من وحي الزيارة الملكية لأهلنا في الجنوب 1991.

أَعْرَاسُ أَصِيلَةٍ

عَرَّائِسُ الشَّعْرِ نَشَوَى فِي مَغَانِينَا
قَدْ عَانَقَتْهَا وَفِي شَوْقٍ نَوَادِينَا
زَهَتْ أَصِيلًا وَطَابَ الْمُنتَدَى وَشَدَتْ
بَلَابِلُ الشَّعْرِ مَا يُنْسِي الْمُغْنِينَا
وَفَتَّحَتْ قُلُوبَهَا لِلْعَاشِقِينَ فَمَا
رَأَيْتُ قُلُوبًا وَعَى كُلِّ الْمُجِبِّينَا !
تَكَادُ تَحْكِي شَوَاطِيهَا مَلَا حِمْنَا
وَمَا تَكْبِّدُهُ فِيهَا أَعَادِينَا
حَجَّتْ إِلَيْهَا وَفُودَ الشَّعْرِ حَامِلَةً
بَاقَاتِ حُبٍ قَطَفْنَاهَا بِأَيْدِينَا
عَادَتْ إِلَيْهَا عُكَازٌ فِي تَأْلُقِهَا
وَجَلَجَلَتْ فِي نَوَادِيهَا قَوَافِينَا
وَفِي بِلَادِي رُؤَى شِعْرِيَّةً صَدَحَتْ
بِهَا مَعَ الْبُلْبُلِ الشَّادِي مَثَانِينَا
بَحْرٌ وَشِعْرٌ وَأَعْرَاسٌ بِمَوْسِمِنَا
وَفِتْنَةٌ مَنْ رَأَاهَا عَاشَ مَفْتُونًا !
جَنِّتُ مِنْهَا وَمَنْ شَامُوا مَغَانِينَهَا
وَحُسْنَهَا لَمْ يُرَوْا إِلَّا مَجَانِينَا !

وَنَحْنُ صَرَعَى الْمَعَانِي لِأَغِذَاءِ لَنَا
 إِنَّ لَمْ نَجِدْ حَوْلَنَا فَنَاءً يُغْذِينَا
 وَمَحْنَةُ الشَّعْرِ فِي دُنْيَاهُ كَارِثَةٌ
 فِي عَالَمٍ أَفْسَدُوا فِيهِ الْمَوَازِينَا
 وَغَاصَتْ الرُّوحُ فِي الْأَوْحَالِ وَانْطَفَأَتْ
 مَسَارِجُ طَالَمَا جَلَّتْ دِيَاجِينَا
 أَضَحَتْ بِلَابِلُهُ خَرَسَاءَ مُعْجَمَةً
 كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ يَوْمًا تُتَاغِينَا
 بِالْأَمْسِ كَانُوا إِذَا أَنْشَدَتْهُمْ رَقْصُوا
 وَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحُوا بِالرَّقْصِ لَاهِينَا !



يَاشَادِي الشَّعْرِ غَرِدِ فِي خَمَائِلِهِ
 وَلَا يَضُرَّكَ إِنْ لَمْ تَلَقَ صَاغِينَا
 وَنَحْ عَلَى الْمَجْدِ أَطْلَالًا سَتَسْمَعُهُ
 حَتْمًا، وَإِنْ عَاشَ مَهْضُومًا وَمَغْبُونًا !
 وَيَارِفَاقِي خَلُّوا النَّايَ مُرْتَعَشًا
 يَشْدُو وَلَوْ أَجْدَبَتْ دُنْيَا الْمُجِيدِينَا
 فَالشَّعْرُ فَنٌّ وَمِرَاةٌ لَأَنْفُسِنَا
 وَمَنْبَرٌ لَيْسَ يَرْقَاهُ الْمَرَاوِنَا

رَكِبْتُ زَوْرَقَهُ وَالْعُمُرُ مُؤْتَلَقُ
وَأَقْتَدْتُ جَامِحَهُ وَأَقْتَادَنِي حِينَا
قَدْ فَجَّرَ الْعُرْبُ أَحْزَانِي فَصَغْتُ لَهُمْ
شِعْرًا مِنَ الْقَلْبِ لَا يَبْكِيهِ بَاكُونَا !
بَكَيْتُ بِالشِّعْرِ قَوْمِي فِي مَسِيرَتِهِمْ
فَمَا أَفَدْتُ وَلَا أَلْفَيْتُ وَاعَيْنَا
بُحْتُ حَنَاجِرَنَا فِي كُلِّ فَاجِعَةٍ
وَلَاذَ بِالصَّمْتِ مَنْ كَانُوا يُنَادُونَا !
لَا كَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَقِّ دَاعِيَةً
وَلَيْسَ بِالشِّعْرِ مَا يَنْسَى مَا سِينَا
فَطَالَمَا هَزَّتِ الدُّنْيَا مَقَاطِعُهُ
وَأَرْهَبَتْ - وَهِيَ لَا تَخْشَاهُ - صَهْيُونَا !



ذَكَرْتُ أَيَّامَهُ الْغَرَاءَ مُورَقَةً
وَدَوَّلَةَ الشِّعْرِ فِي بَغْدَادِ هَارُونَا
بَلَابِلُ الشِّعْرِ تَشْدُو فِي مَنَابِرِهِ
جَذَلَى وَتَنْسَابُ فِي الدُّنْيَا تَلَا حِينَا
وَلَيْسَ لِلْفَنِّ وَالْإِبْدَاعِ فِي وَطَنِ
غَدٌّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْفَنِّ رَاعُونَا !

وَمِلءٌ عَيْنِي هُنَا غُرٌّ عِبَاقِرَةٌ
يَجْرُونَ فِي الْحَلْبَةِ الْقُصْوَى مُجَلِّينَا
يَشْكُونَ مَا نَشْتَكِي مِنْ جُرْحِ أُمَّتِنَا
وَمَا يُعْنِيهِمْ مِنْهَا يُعْنِينَا
فِيَارْفَاقِي لِأَمِيعَادٍ يَجْمَعُنَا
إِلَّا لِقَاءَ حَبِيبٍ فِي فَلَسْطِينَا
هُنَاكَ يَشْدُو هَزَارُ الشِّعْرِ مَلْحَمَةً
تُحْيِي بَطُولَتَهَا أُمَجَادَ حِطِينَا !
لَيْتَ الْكَوَكِبَ تَدْنُو لِي فَأَنْظِمَهَا
مَشَاعِرًا عَنْ قَوَافِي الشِّعْرِ تُغْنِينَا

(*) ألقاها الشاعر بمناسبة تكريمه في مدينة أسيلا من طرف جمعية المعتمد بن عباد صيف 1987.

عِيدُ السُّتَيْنِ

فِي عَيْدِكَ الذَّهَبِي يُبْدِعُ شَاعِرُ
وَيَطِيبُ إِنْشَادَ وَيَنْثُرُ نَائِرُ
سِتُّونَ عَاماً مِنْ حَيَاةٍ مِلْوُهَا
غُرُرُ تَضِيءُ، وَكُلْهِنَّ مَفَاخِرُ
سِتُّونَ عَاماً كَالْمَشَاعِلِ نُورَهَا
فِي الْخَافِقَيْنِ وَفِي الْمَحَافِلِ بَاهِرُ
كَالْعِقْدِ فِي جِيدِ الزَّمَانِ وَضِيئَةٌ
مَا مِثْلَهَا بَيْنَ الْعُقُودِ جَوَاهِرُ
لَكَأَنَّنِي بِكَ فِي الطَّفُولَةِ بُرْعَمُ
غَضٌّ وَغُصْنٌ فِي الشَّبِيبَةِ نَاضِرُ
مَا زِلْتَ تَسْمُو فِي ظِلَالِ أَبْوَةِ
مِثْلِي، وَيَغْمُرُكَ الْحَنَانُ الْغَامِرُ
حَتَّى ارْتَقَيْتَ نُرَى الْكَمَالِ وَلَمْ يَزَلْ
يَسْمُو بِهَمَّتِكَ النُّبُوغُ الْبَاكِرُ



مَاذَا سَيَقُطِفُ شَاعِرٌ مِنْ رَوْضِكُمْ
وَهُوَ الْمَخِيرُ فِي الْجَمَالِ الْحَائِرُ !



صورة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره

أَنَّى التَّفَتُّ رَأَيْتُ شَخْصَكَ مَاثِلًا
مِلءَ الْعُيُونِ وَأَنْتَ فِيهَا الْحَاضِرُ !
تَهْوَى السُّرَاةَ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الَّتِي
تُغْرِي وَيُغْرِقُهَا النِّعِيمُ الْغَامِرُ
وَتَغْوِصُ فِي لَذَاتِهَا وَنَعِيمِهَا
وَيَحْفُفُهَا مِنْ كُلِّ ذَاكَ مَظَاهِرُ
وَيَشَاءُ رَبُّكَ أَنْ تَكُونَ نَمُودَجًا
لَمْ تَمْتَلِكْهُ أَوَائِلَ وَأَوَاخِرُ
لَمْ تَلَهُ وَالْأَحْدَاثُ تَلْهُو فِي الصِّبَا
وَدُمُ الشَّبَابِ عَوَاطِفٌ وَمَشَاعِرُ
أَوْ تَنْسَ أَنْكَ لِلنِّخَالِ مَيَسَّرُ
وَلَأَمَّةٍ أَوْهِيَ قُؤَاهَا الْغَادِرُ
أَلْهَمْتَ أَنَّ الْعِلْمَ خَيْرٌ وَسَيِّئَةٌ
لِخِلَاصِهَا، وَهُوَ السَّلَاحُ الْبَاتِرُ
فَكَرَعْتَ مِنْ شَلَالِهِ وَعَكَفْتَ فِي
مِحْرَابِهِ شَوْقًا، وَجَفَنُكَ سَاهِرُ
حَتَّى اسْتَوَيْتَ كَمَا أَرَادَكَ وَالِدُ
رَبِّي فَلَمْ يَفْخَرْ بِمِثْلِكَ فَاخِرُ !
فَإِذَا اسْتُشِيرْتَ فَأَنْتَ فِكْرٌ ثَاقِبٌ
وَإِذَا نَطَقْتَ فَذُو بَيَانٍ سَاجِرُ

وَإِذَا عَزَمْتَ فَذُو يَقِينٍ صَادِقٍ
 أَنَّ الْإِلَاهَ وَرَاءَ خَطُوكَ نَاصِرُ
 سَعْيِي دُؤُوبٌ لَا يَمَلُّ وَقُـدْرَةٌ
 خَلَّاقَةٌ، وَمَلَاكَ سِلْمٍ طَاهِرُ
 وَأَرَى سِوَاكَ يَذُمُّ مَا يُمْنَى بِهِ
 وَتُرى، وَأَنْتَ لِمَا تُلَاقِي شَاكِرُ !
 إِنَّ الْحَيَاةَ مُعَلِّمٌ نَكَبَاتُهَا
 دَرُسٌ يَعِيهِ عَلَى الطَّرِيقِ السَّائِرِ !



قَرَرْتُ بِأَنْسِكَ عَيْنُ وَالِدِكَ الَّذِي
 ضَحَّى، وَتَوَجَّهَ الْإِيَابُ الظَّافِرُ
 شَارَكَتُهُ شَرَفَ الْقِيَادَةِ وَأَعْيَا
 أَنَّ الْقِيَادَةَ مِحْنَةٌ وَمَخَاطِرُ
 وَأَمَانَةٌ وَرِسَالَةٌ لَمْ يَحْتَمَلِ
 اِعْبَاءَهَا إِلَّا عَظِيمٌ صَابِرُ !
 وَخَلَفَتْهُ فَازِدَانِ عَرْشُ وَازْدَهَتْ
 بِكَ فِي حِمَاهُ مَكَارِمٌ وَمَآثِرُ
 وَالْحُكْمُ لَيْسَ تَسَلَّطًا لَكِنَّهُ
 عَهْدٌ، وَحُبٌّ جَامِعٌ، وَأَوَاصِرُ

وَالْحُبُّ مَا أُعْطِيََتْ حُبًّا مِثْلَهُ
وَصَفَتْ عَلَيْهِ سَرَائِرَ وَضَمَائِرُ !



تَبْنِي بَعَزْمَكَ مَا يُوفِرُ أُمْنَنَا
لَغْدِ بَدَتْ فِي الْأَفْقِ مِنْهُ بَوَادِرُ
فِي كُلِّ إِقْلِيمٍ شَوَاهِدَ نَهْضَةٍ
وَبِكُلِّ وَادٍ لِلنَّمَاءِ بِشَوَائِرُ
أُعْطِيَتْ أَرْضُ الْخَيْرِ مَا تَحْيَا بِهِ
فَإِذَا صَحَّارِيهَا رَبِيعٌ أَسِرُّ
وَإِذَا السَّوَاعِدُ بِالْمَعَاوِلِ تَلْتَقِي
فَيَفِيضُ بَيْنَهُمَا عَطَاءٌ زَاخِرُ
وَتُضِيءُ أَنْوَارُ الْعُلُومِ عُقُولَهَا
فَتَزَاحُ عَنْ عُمَى الْعُقُولِ دَيَاجِرُ
أَعْلَيْتَ بِاسْمِ اللَّهِ أَعْظَمَ مَسْجِدٍ
لَمْ يَبْنِهِ لِلَّهِ قَبْلَكَ غَابِرُ
إِيثَارُ شَعْبِكَ وَهُوَ شَعْبٌ مُسْلِمٌ
وَنَهْوَضُهُ لِلْخَيْرِ، وَهُوَ يُيَادِرُ
رَفَعَا لِأُمَّتِنَا مَنَارًا شَامِخًا
هُوَ فِي سَجْلِكَ أَوَّلٌ لَا آخِرُ !



أَمَنْتُ أَنَّكَ مُلْهَمٌ فِيمَا تَرَى

رُبَّانُ مَرْكَبَةٍ خَيْرٌ مَّا هِرُّ

جَنَّبْتَ مَغْرِبَنَا خُطُوباً رَوَّعْتَ

أُبْنَاءَهُ وَعَلَا صَدَاهَا الْهَادِرُ

لَوْ لَا دَهَاؤُكَ مَا خَبَتْ نِيرَانُهَا

وَلَمَّا انْتَهَتْ فَوْقَ الْحُدُودِ مَجَازِرُ

بِكَ فَاخَرْتَ بَيْنَ الشُّعُوبِ مَحَافِلُ

وَبِكَ ازْدَهَتْ بَيْنَ الْوُقُودِ مَنَابِرُ

لَا كَسَرَ فِي جِسْمِ الْعُرُوبَةِ مُوجِعٌ

إِلَّا وَأَنْتَ لَهُ ضِمَادٌ جَابِرُ

فَنَزَاعُهَا - بِهَذَاكَ - سُحْبٌ تَنْجَلِي

وَخِلَافُهَا - بِحُجَاكَ - خُلْفٌ عَابِرُ

وَصَنَعْتَ مَغْرِبَنَا الْكَبِيرَ بِثُورَةٍ

بَيَضَاءٍ لَمْ يَطْمَحْ إِلَيْهَا ثَائِرُ !



يَا حَامِي الْإِسْلَامِ طَهَّرْ أَرْضَهُ

مِمَّا يَشُوبُ صَفَاءَهُ وَيَسَاوِرُ

فَبَغْيٍ هَدَى اللَّهَ لِأَنَّهُدَى وَلَا

يَهْنَأُ لَأَمْتِنَا غَدٌ أَوْ حَاضِرُ !

وَبَغْيِرِ دِينَ لَا تَقُومُ حَضَارَةٌ
وَبَغْيِرِ أَخْلَاقٍ حَمَانَا شَاغِرُ !
أُمْعَلِمَ الْأَجْيَالِ وَالْمَثَلِ الَّذِي
مَلَأَ الْعُيُونَ وَتَوَّاهَ فِيهِ الْخَاطِرُ
هَذِي زَغَارِيدُ الشَّبَابِ بَعِيدُكُمْ
جَذَلَى قَصَائِدُ عَنَبِرٍ وَمَبَاخِرُ
يَهْدِي إِلَيْكَ وَلَاءَهُ فِي قُبْلَةٍ
نَشْوَى وَيُرْقِصُهُ فُؤَادُ طَائِرُ !
فَاسْلَمْ لَهُ حَتَّى تَرَى أَغْرَاسَكُمْ
خُضْرًا أَزَاهِرُهَا الْحِسَانُ نَوَاضِرُ
يَرْعَاكَ وَالْأَشْبَالَ رَبُّ لَمْ يَزَلْ
يَرْعَاكَ مِمَّا تَخْتَشِي وَتُحَاذِرُ

أَنْشُودَةُ الْعِيدِ

يَا بِلَادِي يَا شَامَةَ الْأَوْطَانِ
عِيدُكَ الْيَوْمَ غُرَّةُ الْأَزْمَانِ
عِيدُكَ الْيَوْمَ فِي لِسَانِي شَعْرٌ
عَبَقَ رِيٍّ لَمْ تَشُدَّهُ شَفَتَانِ
زَغَرَدَ الطَّيْرُ فِي خَمَائِكَ الْخَضْرُ
رَشِيداً مُعْطِراً الْأَلْحَانِ
فَإِذَا الْكَوْنُ مِهْرَجَانٌ وَأَعْرَا
سُ، وَذِكْرِي نَهَايَةَ الْعُدْوَانِ !
هَبْ شَعْبِي يَحْطُمُ الْقَيْدَ عَنْ أَيْدِي
بَنِيهِ فِي ثَوْرَةِ الْبُرْكَانِ !
بَارَكَ اللَّهُ زَحْفَهُ وَخَطَاهُ
وَهُوَ يَمْشِي خَلْفَ الْمَلِكِ الْبَانِي
نَفْحَةُ الطَّهْرِ مِنْ سُلَالَةِ أَصْلَا
بِ شَذَاهَا يَفُوحُ مِنْ عَدْنَانِ
دَوْحَةٍ لَمْ تَزَلْ تُظِلُّ شَعْباً
عَرَبِيّاً بِيَانِيعِ الْأَغْصَانِ
وَجَدَ الْأَمْنَ فِي حِمَاهَا وَأَمْضَى
مَعَهَا الْعُمَرَ فِي ظِلَالِ الْأَمَانِ

وَسَقَاهَا بِالْحُبِّ حَتَّى تَسَامَتْ
 شَامِخَاتِ الْعُرُوشِ وَالتَّيْجَانِ
 تَتَحَدَّى الْأَحْدَاثَ فِي كِبَرِيَاءِ
 وَتَهْدِي الصِّعَابَ بِالْإِيمَانِ
 كَالثَّرِيَّا مُلُوكُهَا الصَّيْدُ فِي أَفْ—
 قِ الْمَعَالِي وَهَاجَهُ اللَّمَعَانِ
 رَضَعُوا فِي الصَّحْرَاءِ خَيْرَ لَبَانِ
 بَيْنَ خُضْرِ النَّخِيلِ وَالْكُتْبَانِ
 وَامْتَطُوا صَهْوَةَ الْعُلَى وَتَحَلَّلُوا
 بِمَزَايَا تَفِيضِ كُلِّ لِسَانِ
 دَوْلَةً أَسَّسْتَ عَلَى الْحُبِّ مَبْنًى
 هَا وَسَاسَتْ بَبِيعَةَ الرِّضْوَانِ
 حَمَلْتَ مَشْعَلَ الْهِدَايَةِ وَالْخَيْ—
 رِ، وَحُبَّ الْإِنْسَانِ لِلْإِنْسَانِ



بَارَكَ اللَّهُ دَوْحَهُ وَأَصُولاً
 وَرَثَتْ مَجْدَهَا الْفُرُوعُ الدَّوَانِي
 حَبْذَا الْوَارِثُ الْأَمِينُ الَّذِي سَا
 رَ عَلَى النَّهْجِ بَعْدَهُمْ غَيْرَ وَانِي

وَابْنُ مَنْ حَرَّرَ الثُّغُورَ وَأَجْلَى
عَنْ ثَرَاهَا جَا فَلَ الْإِسْبَانِ
لَمْ يَزَلْ يَرْتَقِي بِأُمَّتِهِ الْأَوْ
جَ وَيُعْلِي شَوْامِخَ الْعُمَرَانِ
فَجَرَّ الْمَاءَ فِي الْحُقُولِ سَيْوِلًا
أَخْرَجَتْ كُلَّ بُرْعَمٍ رِيَّانِ
وَعَزَا بِالسُّدُودِ كُلِّ جَدِيبِ
مُمَحِّلٍ فَاسْتَحَالَ كَالْبُسْتَانِ
وَرَأَى الْعِلْمَ فِي رَحَابِهِ مَالَمَ
تَرَهُ فِي أَبْهَاءِ بَغْدَانِ !
هَمَّةٌ لَمْ تَزَلْ تُحَقِّقُ مَالَمَ
يَتَهَيَّأُ لِعَبْقَرِي بَانِي
وَخَطِيبٌ مُفَوَّهٌ لَا يَجَارِي
وَحَصِيفُ الْحَجَى رَبِيطُ الْجَنَانِ
أَلْبَسَتْهُ الصَّحْرَاءُ تَاجًا فَأُضْحَى
وَلَهُ بَعْدَ فَتْحِهَا تَاجَانِ !
فَكَ عَنْهَا الْقِيُودَ بِالشَّعْبِ يَجْتَا
زُ إِلَيْهَا الْحُدُودَ كَالطُّوْفَانِ
دَخَلَتْهَا كَتَائِبُ السِّلْمِ تَتْلُو
فِي خُشُوعٍ مَقَاطِعَ الْقُرْآنِ

عِيَّ عَنْ وَصْفِهَا الْبَلِيغُ وَذَابَتْ
 فِي مُحِيطَاتِهَا فُنُونُ الْبَيَانِ
 لَمْ يَسْؤُنَا أَذَى الدَّخِيلِ الَّذِي وَلَّى
 —، وَلَكِنْ تَنَكَّرَ الْجِيرَانِ !
 مَنْ وَهَبَنَا حُبَنَا وَدِمَانَا
 وَمَنْحَنَاهُ دَافِي الْأَحْضَانِ
 عَاثَ فِي أَرْضِنَا وَلَسْنَا ضِعَافاً
 فِي لِقَاءِ. وَلَا بِشَعْبٍ جَبَانِ
 غَيْرَ أَنَّا لَنْ نَزْرَعَ الشُّوكَ فِي الرُّوْ
 ضِ مَكَانِ الْوُرُودِ وَالرَّيْحَانِ !



يَامَلِيكَ الْبِلَادِ يَهْنِكَ شَعْبٌ
 عَرَبِيٌّ فِي حُبِّكُمْ مُتَّفَعَانِي
 أَنْتَ لَقَنْتَهُ الْإِبَاءَ لِيَحْيَا
 رَافِعَ الرَّأْسِ شَامِخاً فِي الْعَنَانِ
 أَنْتَ بَوَّأْتَهُ مَكَاناً عَلِيّاً
 فَتَغْنَى بِذِكْرِهِ الْخَافِقَانِ
 لَمْ يَزَلْ يَنْشُدُ الْكَمَالَ وَيَهْفُو
 لِفَدِّ حَافِلٍ بِأَعْلَى الْأَمَانِ

بِقَضَايَا الْإِسْلَامِ وَالْعُرْبِ مَا زِلْ

سِتَ مُعْنَى مُوَرِّقِ الْأَجْفَانِ

عَرَبِيٌّ تَتَنُّ لِلْقُدْسِ مُكَلِّو

مَاءً، وَتَأْسُو الْجِرَاحَ فِي لُبْنَانِ

أَرْقَتَكَ الْمُخَيَّمَاتُ وَصَرُخَا

تُ نِسَاءً يَغْرِقْنَ فِي الْأَحْزَانِ

هَكَذَا أَنْتَ مُلْهَمٌ تَتَحَدَّى

كُلَّ خَطْبٍ، وَرَابِحٌ فِي الرَّهَانِ

فَاسْتَمِعْ صَرْخَةَ الْجُيُوبِ وَقَدْ مُدَّ

دَتِ الْيَنَانُ مِنْ سَاكِنِهَا الْيَدَانِ

فِي اشْتِيَاقٍ لِعَوْدَةٍ وَعِنَاقٍ

تَتَلَاقَى فِي عُرْسِهِ الضَّفَّتَانِ

وَأَبْقَ لِلضَّادِ وَالْعُرُوبَةِ حِصْنًا

وَمَلَاذَأً مِنْ عَادِيَاتِ الزَّمَانِ

وَلِيَعِشَ فِي ظِلَالِ عَرْشِكَ شَعْبٌ

يَتَمَنَّى أَنْ يَسْلَمَ الْفَرْقَدَانِ

جامعة الأخوين

وَانْظِمِ لِـرَافِعِهِ عُقُودَ بَيَانٍ
وَمَنَارَةَ سَتُضِيُّ بِالْعِرْفَانِ
مَهْدَ الْأَبَاةِ وَمَوْطِنَ الشُّجْعَانِ
فِي الْأَرْضِ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى رِضْوَانِ !
وَرَأَيْتَ رَوْضاً زَاهِي الْأُلُوانِ
وَعَفُوتَ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْأَغْصَانِ
سَتَظَلُّ تُنْبِي عَنْ جَلَالِ الْبَانِي
وَيَغِيبُ بَانُوهَا مَعَ النِّسْيَانِ
تَاجاً يُرْصَعُ مَفْرَقَ الْأَوْطَانِ
لِلْعِلْمِ تَكْشِفُ ظِلْمَةَ الْحَيْرَانِ
تَسْعَى لِتُرْسِي فِي جَنَاحِ أَمَانٍ
أَقْطَافُهَا لِلْمُشْتَهِينَ دَوَانِي
لِلشَّعْبِ مِنْ مَلِكٍ طَمُوحِ بَانِي
لِلْفِكْرِ خَالِدَةً مَدَى الْأَزْمَانِ
تَشْدُو بِلَا وَتَرٍ وَلَا أَوْزَانَ
لِحُلُولِهَا فِي الْأَطْلَسِ الرِّيَّانِ
مَا مِثْلُهَا فِي أَنْفُسِ التَّيْجَانِ !
وَتَشْدُ أَسْمَاعِي إِلَى كَرْوَانِ

قُمْ حَيِّ صَرْحِ الْمَجْدِ فِي إِفْرَانِ
وَأَشْهَدْ مَعَ التَّارِيخِ مَوْلِدَ قَلْعَةٍ
رُفِعَتْ قَوَاعِدُهَا بِأَرْضٍ لَمْ تَزَلْ
مَا كَانَ أَرْوَعَ أَنْ تَقَامَ بِجَنَّةِ
أَنْتِ التَّقَتْ رَأَتْ عُيُونُكَ خُضْرَةَ
وَسَبَحَتْ فِي عِطْرِ وَفَيْضٍ مِنْ سَنَى
هَذَا الْبِنَاءِ الْجَامِعِيِّ شَهَادَةً
تَبْنِي الْبِنَاءَ النَّاطِحَاتِ فَتَحْتَفِي
وَمُشِيدُو الْأَمْجَادِ بَاقٍ مَجْدُهُمْ
مَا الْمَجْدُ إِلَّا أَنْ تُشَادَ مَنَائِرُ
فَهِيَ الدُّرُوعُ الْوَاقِيَاتُ الْأُمَّةِ
جَلَّتْ يَدٌ غَرَسَتْ أَزَاهِرَ رَوْضَةٍ
طَلَعَتْ مَعَ الْعَامِ الْجَدِيدِ هَدِيَّةً
مَا زَالَ يُعْلِي فِي الْبِلَادِ مَعَالِمًا
يَا حُسْنَهَا ! مِنْ رَوْضَةٍ أَطْيَارُهَا
وَكَأَنَّمَا جَمَعَتْ مَحَاسِنَ غَيْرِهَا
قَدْ زَانَ مَفْرَقَهُ بِأَبْهَى دُرَّةٍ
لَكَأَنَّيَ أَصْغِي إِلَى سَمَارِهَا

قَرَّتْ بِمَوْلِدِهَا عُيُونٌ رَاقَبَتْ
وَاسْتَقْبَلُوا يَوْمَ الْمُنَى فِي عِيدِهَا
وَالْفِكْرُ أَظْمَأَ مَا يَكُونُ لِمَنْهَلٍ
ضَاعَتْ شُعُوبٌ ! لَأَمَكَانَ لِعَقْلِهَا

*

*

إِشْرَاقَهَا بِتَطَّلُعِ اللَّهْفَانِ
بِالْحُبِّ يَسْكُنُهُمْ وَبِالْأَحْضَانِ
يُرْوِي وَيُطْفِئُ غَلَّةَ الظَّمَانِ
وَلِقَلْبِهَا فِي اللَّهِ وَكُلِّ مَكَانٍ !

مَنْ شَيَّدُوا لِلْعِلْمِ خَيْرَ مَبَانِي
وَالْعِلْمُ خَيْرُ دَعَائِمِ الْعُمَرَانِ
يَدْعُونَ بِالْحُسْنَى بَنِي الْإِنْسَانِ
لِلْغَرْبِ مُوقِظَ فِكْرِهِ الْوَسْنَانِ
مِنْ غَيْرِ بَحْرِ غُلُومِنَا الْمَلَانِ
فَاضَتْ مَعَارِفُهَا عَلَى الْأَكْوَانِ
بَاسٌ، وَيَرْهَبُهَا بَنُو الصَّلْبَانِ
هِيَ فِي الْوُجُودِ خُلَاصَةُ الْأُديَانِ
وَتَغُورُ شُعْلَتُهَا إِلَى نَقْصَانِ
وَنَسِيرَ خَلْفَ الْغَرْبِ كَالْعُمَيَانِ !
وَلَوْ أَنَّهَا تَسْعَى بِلَا أَكْفَانِ !
فِي الرُّوحِ، لَا فِي بَطْنِهَا الْجَوْعَانِ !
نَزَقِ الْعُقُولِ أَصَالَهُ الْإِيمَانِ
صُورًا لِمَا عَبَدُوهُ مِنْ أَوْثَانِ !

*

*

مَنْ يَسْأَلِ التَّارِيخَ يَعْرِفُ أَنَّهَا
وَبَنُوا حَضَارَتَهُمْ عَلَى أُسُسِ الْهُدَى
رَفَعُوا مَشَاعِلَهُ وَكَانُوا قَادَةً
فِكْرِ ابْنِ سِينَا وَابْنِ رُشْدٍ لَمْ يَزَلْ
لَمْ يَغْتَرِفْ يَوْمَ اسْتِفَاقِ نِيَامِهِ
وَرِحَابُ بَغْدَادٍ وَقُرْطُبَةَ الَّتِي
كَانَتْ وَكُنَّا دَوْلَةً يُخْشَى لَهَا
سُسِنَا بَنِي الدُّنْيَا بِخَيْرِ رِسَالَةٍ
وَيَشَاءُ رَبُّكَ أَنْ تَغِيبَ بُدُورُنَا
وَنَنَامَ نَحْنُ وَقَدْ أَفَاقَ خُصُومُنَا
لَأَدَاءٍ مِثْلُ الْجَهْلِ يَقْتُلُ أُمَّةً
فَقَرُّ الشُّعُوبِ وَإِنْ نَمَتْ ثُرَوَاتُهَا
أَمِنْتُ بِالْعِلْمِ الَّذِي تَحْمِيهِ مِنْ
لَوْلَاهُ عَاشَ النَّاسُ أَشْبَاهَ الدُّمَى

إِنِّي أَشِيْمُ بَوَارِقِ الْأَمَلِ الَّذِي
لِنُعِيدَ مَا عَبَثَ الزَّمَانُ بِهِ وَمَا
بِالْأَمْسِ أَخْطَأْنَا الطَّرِيقَ كَرَاجِبٍ
وَالْيَوْمَ نَنْشَأُ مِنْ زَمَانٍ لَمْ يَكُنْ
فَاسْعَدَ أَبَا الْحَسَنَاتِ بِالْغُرَرِ الَّتِي
وَأَيْدِمَ رِعَايَتَكَ الَّتِي لَمْ تَنْقُطِعْ
وَلِتَبْقَ رَائِدَةُ أُمَّةٍ إِخْلَاصُهَا
تَحْمِي. الْحِمَى وَتَرْدُ عَنْهُ أَدَى

سَيِّمُ دُؤْمَانًا بَبْعَثٍ ثَانِي
قَدْ أَفْسَدَتْهُ ضَغَائِنُ الْإِخْوَانِ
بِسَفِينَةٍ تَجْرِي بِأَلَا رُبَّانٍ !
مِنْ طَبْعِهِ مَيْلٌ إِلَى إِحْسَانٍ
سَتَظَلُّ مُثْنِيَةً بِكُلِّ لِسَانٍ
لِلْفَكْرِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْفَنِّانِ
وَوَلَاؤُهَا لَكَ مِنْ هُدَى الْقُرْآنِ
الْعِدَى لَيْثًا يُرَابِطُ حَوْلَهُ شِبْلَانِ

صك الكرامة

هَـذِي الْمُسُورُ ! لِمَنْ أَرَادَ عُـبُورَا
وَالشَّهَبُ تُرْسُلُ مِنْ عُلَاهَا النُّورَا
وَوَثِيقَةُ الْحُبِّ الـذِي لَمْ تَنْفَـصِم
يَوْمًا عُرَاهُ وَمَا يَزَالُ نَضِيرَا
أَكْبَرْتُ شَعْبًا قَدْ تَعَوَّدَ أَنْ يَرَى
لِطَمْوِجِهِ الْحَدَثَ الْكَبِيرَ صَغِيرَا !
لَأَشْيَاءَ يَمْلَأُ عَيْنَهُ وَلَوْ أَنَّه
يَبْدُو لِأَعْيُنِ حَاسِدِيهِ خَطِيرَا
شَعْبٌ يُؤْهِلُهُ لِكُلِّ كَبِيرَةٍ
مَلِكٌ كَأَنْسَامِ الرَّبِيعِ عَبِيرَا
يُصْغِي إِلَى نَبَضَاتِهِمْ وَيَرَى عَلَى
قَسَمَاتِهِمْ مَا أَمْلُوا مَسْطُورَا



مَا كَانَ مَا أَعْطَاهُ صَكَّ كَرَامَةٍ
أَوْ كَانَ مَا أَهْدَى لَهُ دُسْتُورَا
مَا كَانَ إِلَّا مَشْعَلًا وَمَنَارَةً
لَا تَنْطَفِي سَتَبَدَّدُ الدِّيْجُورَا

وَتَجِدُ الْأَمَالَ فِيهِ فَتَنْتَشِي
وَيَرَى خَفِيَّ أُمُورِهِ مَنْظُورًا
مَا كَانَ قُرْآنًا تَرَدَّدَ آيُهُ
أَوْ جَامِدًا لَا يَقْبَلُ التَّغْيِيرَ !
لِلْحَقِّ فِيهِ وَلِلْعَدَالَةِ دَوْلَةٌ
تَجْمِي الضَّعِيفَ وَتُنْصِفُ الْمُقْهُورَ
لِلدِّينِ فِيهِ دِعَامَةٌ وَضَمَانَةٌ
وَالْعَقْلُ لَيْسَ مُعْطًى لَّا مُحْجُورًا
إِنْ كَانَ أَبْطَأَ فِي السِّبَاقِ جَوَادُهُ
وَاخْتَارَ فِي مِضْمَارِهِ التَّأْخِيرَ
فَالرَّوْضُ يُنْعِشُهُ النَّدى مُتَرَقِّبًا
مَنْ بَعْدَهُ الْغَيْثُ الْعَمِيمَ غَزِيرًا
وَمَوَاكِبُ الْأَقْمَارِ فِي أَفْلَاكِهَا
تَجْرِي لِتُطْلَعَ فِي السَّمَاءِ بُدُورًا !



مَا قَالَ لَالِكَ، مَغْرِبِي قَالَهَا
بَلْ قَالَهَا لِيَمَارِسَ التَّغْيِيرَ !
وَطَنِيَّةٌ شَرَفَتْ بِهَا أَخْلَاقُهُ
كَانَتْ لَهُ فِي الْمُعْضَلَاتِ ضَمِيرًا

عَلَّمَتْهُ الشُّورَى وَكَانَتْ نَقْلَةً
 جَاءَتْ إِلَيْهِ تُدَعِّمُ التَّخْرِيرَا
 وَضَمَمْتَ حَوْلَكَ فِي النِّضَالِ قُلُوبَهُ
 وَغَدَوْتَ - وَهُوَ الْمُسْتَشَارُ - مُثِيرَا
 أَفْلَسْتَ مَنْ قَرَعَ الْخُطُوبَ بِهَمَّةٍ
 عَلَاوِيَّةٍ لَا تَرْهَبُ الْمَحْذُورَا ؟
 وَمَشَى وَرَاءَ خُطَاكَ شَعْبٌ لَمْ تَزَلْ
 تَحْمِي بِعِزِّكَ مَجْدَهُ الْمَائُثُورَا
 وَطَلَعْتَ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي كَوْكَبَا
 يَزْدَاغُ فِي لَيْلِ الْخُطُوبِ ظُهُورَا !
 وَمُنَاصِلًا فِي رِحْلَةٍ تَوَجَّهَهَا
 قَدْ كُنْتَ فِيهَا الرُّوحَ وَالْإِكْسِيرَا
 وَلَأَنْتَ مَنْ زَكَّى النَّزَاهَةَ وَالْفَضِيلَةَ
 لَهَ فِي النُّفُوسِ وَأَنْكَرَ التَّزْوِيرَا ؟
 وَرَأَى الْفَسَادَ بَلِيَّةً سَرَطَانُهَا
 يُفْنِي الشُّعُوبَ وَيَنْسِفُ الْمَعْمُورَا



أَبْجَرِ بِشَعْبِكَ فِي مَوَاكِبِ حُبِّهِ
 لَغْدٍ تَرَاهُ بِمَنْ تُحِبُّ جَدِيدَا

أَمَّا لَهُ تَسْعُ الْحَيَاةُ رَحَابَةً
 لَا يَسْتَطِيعُ لِعُمْقِهَا تَصْوِيرًا
 وَاسْمَعْ صَدَى أَهَاتِهِ فَلَرُبَّمَا
 تَعَسُّو الْحَيَاةَ فَتُنْفُثُ الْمَصْدُورَا !
 فِي عَالَمٍ أَعْمَى يَخُوضُ مَتَاهَهُ
 وَيَسِيرُ نَحْوَ فَنَائِهِ مَدْحُورَا
 لَمْ يَكْتَشِفْ بِالْعِلْمِ إِلَّا أَنََّّهُ
 مَازَالَ طِفْلاً سَازِجاً مَغْرُورَا !
 نُهْدِي إِلَيْكَ الدَّرَّ مَنْظُوماً وَقَدْ
 أَلْقَيْتَهُ مِنْ قَبْلُنَا مَنْثُورَا
 فَاسْلَمْ لِشُعْبِكَ فِي السَّعَادَةِ رَافِلاً
 وَبِفَرْقَدِكَ الْمَاجِدِينَ قَرِيرَا



صورة لتكريم ولي العهد الأمير سيدي محمد

تَهْنِئَة

أَهْنِيكَ ؟ أَمْ أَهْنِي الْمَعَالِي بِكَ يَوْمَ اكْتَمَلَتْ مِثْلُ الْهَلَالِ ؟
 كَانَ عِيداً يَوْمَ تَوَشَّحَتْ فِيهِ بِوِشَاحِ غَالٍ أَعَدَّ لِغَالٍ !
 كُنْتَ فِي (نَيْسَ) كَوَكَباً مَغْرِبِيّاً تَتَبَاهَى بِهِ فُحُولُ الرِّجَالِ !
 كُلُّهُمْ كَانَ مُصْغِياً فِي انْبِهَارٍ سَابِحٍ مِنْكَ فِي فُضَا شَلَالٍ !
 يَتَمَلَّى بِمَا تَفْتَقُّ عَنْهُ أَلْمَعِيُّ يَرْتَادُ خَيْرَ مَجَالٍ
 كُنْتَ كَالنُّورِ تَكْشِفُ الدَّرَبَ لِلْسَّارِي وَتَنْسَابُ فِي ظِلَامِ اللَّيَالِي
 فَإِذَا كُلُّ مَا كَانَ صَعْباً مُسْتَحِيلًا قَدْ عَادَ غَيْرَ مُحَالٍ !
 قَدْ أَزَاحَ الشُّكُوكَ عَنْهُمْ يَقِينٌ مِنْكَ دَاوَى مِنْ حَيْرَةٍ وَاعْتِلَالٍ
 لَيْسَ بِالْعِلْمِ قَدْ نَحَقَّ أَمْنًا وَبُطُونُ الْجِيَاعِ فِي شَرِّ حَالٍ !
 فَانْكَسِرُوا كُلَّ حَاجِزٍ يَمْنَعُ الْخَيْرَ وَيُبْقِي الشُّعُوبَ فِي الْأَوْحَالِ !
 وَامْنَحُوهُ جُهودَكُمْ وَخُذُوا مِنْهَا بِلَا خِلَاسَةٍ وَلَا اسْتِغْلَالٍ !
 تِلْكَ كَانَتْ رُؤَاكَ لِلْغَدِ تَهْدِي بِسَنَى الْعِلْمِ عَالِماً فِي اخْتِلَالٍ
 لَمْ تَزَلْ مُذْ صَبَاكَ لِلْعِلْمِ ظَمْآنًا مُكْبِئًا عَلَيْهِ فِي إِقْبَالٍ
 تَرْتَقِي قِمَّةَ الْمَعَالِي بِعِزِّ لَيْسَ يَرْضَى إِلَّا بُلُوغَ الْكَمَالِ
 فَرَعَى اللَّهُ غَارِساً وَرِيَاضاً كُلَّ أَزْهَارِهَا عُقُودٌ لَالِي
 وَهَنِيئاً لِمَغْرِبِي بِنَجِيبٍ مِنْ نَجِيبٍ وَوَالِدٍ مِفْضَالٍ
 مَوْطِنِي مَوْلِدُ الشَّهَامَةِ وَالْفِكْرِ وَمَهْدُ الْأَحْرَارِ وَالْأَبْطَالِ !
 إِنْ تَكُنْ مِنْهُمْو وَلَيْسَ غَرِيباً فِسِمَاتُ الْأُسُودِ فِي الْأَشْبَالِ !

أَكْبَرْتُ فِيكَ مَوَاقِفًا عَرَبِيَّةً

عَادَتْ لِشَعْبِكَ بِهِجَةً الذِّكْرَى

فَاخْتَالَ فِي أَعْرَاسِهَا فُخْرًا

مَا كَانَ حُلْمًا مَا رَأَى فِي عَهْدٍ مَنْ

شَادَ السُّدُودَ وَحَرَّرَ الصَّحْرَا

وَأَحَالَهَا مِنْ بَعْدِ جَذْبِ جَنَّةٍ

وَمَطَارِفًا مَوْشِيَةً خُضْرًا

لَبَّيْتَ صَرُخَتَهَا وَكَانَ لَهَا الْفِدَا

شَعْبٌ تَعَوَّدَ نَجْدَةَ الْأُسْرَى

مَا كَانَ حُلْمًا مَا رَأَى مِنْ نَهْضَةٍ

تُعْلِي قَوَاعِدَ مَجْدِهَا الْكُبْرَى

مَا زِلْتَ تَقْتَحِمُ الْخُطُوبَ بِهِمَّةٍ

وَأِرَادَةَ تَسْتَهْلُ الْوَعْرَا

لَمْ تَرْقَ فِي دَرَجِ الْمَعَالِي قِمَّةً

إِلَّا وَتَّقْتَ لِقِمَّةٍ أُخْرَى

عَوَّدْتَ شَعْبَكَ أَنْ تُنَاضِلَ مُخْلِصًا

كَمْجَاهِدٍ لَا يَبْتَغِي الْأَجْرَا

عَلَّمْتَ شَعْبَكَ كَيْفَ يَبْنِي نَفْسَهُ

بَسْوَاعِدٍ تَسْتَأْصِلُ الْفُقْرَا

عَلَّمْتَهُ أَنْ الثَّرَاءَ مِنَ الثَّرَى
 وَلِمَنْ تَشْقُ قُؤُوسُهُ الصَّخْرَا
 وَلِمَنْ يَذُوبُ التَّلْجُ مِنْ عَزَمَاتِهِ
 وَيُحْيِيْلُهُ بِطُمُوحِهِ جَمْرَا
 عَبَّاتِ حَوْلِكَ وَحَدَّةَ مَرْصُوصَةٍ
 لَايَسْتَطِيعُ لَهَا الْعِدَى كَسْرَا
 بُلْيُوثٍ غَابَ رَابِضَاتٍ فِي الْحِمَى
 لَحْظَاتُهَا لِعَدُوِّهَا شَزْرَا
 قَدْ خَلَدُوا بَيْنَ الْخَنَادِقِ وَالرُّبَى
 بِصُمُودِهِمْ أَيْامَنَا الْغُرَا
 وَرِثُوا وَلَاءَكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 أَجْيَالِ حُبٍّ لَمْ تَزَلْ تَتَرَى
 شَعْبٌ يَرَاكَ ظَهِيرُهُ وَضَمِيرُهُ
 يُؤْمِي إِلَيْكَ فَتَفْهَمُ السِّرَا
 وَإِذَا اشْتَكَى كُنْتَ الطَّبِيبَ لِـدَائِهِ
 وَالْمُسْتَغْفَاتِ لِيُكْشِفَ الْخُـرَا
 وَالْحُبَّ مَا يُعْطِيهِ قَلْبُكَ طَائِعَا
 لَأَمَاتَسَّاقٍ لِمَنْجِهِ قَسْرَا
 نَامَتْ عُيُونُ الْعَادِلِينَ ! وَكَمْ تَرَى
 مِنْ جَائِرِينَ عُيُونُهُمْ سَهْرَى !

وَابْنُ الرَّسُولِ أَحَقُّ مَنْ لَزِمَ الْهُدَى
 وَدَعَا بِحُكْمَتِهِ لَهَا جَهْرًا
 فَأَتَمَّ دَعْوَةَ عُقْبَةٍ فِي أَرْضِنَا
 وَاعْبُرَ بِهَا الْآفَاقَ وَالْبَحْرَا
 لِتُضِيَّ إِفْرِيقِيَا وَتُحْيِيَ مَاضِيَا
 قَدْ مَدَّ بَيْنَ قُلُوبِنَا جِسْرًا



أَكْبَرْتُ فِيكَ مَوَاقِفًا عَرَبِيَّةً
 وَمَبَادِئًا تَسْمُو بِهَا قَدْرًا
 لَمْ تَغْفُ عَيْنُكَ عَنْ مَآسِي أَهْلِنَا
 فِي الْقُدُسِ فِي لُبْنَانَ فِي مِصْرَا !
 أَعْطَيْتَهَا مِنْ نُورِ قَلْبِكَ شُعْلَةً
 لَا تَنْطَفِي وَوَهَبْتَهَا الْعُمَرَا !
 أَلَيْتَ إِلَّا أَنْ تُوَحِّدَ صَفَهَا
 وَتَشْدَ مِنْ إِخْوَانِكَ الْأَزْرَا
 لَمْ تَشْكُ مِنْ مَلِكٍ عَرَاكَ وَلَمْ تَضِقْ
 بِهِمْ يَوْمَهَا فِكْرًا وَلَا صَدْرًا
 وَارَى جُهْدَكَ أَثْمَرْتَ أَغْرَاسَهَا
 وَبَدَتْ تُطَلِّ مَوَاكِبُ الْبُشْرَى

هَذِي الْبَرَاعِمُ مِنْ بَيْنِهَا أَصْبَحَتْ
حُمَمًا تُذِيقُ عَذُوبَهَا الْمُرَا
غَضَبِي يَدْمِدِمُ فِي الْفَضَا إِرْعَادَهَا
قَدْ أَرْخَصْتَ أَحْجَارُهَا الدُّرَا !
أَلْقَى الْيَهُودُ عَصِيَّتَهُمْ لَمَّا رَأَوْا
فِي الطِّفْلِ (مُوسَى) يَبْطُلُ السَّحَرَا !
أَقْسَمْتَ قَبْلَ عَلَى الصَّلَاةِ بِقُدْسِنَا
وَلَأَنْتَ أَوْفَى مُقْسِمٍ بِرَأَا
لَمْ تَدَّخِرْ جُهْدًا لِنَجْدَتِهِ وَلَمْ
تَقْتَأْ تُوَاصِلْ نَحْوَهُ السَّيِّرَا
فَغَدَا يُصَلِّي الْمُسْلِمُونَ وَرَاءَكُمْ
وَيُكَبِّرُونَ لِـرَبِّهِمْ شُكْرَا
وَيَعِيشُ شَعْبُ الْقُدْسِ سَيِّدَ أَرْضِهِ
وَتَعُودُ دَوْلَتُنَا إِلَى الْمَسْرَى
فَاسْلَمْ لِأَسْرَتِكَ الَّتِي لَا تَرْتَجِي
بِسِوَاكَ فِي أَمَالِهَا نَصْرَا
وَلَأَمَّةِ الضَّادِ الَّتِي سَهَرَتْ لَهَا
عَيْنَاكَ وَهِيَ تُصَارِعُ الدَّهْرَا
وَاقْمَعِ دُعَاةَ الشَّرِّ وَالْإِلْحَادِ فِي
شَعْبٍ يَرَى تَضَالِيًا لَهُ كُفْرَا

نَخْشَى عَلَيْهِ حَضَارَةً غَرْبِيَّةً
لَا نَسْتَشْفِ لِمَدِّهَا جَزْراً
فَانْهَضْ بِهِ وَأَضَى دُرُوبَ حَيَاتِهِ
وَاسْلُكْ إِلَى غَدِهِ بِهِ الْيُسْرَى
فَعَلَى يَدَيْكَ يُحَقِّقُ الْأَمَلَ الَّذِي
يَضْبُّوا إِلَيْهِ وَيَبْلُغُ الشُّعْرَى
وَأَضْرِبْ عَلَى أَيْدِي الْفَسَادِ فَلَا بَقَا
ءَ لَأُمَّةٍ فِي جِسْمِهَا اسْتَشْرَى !
وَأَعِدْ تُغُوراً مَا تَزَالُ سَلِيَّةً
عَانِي بِهَا أَبْنَاؤُنَا الْأَسْرَا
فَلَقَدْ مَضَى زَمَنُ الْعَبِيدِ وَلَمْ يَعُدْ
نَهْبُ الشُّعُوبِ يُسَايِرُ الْعَصْرَا !
هَذِي أَمَانِي شَاعِرٍ وَلَطَالَمَا
صَدَقْتَ أَمَانَ صُغْتُهَا شِعْرَا
لَمْ أُمْتَدِّحْكَ وَلَمْ أُعِرْكَ مَوَاهِباً
نَسَجَ الْخِيَالُ بُرُودَهَا تَبْرَا
فَالْمُسْتَعِيرُ جَمَالَهُ مِنْ غَيْرِهِ
مُتَخَلِّقٌ لِأَبْدَانٍ أَنْ يَعْرِى
مَا كُنْتُ إِلَّا قَاطِطِفاً مِنْ رَوْضِكُمْ
زَهْراً أَضْمُ لِمِثْلِهِ زَهْراً
فَاسْعِدْ بِهَذَا الْعِيدِ مَوْفُورَ الرِّضَى
ذِكْرِي تُعَانِقُ بَعْدَهَا ذِكْرِي

عِيدُ الْكَرَامَةِ

عِيدٌ تَتِيَّهُ بِحُسْنِهِ الْأَعْيَادُ
وَيَطِيبُ فِيهِ الشَّعْرُ وَالْإِنْشَادُ
الطَّيْرُ يَشْدُو فِيهِ عَذَبٌ لُحُونُهُ
وَالْغُصْنُ فِي رَوْضَاتِهِ مِيَادُ
وَالْأَرْضُ أَلْبَسَهَا الرَّبِيعُ مَطَارِفًا
مَامِثَلَهَا فِي وَشْيِهَا أَبْرَادُ
وَالشَّعْبُ مِنْ أَفْرَاحِهِ فِي نَشْوَةٍ
مَشْبُوبَةٍ لَيْسَتْ لَهَا أَبْعَادُ
مِنْ بَعْدِ مَا اقْتَحَمَ الدَّخِيلُ عَرِينَهُ
وَبَنُوهُ فِي آجَامِهِ أَسَادُ !
وَسَقَاهُ مِنْ جَبَرُوتِهِ أَلْوَانَهُ
وَأَسْتَعْبَدَتْ أَحْرَارُهُ الْأَوْغَادُ !
مِنْ بَعْدِ نَكْصَتِهِ أَفَاقَ كَأَنَّهُ
فَوْرَانُ بُرْكَانٍ لَهُ إِرْعَادُ !
كَالنَّارِ وَالْإِعْصَارِ ثَارَ حُمَاتُهُ
وَشِعَارُهُمْ : نَصْرٌ أَوْ اسْتِشْهَادُ !
فَانْهَدَّ صَرْحُ الْغَاصِبِينَ وَزُلْزِلَتْ
أَقْدَامُهُمْ وَأَنْزَاخَ الْأَسْتِبْدَادُ !

لَوْلَا دِمَاءُ أَرْخِصَتْ وَبُطُولَةٌ
عُرِفَتْ بِهَا الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ
مَآهَلٌ هَذَا الْعِيدُ وَارْتَفَعَتْ بِهِ
رَايَاتُنَا وَتَوَالَتْ الْأُمَجَادُ
شَعْبٌ يَقُودُ سَفِينَهُ وَيَسُوسُهُ
مَلِكٌ يَسِيرُ بِرُكْبِهِ الْإِسْعَادُ
يَنِينِي وَيُعْلِي مَجْدَهُ فِي هَمَّةٍ
وَوَرَاءَهُ مِنْ شَعْبِهِ إِمْدَادُ
شَعْبٌ يَدِينُ بِحُبِّهِ وَوَلَائِهِ
وَيَغَارُ مِنْ إِخْلَاصِهِ الْحُسَّادُ !
عِيدُ الْكَرَامَةِ وَالنِّضَالِ مَشَاعِلُ
يَمْشِي بِهَا فِي دَرْبِنَا الرُّوَادُ !
أَفْرَاحُهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ بِهِجَّةٌ
وَلِكُلِّ قَلْبٍ مَيِّتٍ مِيْلَادُ !
ذِكْرِي تُجَدِّدُ فِي الْحَيَاةِ دِمَاءَنَا
وَمَنَارَةٌ تَزْهُو بِهَا الْأَعْيَادُ
عِيدُ الْكَرَامَةِ قَدْ أَهْلٌ وَنَحْنُ فِي
صَحْرَائِنَا الْأَحْرَارُ وَالْأَسْيَادُ !

فَتَحِيَّةٌ لِلرَّابِضِينَ عَلَى الْحَدُودِ

دِ كَأَنَّهُمْ فِي بَاسِهِمْ أَطُـــــــوَادُ !

مَنْ ضَرَجُوا بِدِمَائِهِمْ صَحْرَاءَنَا

بِبَسَالَةٍ قَرَّتْ بِهَا الْأَكْبَادُ !

فَهُمُ الدُّرُوعُ الْوَاقِيَاتُ وَهُمْ لَنَا

أَبَاؤُنَا وَالْأَهْلُ وَالْأَوْلَادُ !

تَحِيَّة

لِلَّهِ مَا أَنْجَبَتْ فَاسٌ ! وَمَا تَلَدُ
مِنْ أَنْجَمٍ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ تَتَقَدُّ
أَكْرَمَ بِهَا وَبِمَنْ كَرَّمْتُمُوهُ بِهَا
فِي بَيْتِهِ الْعِلْمُ لَمْ يَنْضُبْ لَهُ مَدَدُ
بَيْتِ الْوِلَايَةِ وَالْإِشْعَاعِ مَا انْطَفَأَتْ
أَنْوَارُهُ أَوْ هَوَتْ يَوْمًا لَهُ عَمَدُ
تَفْتَحَتْ عَنْهُ فَاسٌ فِي مَسِيرَتِهَا
نَبْعًا مِنَ الْعِلْمِ يُرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ
وَمَا الْمُكْرَمُ إِلَّا مِنْ أَزَاهِرِهَا
غَرَسَ زَكَا فَزَكَا كَالْوَالِدِ الْوَلَدُ !
شَمَائِلُ زَانِهَا عِلْمٌ وَمَوْهَبَةٌ
وَالْمَعْيُ خَصِيبُ الْفِكْرِ مُعْتَمَدُ
قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ فَاسٍ بَيْنَ فَتِيَّتِهَا
بَلْ كَانَ فَوْقَ الَّذِي تَرْجُو وَتَعْتَقِدُ
لَهُ بِكُلِّ نَوَادِي الْفِكْرِ مَأْثَرَةٌ
وَفَوْقَ أَعْلَى كِرَاسِي الْعِلْمِ مُقْتَعَدُ !

بَذَّ الشَّبَابَ نَشَاطاً وَهُوَ فِي عُمُرٍ
 يَرْتَاحُ فِيهَا مُجِدُّ عُمُرِهِ كَبِدُ
 أَكْرَمِ بِهَا رِحْلَةٍ فِي الْعِلْمِ خَالِدَةٍ
 قَدْ بَوَّأَتْكَ مَقَاماً بَيْنَ مَنْ خَلَدُوا
 وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا مَجِدٍ تَخْلُفُهُ
 إِلَّا مَوَاتٌ وَبَيْتٌ مَالُهُ وَتِدُ
 وَالْمَعْدِنُ الْحُرُّ لَا تَخْفَى أَصَالَتُهُ
 وَإِنْ عَلا فَوْقَ دُرِّ كَامِنٍ زَبَدُ !
 وَفِي حَيَاتِكَ لِلْأَجْيَالِ مَدْرَسَةٌ
 يَحْمِي تَفْتَحُهَا دِينَ وَمُعْتَقَدُ
 فَلَسْتَ مَنْ جُنَّ بِالْمَاضِي فَقَدَّسُهُ
 وَلَسْتَ مَنْ عَانَقَ التَّجْدِيدَ فَاِبْتَعَدُوا !



ذَكَرْتُ أَيَّامَكَ الْحُسْنَى بِجَامِعِنَا
 وَالْبَدْرُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ !
 ذَكَرْتُهَا الْيَوْمَ مِنْ خَوْفِي عَلَى قِيَمٍ
 أَنْ لَا تُصَانَ وَأَنْ تَعْدُو عَلَيْهَا يَدُ !
 أَيَّامُكَ الْبَيْضُ فِيهَا جَدَّدْتَ وَهَجاً
 قَدْ انْطَفَأَ وَاسْتَقَامَ السَّيْرُ وَالْأَوْدُ

فَهَلْ لِتِلْكَ اللَّيَالِي أَنْ تَعُودَ وَهَلْ
 يَأْتِي بِمَا يَشْتَهِيهِ الْخَالِفُونَ غَدٌ ؟
 عَرَفْتُ فِيكَ الْغِدَائِي الَّذِي شَرَفْتُ
 بِهِ السُّجُونَ وَلَمْ يَضْعَفْ لَهُ جَلْدُ
 وَفِي طَلِيعَةٍ مَنْ خَطَّتْ أَنْامِلُهُمْ
 وَثِيقَةُ النَّصْرِ وَالْعُدُونُ يَرْتَعِدُ
 وَمَنْ تَحَدَّى وَلَمْ يَرْكَعْ لِطَاغِيَةٍ
 وَكَانَ أَصْدَقَ مَنْ وَقَّوْا بِمَا وَعَدُوا !



كَرَّمْتَ شَعْبًا يَرَى فِي الْعِلْمِ عِزَّتَهُ
 فَكَرَمْتِكَ بَنُوهُ الْيَوْمَ وَاحْتَشَدُوا
 فَاهُنَا مُحَمَّدٌ بِالْحُبِّ الَّذِي طَفَحَتْ
 بِهِ الْقُلُوبُ وَبِالْعُرْسِ الَّذِي شَهِدُوا
 وَمَا أَرَاكَ سَتَلْقِي بَعْدَ طُولِ سُرَى
 عَصَاكَ أَوْ فِي الْعَطَا يَوْمًا سَتَقْتَصِدُ !
 فَالَسُنُّ عِنْدَكَ وَهُمْ لَا وَجُودَ لَهُ
 وَالْعَيْشُ دُونَ عَطَاءِ عَيْشٍ مَنْ وَئِدُوا
 فَبَارَكَ اللَّهُ عُمْرًا أَنْتَ لَا بَسْهُ
 ثَوْبًا إِذَا رَثَّ حَلَّتْ بَعْدَهُ جُدُدُ !

وَلَا خَلَتْ مِنْكَ أَعْرَاسٌ تَزِينُهَا
عِمَامَةٌ كَالْقَذَى فِي عَيْنٍ مَنْ حَقَدُوا !
تَلُوحُ وَجْهًا مُضِيئاً فِي مَنَابِرِهَا
تَدْعُو وَتَخْطُبُ أَوْ تُصْغِي وَتَنْقُدُ !
حَسْبُ الْبَلِيغِ إِذَا وَفَّاكَ تَكْرِمَةً
بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ لَمْ يَلْهَجْ بِهِ أَحَدٌ
فَلَيْسَ طُولُ الْقَوَافِي مِنْ مَحَاسِنِهَا
وَلَا الْبَلَاغَةُ فِي أَنْ يَكْثُرَ الْعَدَدُ !
تَرَكْتُ فَاساً وَقَلْبِي مَا يَزَالُ بِهَا
رَهْناً وَإِنْ غَابَ عَنْ جَنَاطِهَا الْجَسَدُ
وَإِنْ نَأَيْتُ فَإِنِّي مِنْ هَوَايَ بِهَا
وَمَنْ وَفَّائِي ذَاكَ الطَّائِرُ الْغَرْدُ !
تَحِيَّةُ الشَّعْرِ أَهْدِيهَا إِلَيْكَ وَلَوْ
وَجَدْتُ أَثْمَنَ لَمْ أَبْخُلْ بِمَا أَجِدُ

عيد الأمل

تُغَرِّدُ فِي الْخَمَائِلِ وَالرَّوَابِي
وَأَلْحَانٍ تُرَدِّدُهَا عَذَابُ
أَلَذِّ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُسْتَطَابِ
نَضِيرٍ فَاحَ بِالْعَطْرِ الْمَذَابِ
وَضِيءِ الْحُسْنِ فِي أَزْهَى ثِيَابِ
وَطَارَ بِهِ الْهَوَى فَوْقَ السَّحَابِ !
وَوَقَّعَهَا عَلَى أَحْلَى رِبَابِ !

*

تَجَدَّدَ فِيهِ آمَالُ الشَّبَابِ
وَهَمَّتْهُ مَفَاتِحُ كُلِّ بَابِ
إِذَا مَامُسٌ غَائِلَةٌ الذُّنَابِ !
وَتَحْيَا أُمَّةٌ فَوْقَ التُّرَابِ !
يُنَالُ مِنَ الْمَطَامِحِ وَالرَّغَابِ
لِمَنْ يَحْيَا بِإِلَّا ظُفْرِ وَنَابِ !
وَلَمْ تَخْدَعْهُ أَطْيَافُ السَّرَابِ !
يَقُودُ سُرَاهُ مَيِّمُونَ الرِّكَابِ
لَأُمَّتِهِ الْعَطَاءَ بِإِلَّا احْتِسَابِ

*

شَوَادِي الْأَنْسِ فِي عِيدِ الشَّبَابِ
بِأَيِّ الْحُبِّ فِي ذِكْرَاهُ تَشْدُو
وَيَسْقِيهَا الرِّبْعُ الْخِضْبُ خَمْرًا
كَسَا خَضَرَ الْحُقُولِ بُرُودَ زَهْرٍ
أَفَاقَ الشَّعْبِ مِنْهُ عَلَى صَبَاحٍ
فَهَزَّتْ قَلْبَهُ الْبُشْرَى وَغْنَى
وَعْنَى الشِّعْرِ فِي الذِّكْرِى لُحُونًا

*

أَبَا الْحَسَنَاتِ هَذَا يَوْمُ عِيدِ
سَوَاعِدُهُ دَعَائِمُ كُلِّ صَرْحِ
بِهِ نَبْنِي وَنَطْرَدُ عَنْ حِمَانَا
وَمَا بِسَوَى الشَّبَابِ يُصَانُ مَجْدُ
بِعَاهِلِهِ الْعَظِيمِ يَنَالُ مَالًا
رَأَى الدُّنْيَا وَلَيْسَ بِهَا مَكَانُ
فَشَمَّرَ عَنْ سَوَاعِدِهِ بِجَدِ
وَسَارَ وَرَاكَ نَحْوَ غَدٍ مُضِيِّ
شَبَابٌ كُلُّهُ شَوْقٌ لِيُعْطِي

*

بِهِمْ صَحْرَاؤُنَا عَادَتْ قِلَاعاً — أَمْنِيَعَاتٍ وَرَاهَا أُسْدُ غَابٍ !
 إِذَا نَادَيْتَهُمْ لَبُّوا خِفَافاً — كَمَا عَوَّدَتْهُمْ قَهْرُ الصِّعَابِ !
 وَرَأَاكَ دَائِماً فِي كُلِّ خُطْبٍ — تَخُوضُ بِهِمْ أَعَاصِيرَ الْعُبَابِ !
 أَتُوقُ لَجْنَةَ الْعَيْنِ فِيهَا — رُؤَى حُسْنٍ مَحَتِ قُبْحَ الْيَبَابِ !
 تَقْجَرُ قَلْبُهَا مَاءً وَزَهْراً — أَعَادَ لِرَمْلِهَا أَلْقَ الشَّبَابِ !
 أَعَادَ لَهَا الْحَيَاةَ مُنَىً وَأَمْناً — لَى رَغَمِ الْعِدَا بَعْدَ الْغِيَابِ !
 تَمِيسُ عَرَائِسُ الْوَاحَاتِ فِيهَا — نَخِيلاً أَخْضَرَا زَاهِي الرِّطَابِ !
 وَتَمَرَحُ فِي مَسَارِحِهَا الصَّبَايَا — بِلَا حُسْنٍ يَمُوهُ أَوْ خِضَابِ !
 رَعَاهَا طِفْلَةٌ نَشَأَتْ وَأَمَّا — وَأَعْلَى قَدَرِهَا بَعْدَ اغْتِرَابِ !
 وَكَانَ الْحَلْيُ تَكْسِبُهُ مِنْهَا — فَأَضْحَى عِلْمُهَا أَعْلَى اكْتِسَابِ !

* *

عَرَفْنَا فِيكَ مُؤْتَمِناً غَيُوراً — وَنَجْماً فِي الْمَحَافِلِ غَيْرَ خَابِي
 وَمُلْتَزِماً بِأَمْرِ اللَّهِ تَدْعُو — وَسَيْفاً فِي الْمَعَارِكِ غَيْرَ نَابِي
 وَمَدْرَسَةً أَبُوكَ بَنَى صَوَاهَا — وَأَرْسَاهَا مُدْعَمَةً الْقَبَابِ
 بِنُورِ حِجَاكَ يُجْلَى كُلِّ كَرْبٍ — وَيُلْقَى الرَّأْيُ عِنْدَكَ فِي الْمَصَابِ
 يُغِيظُ الْحَاسِدِينَ نَعِيمُ أَرْضِي — وَمَا قَدْ شِدَّتْ مِنْ عَجَبٍ عُجَابِ
 بِمَعْلَمَةٍ تَقُولُ لِمَنْ رَاهَا — إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي يَبْنِي انْتِسَابِي !
 وَمَا كَالذِّكْرِ لِلْبَّانِينَ خُلْدُ — وَلَا كَثُوبَاهُمْ أَعْلَى ثَوَابِ
 كَذَاكَ النَّاسُ مُبْتَدِعُ وَبَّانٍ — وَآخِرُ مِعْوَلٍ بَانِي خَرَابِ !
 وَأَنْتَ مَعَ الْمَعَالِي فِي سَبَاقٍ — جَوَادُكَ فِي مَدَاهَا غَيْرُ كَابِي
 قَضَايَا الْعُرْبِ لَمْ تَفْتَأْ هُمُوماً — مُورِقَةً وَجُرْحاً فِي التَّهَابِ
 شَغِلَتْ بِهَا وَلَمْ تُبْعِدْكَ عَنْهَا — مَسَافَاتٌ وَلَا فَقْدُ الصِّحَابِ !

وَمَا يُثْنِي عَلَيْكَ الشُّعْرُ إِلَّا
إِذَا رَاوَدَّتْ شِعْرِي لَمْ يُطْعِنِي
وَمَا شِعْرِي ؟ إِذَا لَمْ يُحْيِ مَجْدًا
عَلَى مَتْنِ الْخُيُولِ بَنَوْا عُرُوشًا
فَحَيَّا اللَّهُ مَنْ رَبَّى وَنَمَّى
وَرَغَّبَ فِي الْجَوَارِ دُعَاةَ سَلَمٍ
دُعَاةَ لِلْسَّلَامِ وَلَا سَلَامٍ
وَعَادَ الْعِيدُ وَالْأَفْرَاحُ تَتَرَى
وَمَنْ أَنْجَبَتْهُمْ : أَقْمَارُ مَجْدٍ

لَأَنَّكَ فِي الْمَوَاقِفِ ذُو صَوَابٍ
وَأَنْشَدُكُمْ فَيَجْرِي فِي أَنْسِيَابٍ !
وَيَشْدُ لِمَاجِدِينَ حَمَوْا تُرَابِي !
وَفِيهَا سَطَّرُوا أَزْهَى كِتَابٍ !
وَمَنْ أَعْطَى الْبِلَادَ بِلَا حِسَابٍ
يَرُونَ الْحَقَّ فِي أَعْلَى الْحَرَابِ !
سَوَى الدَّعْوَى وَمَعْسُولِ الْخِطَابِ !
وَحَاسِدُكَ الْمُشَاغِبُ فِي اكْتِنَابِ
تُضِيءُ كَمَا أَضَاءَتْ بِلَا احْتِجَابِ !

القوميات

بَيْنَ عَامٍ وَعَامٍ

وَدَاعِبًا ! وَمِلْءُ الْحَنَائِيَا أَسَى
وَدَاعِبًا. وَمِلْءُ الْفَضَا أَدْمَعُ
نُشِيعُ أَيَّامِكَ الْحَالِكَاتِ
وَفِي الْقَلْبِ نِيرَانُهَا تَلْدَعُ
وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَرَارَتُهَا
وَعُصْتُهُهَا أَلَمٌ يُوْجِعُ
ثَقَالًا مَشَتْ تَتَحَدَى الزَّمَا
نَ وَكَالْمَوْتِ أَهْوَالُهَا تُفْزِعُ !
سَقَتْنَا بِأَكْوَئِهَا كُلَّ صَابٍ
وَمَا زَالَ فِي كَأْسِهَا جُرْعُ
كَسْتَنَا مِنَ الذِّلِّ الْبِيسَةِ
سَيِّبَلَى الزَّمَانُ وَلَا تُخْلَعُ !
فَمَا فَوْقَ ذَلَّتْنَا ذِلَّةً
وَلَا تَحْتَ مَوْضِعِنَا مَوْضِعُ !
عَرَكْنَا الزَّمَانَ وَأَهْوَالَهُ
وَدَاهَمْنَا فِيهِ مَا يُفْجِعُ
فَلَا كَخُطُوبِكَ خَطْبُ دَهَى
وَلَا هَـوْلٌ مِنْ فَتْكَهَا أَفْظَعُ !

دَهَى الْعُرْبَ خَطْبٌ تَرَصَّدَهُمْ
 وَهُمْ فِي الْمَقَاصِيرِ قَدْ هَجَعُوا !
 صَحَّوْا وَرَحَى الْحَرْبَ تَطْحَنُهُمْ
 وَهَبُّوْا وَقَدْ هَدَرَ الْمَدْفَعُ !
 دَهَاهُمْ وَأَعْدَاؤُهُمْ كُتِلَ
 وَثَارُوا، وَأَهْـوَؤُهُمْ شِيعُ !
 فَضَاعُوا وَضَاعَتْ كَرَامَتُهُمْ
 فَفِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَاضِيَعُوا
 وَفِي ذِمَّةِ اللَّهِ قُدُّسُ النَّبِيِّ
 وَمَسْجِدُهُ الْمُجْتَبَى ! الْأَرْفَعُ
 تُدَنِّسُ أَعْتَابَهُ طَغْمَةٌ
 تَصِجُّ بِأَرْجَاسِهَا الْبَيْعُ



وَلَكِنَّ قَوْمِي مَن صَرَعُوا
 خُطُوبَ الزَّمَانِ وَلَمْ يُصَرَّعُوا
 تَحَدَّى إِبَاؤُهُمْو كُلَّ بَاغٍ
 وَعَزَّ عَلَى الْخَصْمِ أَنْ يَرْكَعُوا !
 سَيَعْرِفُ قَوْمِي طَرِيقَ الْخَلَاصِ
 إِذَا التَّحَمَ الصَّفُّ وَاجْتَمَعُوا

سَيَزْحَفُ قَوْمِي إِلَى أَرْضِهِمْ
عَلَى الشُّوْكِ يَوْمًا إِذَا مَادَّعُوا
سَنَبِّنِي كَمَا كَانَ أَجْدَادُنَا
وَنَصْنَعُ فِي الْمَجْدِ مَا صَنَعُوا
وَأَبْطَأْنَا طَالَمَا سَطَّرُوا
رَوَائِعَ مَا خَطَّهَا مُبْدِعُ
لَهُمْ فِي الْعِدَى كُلِّ يَوْمٍ مَجَالُ
وَفِي كُلِّ شُبْرٍ لَهُمْ مَضْرَعُ !
مَوَاكِبُ لِلْمَوْتِ لَا تَتَّقِي
وَجُنُودٌ مِنَ اللَّهِ لَا يَدْفَعُ !
نُودِعُ عَامًّا إِلَى مِثْلِهِ
وَفِي أَفْقَانَا أَمَلٌ يَلْمَعُ
سَتَقُطِفُ صَهْيُونَ مَا غَرَسَتْ
وَيَجْنِي الْمُغِيرُونَ مَا زَرَعُوا
فَكَمْ صَنَعَ الْعَرْبُ مِنْ مُعْجَزَاتِ
إِذَا الْحَرْبُ نَادَتْ وَكَمْ أَبْدَعُوا !



مَوَاقِبُ النِّصْرِ

اللَّهُ أَكْبَرُ ! إِنَّ النِّصْرَ يَقْتَرِبُ
وَجَيْشٌ صَهْيُونَ مِنْ سِينَاءَ يَنْسَحِبُ
قَدْ زُلْزِلَ الْبَغْيُ وَأَنْهَارَتْ قَوَاعِدُهُ
وَالْأَرْضُ مَنْ تَحْتَهَا أَحْشَاؤُهَا لَهَبُ
مِنْ بَعْدِ مَا شَمَخَتْ فِي أَرْضِنَا حِقْبًا
قِلَاعُهُ طَاطَأَتْ هَامَاتِهَا النُّوبُ
كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ يَوْمًا وَلَا رَصَدَتْ
قَنَالِنَا تَتَحَدَّانَا وَتَرْتَقِبُ
مِنْ بَعْدِ غَطْرَسَةِ الْبَاغِي وَنَخْوَتِهِ
سَكْرَانٌ يَخْتَالُ فِي كِبَرٍ وَيَغْتَصِبُ
مِنْ بَعْدِ مَا أَمِنْتَ صَهْيُونَ غَضِبَتْنَا
وَأَمِنْتَ أَنْمَا الدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبُوا
قُمْنَا نَذِكِرُ صَهْيُونًا وَقَدْ نَسِيتَ
أَنَّ الَّذِينَ غَزَتْ أَوْطَانَهُمْ عَرَبُ !
لَا يَرْكَعُونَ لِبَاغٍ دَاسٍ مَوْطِنَهُمْ
وَلَيْسَ يُرْهِبُهُمْ شَيْءٌ إِذَا غَضِبُوا
ثَرْنَا فَدَارَتْ عَلَيْهِمْ شَرُّ دَائِرَةٍ
لَمْ يَشْهَدُوا مِثْلَهَا فِيمَا بِهِ نَكِبُوا

كَمْ خَيْمَ الصَّمْتُ فِي سَاحَاتِهَا وَبَكَتْ
 سُيُوفُنَا وَهِيَ فِي الْأَغْمَادِ تَضْطَرِبُ !
 وَكَمْ دَعَوْنَا لِهَذَا الْيَوْمِ قَادَتَنَا
 وَكَمْ أَقَمْنَا عَلَى الْأَطْلَالِ نَنْتَجِبُ !
 حَتَّى اسْتَجَابُوا وَهَبُوا مِنْ مَرَاقِدِهِمْ
 فَحَقَّقُوا مُعْجَزَاتِ شَأْنِهَا عَجَبُ



لِلَّهِ أَبْطَالُ مِصْرٍ فِي تَدَفُّقِهِمْ
 عَبَرَ الْقَنَالَ وَبَحَرَ الْمَوْتَ يَصْطَخِبُ
 مَدُّوا إِلَيْهِمْ جُسُورَ الْمَوْتِ فَاغِرَّةً
 أَفْوَاهَهَا كَالْأَفَاعِي حِينَ تَنْسَرِبُ
 دَبَّتْ عَلَيْهَا جِبَالٌ وَهِيَ ثَابِتَةٌ
 لَمْ يَنْقُطِعْ سَبَبٌ مِنْهَا وَلَا طَنْبُ
 مَادَتْ وَقَدْ سُمِعَتِ اللَّهُ أَكْبَرُ فِي
 عَرْضِ الْقَنَالِ كَمَا لَوْ مَسَّهَا طَرْبُ !
 وَكَالْقَضَاءِ وَكَالطُّوفَانِ مُنْدَفِعاً
 تَدَفَّقَ الْجُنْدُ فِي سَيْنَائِهِ يَثْبُ !
 يُعَانِقُ الْمَوْتَ فِي صَبْرٍ وَيَكْتُبُ فِي
 لَوْحِ الْخُلُودِ سَطُوراً حَبْرُهَا ذَهَبُ

فَجَرَّعُوهُمْ كُؤُوساً غَيْرَ سَائِغَةٍ
لَمْ يَعْصِرُوا مِثْلَهَا يَوْماً وَلَا شَرْبُوا !
وَصَوَّبُوا النَّارَ لِلْأَجْوَاءِ حَامِيَةً
كَأَنَّهَا وَهْيَ تَسْعَى نَحْوَهُمْ شُهْبُ
رَوَاجِمٍ مَنْ تَلَامِسُهُ شَرَارَتُهَا
يُصْرَعُ وَمَنْ تَرْمِيهِ لَمْ يُنْجِهِ الْهَرَبُ
كَأَنَّ فِي جَوْفِهَا سِيراً لِقَوْتِهِ
كُلُّ الْحَوَائِمِ فِي الْأَجْوَاءِ تَنْجَذُ
بِالْأُمْسِ كَانُوا يَجُوبُونَ الْفَضَاءَ وَلَا
يَنَالُهُمْ رَهَقٌ مِنَّا وَلَا نَصَبُ
وَالْيَوْمَ لَا يَرْكَبُ الْأَجْوَاءَ طَائِرُهُمْ
إِلَّا تَلَا حَقَّ مِنَّا خَلْفَهُ الْطَلَبُ !
وَأَنْدَكَ كَالرَّمْلِ (بَارْلِيْف) وَكَانَ لَهُ
دِرْعاً بِهِ يَحْتَمِي مِنَّا وَيَحْتَجِبُ
كَمْ مِنْ جُهُودٍ وَأَمْوَالٍ وَمِنْ زَمَنٍ
أَنْهَارٍ فِي وَثْبَةٍ قَدْ شَنَّهَا الْعَرَبُ !
فَوْقَ الْقَنَالِ وَفِي الْجَوْلَانِ مَلْحَمَةٌ
لَمْ تَرَوْا أَهْوَالَهَا الْأَحْقَابُ وَالْكَتُبُ
لَسْنَا نُقَاتِلُ حُبّاً فِي مُقَاتَلَةٍ
وَلَا نُسَالِمُ مَنْ فِي سِلْمِهِ رَيْبُ

أَوْطَانُنَا تِلْكَ نَفْدِيهَا بِمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُنَا وَلَهَا أَرْوَاحُنَا قُرْبُ
وَالْمَسْجِدُ الْأَعْظَمُ الْأَقْصَى وَقَبِلَتُنَا
الْأُولَى وَصَخْرَتُهُ الشَّمَاءُ وَالْعَتَبُ
يَحْزُ فِي النَّفْسِ أَنْ تَبْقَى مُدْنَسَةً
رَحَابُهَا بَيْنَ أَيْدِي الْمُعْتَدِي سَلْبُ !



وَغَضَبَةُ الْعُرْبُ فِي الْجَوْلَانِ مَلْحَمَةٌ
تَنْهَدُ مِنْ هَوْلِهَا الْكُتُبَانِ وَالْهَضْبُ
لَمْ يَبْقَ فِيهَا مَكَانٌ غَيْرَ مُشْتَعِلٍ
وَلَا مَعَاقِلُ إِلَّا وَهْيَ تَلْتَهَبُ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ صُبْحٌ مِنْ تَأْجُجِهَا
وَجُنْدُ صَهْيُونَ فِي بُرْكَانِهَا حَطْبُ !
يَأْمَنُ رَأَى الْأُسْدَ فِي الْجَوْلَانِ رَابِضَةً
بَلَّغَ سَلَامِي إِلَيْهِمْ كُلَّمَا وَثَبُوا
كَأَنَّ عَيْنِي تَرَاهُمْ فِي مَرَابِضِهِمْ
يُضِلُّونَ صَهْيُونَ نَاراً وَهْيَ تَنْقَلِبُ
أَكْبَرْتُ فِي الْمَغْرِبِ السَّبَّاقِ عَاهِلَهُ
لَقَدْ تَبَاهَى بِهِ الْإِسْلَامُ وَالْعَرَبُ

ظَنَّ الْعُدَاةُ بِأَنَّ الْبُعْدَ يُقْعِدُنَا
 عَنْ إِخْوَةٍ خَابَ مَاظَنُّوا وَمَا حَسِبُوا
 لِقَاؤُهُمْ كَانَ لِلْأَعْدَاءِ أُمْنِيَّةً
 أَغْلَى مِنَ الْعُمُرِ الْغَالِي الَّذِي وَهَبُوا
 وَيَا كَتَائِبَ فَتَحِ لَأَعِدِمْتُكُمْ
 لَقَدْ فَهَرْتُمْ أَعَادِينَا كَمَا يَجِبُ
 حَسَبَ الْعُرُوبَةِ فَخَرًّا أَنَّهَُا انْتَفَضَتْ
 وَشَمْلُهَا الْيَوْمَ شَمْلٌ لَيْسَ يَنْشَعِبُ
 إِنْ فَاتَنِي أَنْ أَرَى بِالْعَيْنِ مَعْرَكَةً
 وَلَمْ يُتَحَ لِي إِلَى جَنَاتِهَا سَبَبُ
 فَقَدْ رَأَيْتُ بِقَلْبِي وَهُوَ يَصْدُقُنِي
 مَوَاكِبَ النَّصْرِ وَالْإِسْعَادِ تَقْتَرِبُ
 إِنْ يُدْرِكَ النَّصْرَ قَوْمِي فَهُوَ عَادَتُهُمْ
 وَإِنْ يَكُنْ لِلْعَدَى فَالْدَّهْرُ يَنْقَلِبُ



وَا .. لِلْبَنَانِ !

لُبْنَانُ ! يَافِرْدَوْسَنَا الثَّانِي
يَادِرَةٌ فِي مَفْرِقِ الْأَوْطَانِ
وَاحَاتُ أَرْضِكَ جَنَّةٌ أَشْذَاؤُهَا
تَسْرِي مَعَ الْأَنْسَامِ مِنْ رِضْوَانِ
أَنْى التَّفَتُّ رَأَيْتُ حُسْنِكَ طَافِحاً
فِي الْفَنِّ فِي الْإِبْدَاعِ فِي الْإِنْسَانِ
وَذَكَرْتُ مُلْكَ بَنِي أُمَيَّةَ شَامِخاً
فِي الشَّامِ يَدْعُمُهُ بَنُو مَرْوَانَ
تَعْلُو الْجَبَاهُ لِحُكْمِهِمْ وَيَهَابُهُمْ
يَوْمَ اللَّقَاءِ قِيَاصِرُ الرُّومَانِ
مَجْدٌ حَمَلَتْ لِرِوَاءِهِ وَحَمِيَّتِهِ
مِنْ كُلِّ عَادِيَةٍ مَدَى الْأَزْمَانِ
لُبْنَانُ مُجْتَمِعُ الْحَضَارَةِ وَالْتَّقَا
فَةِ وَالْجَمَالِ وَمُلْتَقَى الْأَدْيَانِ
وَمَثَابَةُ الْأَدَبَاءِ مِنْ أَطْيَافِهَا
وَحْيُ الْأَدِيبِ وَلَوْحَةُ الْفَنِّانِ
كَيْفَ اسْتَحَالَ الْحُبُّ فِي جَنَاتِهَا
حَرْباً تَدْمِرُ شَامِخَ الْبُنْيَانِ ؟

أَضَحَّتْ مُؤَنِّسَةُ الْحَزِينِ مَدِينَةً
مَسْكُونَةً بِالْمَوْتِ وَالْأَحْزَانِ
أَبْنَاؤُهَا بِالْأُمْسِ كَانُوا إِخْوَةً
وَيَدًا تَرُدُّ غَوَائِلَ الْعُدْوَانِ
يَتَقَاتِلُونَ وَرَاءَ كُلِّ بِنَايَةٍ
مِنْ مَوْقِعِ الْجَبْنَاءِ لَا الشُّجْعَانِ !
وَتَتَكَبَّرُوا لِلْحُبِّ وَاصْطَحَبُوا الْعَدَا
وَتَنَاحَرُوا وَكَأَنَّهُمْ شَعْبَانِ !
حَرْبٌ يُغَذِّي نَارَهَا أَعْدَاؤُهُمْ
وَيُقَدِّمُونَ الزَّيْتَ لِلْبُرْكَانِ
يُذَكُّونَ نَارَ الْحَقْدِ بَيْنَ رِجَالِهِمْ
فَإِذَا هُمُ بِالْحَقْدِ كَالْعُمَيَّانِ !
لَا يُبْصِرُونَ دَمَارَهُمْ بَعِيُونِهِمْ
أَوْ يَسْمَعُونَ النَّصْحَ بِالْآذَانِ !



أَيْنَ الْمَخَافِلُ وَالنَّوَادِي وَالسَّنَا
مُتَوَهِّجاً وَرَوَائِعُ الْأَحْزَانِ ؟
وَنَوَابِغُ الصَّادِ الَّذِينَ سَمَوْا بِهَا
وَتَصَدَّرُوا فِي مَوَكِبِ الْعِرْفَانِ ؟

شَاهَتْ ! وَأَغْرَقَهَا بَنُوهَا فِي لَظَى
مَشْبُوبَةٍ لَا تَنْطَفِي وَدُخَانِ
خَرِسَتْ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا آهَةٌ
مِنْ قَلْبٍ مَجْرُوحٍ وَجِسْمٍ وَانِي
وَتَوَارَتْ الْبَسَمَاتُ إِلَّا بِسْمَةٍ
مِنْ ثَغْرِ مَيْتٍ لَفَّ فِي أَكْفَانِ
تَهْوِي الْمَبَانِي الشَّامِخَاتُ كَأَنَّهَا
وَرَقٌّ تَطَّايَرُ فِي لَهَيْبٍ قَانِي
ضَاقَتْ مَخَابِلُهُمْ وَلَمْ تَكْفُلْ لَهُمْ
أَمْنًا يَطُولُ وَضَاقَ كُلُّ مَكَانِ
مَا ذَنْبُ شَيْخٍ طَاعِنٍ يَغْتَالُهُ
أَهْلُوهُ وَهُوَ مُحَطَّمُ الْأَرْكَانِ ؟
وَرَضِيْعَةٍ قَدْ أَفْقَدُوها أُمَّهَا
وَعَذَاءَهَا وَالِدَفَّاءَ فِي الْأَحْضَانِ
سَرَقُوا لَذِيذَ النَّوْمِ مِنْ أَجْفَانِهَا
وَسَعَتْ إِلَيْهَا أَلْسُنُ النَّيِّرَانِ
جَفَّ الرُّوَاءُ وَعَادَ وَجْهُكَ قَاتِمًا
وَاخْتَالَ فِيكَ الْمَوْتُ يَا لِبَنَانِي !
أَوْ لَمْ يَحْنِ يَا إِخْوَاتِي أَنْ تَسْمَعُوا
صَوْتَ الضَّمِيرِ وَدَعْوَةَ الْإِيمَانِ ؟

وَالسَّلَامُ فِي إِنْجِيلِ عِيسَى شَرِيعَةً
سَمَحَاءٌ مِثْلَ شَرِيعَةِ الْقُرْآنِ

لَا تَدْعُوا وَطَنِيَّةً بِقَتَالِكُمْ
إِخْوَانَكُمْ يَأْمُرُ قِي لُبْنَانِ !

مَا كَانَ أُخْرَى أَنْ تُرَاقَ دِمَاؤُكُمْ
مِنْ قَبْلُ فِي سِينَا وَفِي الْجَوْلَانِ !

أَبُو جِهَادٍ

نَامَتْ عُيُونُكَ ! وَالْأَعْدَاءُ لَمْ تَنَمْ
تَسْرِي إِلَيْكَ وَلَا تَخْشَاكَ فِي الظُّلَمِ
سَعَتْ إِلَيْكَ أَفَاعِيهَا مُغَامِرَةٌ
لَمْ تَقْتَحِمَ وَادِيًا أَوْ تَسْرِ فِي أَجَمِ
طَوَتْ إِلَيْكَ بِحَارِ الْأَرْضِ زَاحِفَةٌ
بِالْمَوْتِ، وَالْعَرَبِي الْمَوْتُورُ فِي حُلْمِ !
مَلَّ الْعَدُوُّ سُهُولَ الْأَرْضِ يَحْصِذُهَا
غَدْرًا فَجَرَّبَ أَنْ يَرْقَى إِلَى الْقِمَمِ !
نَامَ الرُّعَاةُ ! فَلَا عَتَبَ لِنُومِهَا
عَلَى الذَّنَابِ إِذَا صَالَتْ عَلَى الْغَنَمِ !
وَكَيْفَ يُؤْمَنُ سَفَاكَ تَعَوَّدَ أَنْ
يَغْتَالَ أُنْبَاءَنَا فِي أَقْدَسِ الْحُرَمِ ؟
يَنْقُضُ كَالنَّسْرِ لَا يُنْجِي فَرِيسَتَهُ
إِذَا تَهَاوَى إِلَيْهَا أَيُّ مُعْتَصِمِ !
يَخْتَارُ كُلُّ أَبِي لَمْ يَبِعْ وَطَنًا
لِغَاصِبِيهِ، وَلَمْ يَرْكَعْ لَدَى صَنَمِ !
وَيَنْتَقِي كُلُّ حُرٍ لَا يَجُودُ بِهِ
هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي يَشْكُو مِنَ الْعُقَمِ !

يَا لَيْلَةً أَسْفَرَتْ عَنْ شَرِّ مَذْبَحَةٍ
قَدْ أَغْرَقَتْ كُلَّ حُرٍّ فِي نَجِيعِ دَمٍ !
صَكَتْ مَسَامِعُنَا مِنْ هَوْلِ صَدَمَتِهَا
وَأَخْرَسَتْ بِنَعِيبِ النَّعْيِ كُلَّ فَمٍ
نَعَى الْجِهَادَ (أَبَاهُ) وَهُوَ مُعْتَكِفٌ
مُؤَرَّقُ الْجَفْنِ بَيْنَ الطَّرْسِ وَالْقَلَمِ
يَخْلُو بِمَحْرَابِهِ النَّائِي لِيُبْدِعَ مَا
يُنْكِي الْعَدُوَّ وَيُذَكِّي الرُّوحَ فِي الْهِمَمِ
قَدْ كَانَ قَلْبًا وَعَقْلاً طَالَمَا اشْتَغَلَا
وَخَطَّطَا لِلْفِدَا فِي كُلِّ مُقْتَحَمٍ
وَكَانَ يُحْزِنُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ
فِي غَزَّةٍ وَهُوَ مِنْهَا مَوْضِعُ الْقَدَمِ !
فَعَانَقَ الْمَوْتَ فِي أَعْتَى مَوَاقِفِهِ
وَلَمْ يَهْنِ عَزْمُهُ فِي كُلِّ مُلْتَحَمٍ
رَأَى الْيَهُودَ وَقَدْ دَاسُوا مَحَارِمَهُ
وَدَنَسُوا كُلَّ مَا يَسْمُو مِنَ الْقِيَمِ
وَسَاءَهُ أَنْ يَرَى فِي أَرْضِهِ قَرْمًا
وَعُودًا تَعْلُقُ حَتَّى صَارَ كَالْهَرَمِ !
فَاسْتَرْخَصَ الرُّوحَ فِي تَخْلِيصِ مَوْطِنِهِ
مِنْ غَاصِبٍ مُفْحَمٍ فِي الْأَرْضِ كَالْوَرَمِ !

يُصْغِي لِأَسْيَادِهِ فِيمَا تُشِيرُ بِهِ
وَيَسْتَجِيبُ لِمَا تُوَحِّيه كَالْخَدَمِ !
لَمْ يَسْمَعْ الْغَرْبُ شَكْوَاهُ وَلَا وَجَدَتْ
مَأْسَاتُهُ حَلَّهَا فِي لُغْبَةِ الْأُمَمِ !
وَلَمْ تُفِدْهُ قَرَارَاتٌ وَلَا قِمَمٌ
كُبْرَى وَصُغْرَى بَنَتْهَا أُمَّةُ الْكَلِمِ !
فَنَارَ ثَوْرَتِهِ الْكُبْرَى وَفَجَّرَهَا
أَطْفَالُهُ لَغْنَةً تَرْمِيهِ بِالْحُمَمِ !
لَمْ يَسْتَطِعْ خَنْقَهَا فِي أَوْجِ شُعْلَتِهَا
وَلَمْ يُطِقْ أَنْ يَرُوضَ الْأُسْدَ بِاللُّجَمِ !



أَبَا جِهَادٍ لَقَدْ أَصْبَحْتَ خَيْرَ أَبٍ
لِمَنْ بَكَوْكَ وَذَاقُوا غُصَّةَ الْيَتَمِ
لِلَّهِ أُمٌّ وَطِفْلٌ ذَابَ قَلْبُهُمَا
وَاسْتَقْبَلَا الْخَطْبَ فِي كِبَرٍ وَفِي شَمَمِ !
مَنْ يَبْكُكَ الْيَوْمَ يَبْكُ الْحُبَّ فِي رَجُلٍ
يَرَى الْحَيَاةَ مَعَ الْأَغْلَالِ كَالْعَدَمِ
مَا أَنْتَ أَوْلُ مُغْتَالٍ تُطِيحُ بِهِ
يَدُ الْجَنَازَةِ بِحُبِّ الْأَرْضِ مُتَّهِمِ

فَكَمْ مَضَى مِنْ رَجَالٍ كُنْتَ قَائِدَهُمْ
وَكَانَ مَوْتُهُمْو النَّارِ كَالضَّرَمِ

لَنْ تَنْطَفِي شُعْلُهُ قَدْ كُنْتَ حَامِلَهَا
مَعَ الرَّفَاقِ وَلَنْ تَخْبُو مَعَ الْقِدَمِ

وَسَوْفَ تَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ صَدَى
بِكُلِّ قَلْبٍ وَتَسْبِيحاً بِكُلِّ فَمٍ !

المجد للحجر

إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ
رَمَى الطِّفْلُ أَعْدَاءَهُ بِالْحَجَرِ !
وَمَنْ كَرِهَ الْقَيْدَ لَمْ يَكْتَرِثْ
إِذَا مَا تَحَدَّى بِوَخْزِ الْإِبْر !
وَقَدَّمَ لِلْمَوْتِ أَبْنَاءَهُ
قَرَابِينَ تَقَهَّرُ كُلَّ خَطَرِ
تَشُقُّ الْفَضَاءَ حَنَاجِرُهَا
وَتَزْحَفُ فِي سَيْرِهَا كَالْقَدَرِ !
تَلُوحُ بِالنَّصْرِ أَعْلَامُهَا
مُبَشِّرَةٌ بِالْغَدِ الْمُنْتَظَرِ
يُزَلِّزُ صَهْيُونَ إِعْصَارُهَا
وَتَرْجُفُ مِنْهُ إِذَا مَا انْفَجَرَ
فِلِسْطِينَ ! يَا جُرْحَ أَمْتِنَا
وَعَلَقَمَهَا فِي الزَّمَانِ الْأَمْرِ
بَكَيْنَاكَ حَتَّى رَقَا دَمْعُنَا
وَمَا كَانَ يَنْفَعُ يَوْمَ انْهَمَرَ
شُغْلُنَا عَنِ الْقُدْسِ بِالْأَقْرَبِينَ
وَمَنْ خَانَ مَوْثِقَهُ أَوْ غَدَرَ !

وَمَنْ كَانَ مِثْلَ الْحَمَامِ الْوَدِيعِ
يُرِيدُ أَسْجَاعَهُ فِي السَّحَرِ..
تَحَوَّلَ لَيْثًا ! وَلَيْسَ بَلَيْثٍ
وَإِنْ صَالَ فِي غَايِبِهِ أَوْ زَارَ !
وَقَالُوا تَفَاعَلْ ! وَلَسْتُ أَرَى
طَلَائِعَ فَجْرِ بِهِ قَدْ أُسْرَ
وَلَا صَحْوَ فِي الْأَفْقِ يُحْيِي الْمُنَى
وَيُنْعِشُ إِلَّا أَنْمَحَى وَاعْتَكَرَ
لِقَاءً يَلِيهِ فِرَاقٌ يَدُومُ
وَلَيْسَ لِنَائِهِ مَرْكَبْنَا مُسْتَقَرَّ !
شُعَلْنَا عَنِ الْقُدْسِ مَسَرَى النَّبِيِّ
وَمَوْلِدِ عِيسَى وَمَهْوَى الْبَشَرِ
وَعَنْ دَمْعِ رَاسِفَةٍ فِي الْقَيْوُدِ
وَعَمَنْ عَثَا فِي الْحِمَى وَفَجَرَ



فَيَا غُرَبَةَ الْعُرْبِ فِي دَرَاهِمِ
وَيَا الْبَشَاعَةَ تِلْكَ الصُّوَرِ !
وَيَا اللَّطْفُ وَلَةَ ! كَيْفَ تُرَاقُ
بِمَاهَا الزَّكَاةُ فِيهَا هَدَرُ

تَحَدَّتْ بَرَاءَتُهَا كُلَّ حَقٍّ
وَشَعَّتْ مَلَايِمُهَا بِالْعَبَرِ
وَأَيَّقَتِ الْغَرَبَ مِنْ غَفْلَةٍ
فَكَذَّبَ مَا قَدْ رَأَى الْخَبَرَ !
وَقَدْ يَرْكَبُ الصَّعْبَ مُضْطَهَدٌ
وَيَفْقِدُ أَعْصَابَهُ مَنْ صَبَرَ !
فَمَرَحَى لِأَطْفَالِنَا فِي النِّضَالِ
وَمَنْ سَعَرُوا الْجَمْرَ حَتَّى اسْتَعَزَّ
وَمَنْ رَفَضُوا الْقَيْدَ مِنْ غَاصِبٍ
هَمَّ وَأَدَمُوا بِهِ وَجْهَهُ فَاِنْكَسَرَ
وَهَزُّوا الصَّمَائِرَ وَهِيَ خَرَابٌ
وَكَانُوا الْفَتِيلَ وَكَانُوا الشَّرَرَ
فَمَنْذَرَفَعَتْ يَدُهُمْ حَجَرًا
غَلَا قَدْرُهُ فَوْقَ غَالِي الدُّرَرِ !
كَأَنَّ الْأَبَابِيلَ تَرْمِي بِهَا
رُجُومَ عَذَابٍ وَسَيْلَ مَطَرٍ !
رَأَى كُلُّ حُرٍّ حِجَارَتَهَا
وَمَا صَنَعَتْهُ بِهِمْ فَاِنْبَهَرَ
وَمَا يَفْعَلُ الْقَمْعُ فِي أُمَّةٍ
إِذَا عَبَّاتْ نَشَاهَا فِي الصِّغَرِ ؟

فَكَانَ قَلَاعاً يَصُونُ الْحِمَى
وَكَانَ شُعَاعاً يُنِيرُ الْفِكْرَ
إِذَا ذَكَرَ الْعُزْبُ أَيَّامَهُمْ
فَأَيَّامُ أَطْفَالِهِمْ كَالْغُرَرِ !
فَمَنْ لِي بِيَوْمٍ أَرَى أُمَّتِي
تُعِيدُ لِأَجْيَالِنَا مَاغْبِر



أُغْمَضُ جَفَنٌ رَأَى صَبِيَّةً
مُطَارِدَةً مِنْ رُعَاةِ الْبَقَرِ !
وَكَيْفَ تَلْدُ لِحُرِّ حَيَاةٍ
وَمِلَّةِ السُّجُونِ ضَحَايَا أُخْرَ
تُعَانِي الْأَسَى خَلْفَ قُضْبَانِهَا
وَتَرْقُبُ يَوْمَ الْخَلَاصِ الْأَغْرَ
هُوَ الْبَغْيُ مَا احْتَدَّ إِلَّا انْطَفَأَ
وَلَمْ يَعْلُ إِلَّا هَوَى وَانْحَدَرَ
وَلَوْ زَجَرَ الْكَلْبَ أَسِيَادُهُ
عَنْ الْعَيْثِ فِي أَرْضِنَا لَأَنْزَجَرَ !
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ نِهَايَةِ بَاغٍ
إِذَا مَا تَرَدَّى غَدَاً وَانْقَبَرَ

أَحْيِي فِلِسْطِينَ أَرْضَ الْفِـِـداء
وَأَيَّاتِهَا الْمُعْجِزَاتِ الْكُبَر
وَكُلَّ شَهِيدٍ سَقَى أَرْضَنَا
لِيَغْسِلَ عَنْهَا الْقَذَى وَالْقَذَر
غَدًا تَشْرِقُ الشَّمْسُ فِي كُلِّ بَيْتٍ
وَيَنْبُتُ فِي كُلِّ قَبْرِ زَهْر
وَتَشْدُو الْقُلُوبُ نَشِيدَ السَّلَام
بِأَلْفِ قَصِيدٍ وَأَلْفِ وَتَر
فَلَوْ بَعَثَ اللَّهُ مِنْ قَبْرِهِ
صَاحِبًا وَعَادَ إِلَيْنَا عَمْر
لَمَّا رَضِيََا الْعَيْشَ فِي أُمَّةٍ
تَنَامُ عَلَى الضَّيْمِ كَالْمُحْتَضِر !
وَقَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ كُلَّ الذُّنُوبِ
وَذَنْبُ فِلِسْطِينَ لَا يُغْتَفَر !

الْأَبَابِيلُ

ثَارَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَتَهَيَّبُ
غَضَبِي تَزْمَجِرُ كَالرُّعُودِ وَتُرْعِبُ
مِثْلَ الْأَبَابِيلِ الَّتِي قَدْ أُرْسِلَتْ
تَرْمِي سِهَامَ اللَّهِ وَهُوَ يُصَوِّبُ
أَوْ كَالْقَضَاءِ إِذَا تَعَبَّأَ زَحْفَهَا
لَأَشْيَاءَ يَحْجِزُ مَدَّهَا أَوْ يَحْجُبُ
خَجَلَتْ سُيُوفُ الْهِنْدِ لَمَّا عَايَنْتِ
أَحْبَارَهَا لَمْ يَنْبُ مِنْهَا مَضْرِبُ !
مَا لِلْبَرَاعِمِ وَالْقِتَالِ وَعَهْدُنَا
أَنَا نَرَاهَا فِي الْمَسَارِحِ تَلْعَبُ ؟
تَرْتَجُّ فِي أَرْجُوْحَةٍ وَمَعَ الدُّمَى
تَلْهُو وَلِلنَّغَمِ الْمُحَبَّبِ تَطْرُبُ
مَا شَأْنُهَا بِالْحَرْبِ وَهِيَ أَزَاهِرُ
فَوَاحَةٌ وَمَشَاعِرُ لَا تَنْضُبُ ؟
خَرَجَتْ إِلَى الدُّنْيَا وَمِلءُ عُيُونِهَا
دَمْعٌ وَفِي أَسْمَاعِهَا مَنْ يَنْدُبُ !
لَمْ يُبْصِرُوا مِنْ حَوْلِهِمْ إِلَّا الْأَسَى
يَمْتَصُّ أُمًّا، أَوْ يَمُوتُ بِهِ أَبُ

دَرَجُوا عَلَى الْأَشْوَاكِ لَمْ يَهْنَأْ لَهُمْ
عَيْشٌ وَلَمْ يَعْزُبْ لِطِفْلِ مَشْرَبٍ
لَمْ يَعْرِفُوا الْأَعْيَادَ فِي أَيَّامِهِمْ
فَحَيَاتُهُمْ مَوْتُ، وَعَيْشُ مُجْدِبٍ
وَكَأَنَّمَا ادْخَرُوا لِآخِرِ سَاعَةٍ
لِيَتَمَّ أَمْرٌ فِي السَّمَاءِ مُغِيبٌ



أَبَتِ الشَّهَامَةُ فِي طُفُولَةٍ يَعْرِبُ
أَنْ تَسْتَكِينَ، وَفِي الدِّيَارِ مُعْزَبُ
وَكَأَنَّهُمَا فِي ظُلْمَةِ الْأَرْحَامِ كَا
نَتُ لِلْعَدُوِّ وَطَرْدِهِ تَتَاهَبُ !
فَأَقَامَتِ الدُّنْيَا عَلَى حَصِيَّاتِهَا
وَرَأَتْ صِغَاراً كَالْعَمَالِقِ تُرْهَبُ
وَرَأَتْ كِتَابَ سَطَّرَتْ بِدِمَائِهَا
مَا لَا يُسْطَرُّ مَنْ يَخْطُ وَيَكْتُبُ
فِي كُلِّ مُعْتَقِلٍ وَدَارٍ ثَمَرَةٌ
وَبِكُلِّ مُنْعَطَفٍ يُكْبِرُ مَوْكِبُ !
وَبِكُلِّ رُكْنٍ مَاتَ وَمَنَاحٍ
وَبِكُلِّ حَيٍّ مُنْخَنٍّ وَمُخَضَّبٍ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ فِي الْمَآذِنِ صِيْحَةً
تُذَكِّي الْمَشَاعِرَ فِي الْقُلُوبِ وَتُلْهِبُ
وَيَهُودُ فِي دَوَّامَةٍ أَرَاؤَهَا
فِي قَمْعٍ ثَوْرَةٍ شَعْبِنَا تَتَشَعَّبُ
لَمْ تُجِدْهَا أَلَاتُهَا وَعِصِيَّهَا
وَالْعُمُّ سَامٌ وَمَنْ لَهَا يَتَقَرَّبُ
وَإِذَا أَرَادَ الشَّعْبُ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ
صَعْبًا عَلَى أَحْرَارِهِ مُتَطَلِّبُ



وَيُذِيبُ قَلْبَكَ حَيْثُ شِئْتَ فَظَائِعُ
نَازِيَةٌ وَطُفُولَةٌ تَتَعَذَّبُ
فِي عَالَمٍ جَدْبٍ بِلَا خُلُقٍ وَلَا
دِينٍ يَقِيهِ وَلَا ضَمِيرَ يُوْنِبُ
تَعْنُو يَهُودُ كَمَا تَشَاءُ وَحَوْلَنَا
أُمَمٌ - عَلَى أَوْجَاعِنَا - تَتَرَقَّبُ
أَقْصَى مُرُوءَتِهَا وَنَجْدَتِهَا لَنَا
وَقَدْ يَجِيءُ، وَمُسْتَشَارٌ يَذْهَبُ !
فَلْيَمْنَحُوا (هْتَلِيرَ) صَكَ بَرَاءَةٍ
وَلْيَرْجُمُوا (شَامِيرَ) فَهُوَ الْمَذْنِبُ !

لِلَّهِ أَبَاءٌ كِرَامٌ قَدَّمُوا
أَرْوَاحَهُمْ، وَسَخَّوْا بِمَنْ قَدْ انْجَبُوا !
لَمْ يَرْكَعُوا رَغَمِ الْخُطُوبِ لِغَاصِبٍ
قَدْ كَانَ يَحْلُمُ أَنََّّهُ لَا يُغْلَبُ
قَدْ أَقْسَمُوا أَنَّ لَاتَنَامَ عِيُونُهُمْ
وَعُرَابُ شَوْمٍ فِي الْمَغَانِي يَنْعَبُ
عَاشُوا زَمَانًا بِالْوُعُودِ وَبِالْمُنَى
فَإِذَا وَعُودُ الْغَرْبِ بَرَقَ خُلْبُ !
وَتَيَقَّنُوا أَنَّ الْجَهَادَ شَهَادَةٌ
وَالسَّيْفَ يَصْدُقُ وَالسِّيَاسَةَ تَكْذِبُ !
وَالنَّصْرُ لَا يَأْتِي بِإِلَّا تَضْحِيَةٍ
وَالْمَهْرُ لَا يَغْلَى عَلَى مَنْ يَخْطُبُ



مَرَحَى لِأَشْبَالِ الْعَرِينِ وَمَنْ بَنَتْ
أَحْبَارُهُمْ مَا لَمْ تَشِدْهُ الْأَحْقَابُ
أَحْبَارُكُمْ فِي تَاجٍ يَغْرُبُ مَنْجَمٌ
مِنْ لَوْلُو غَالٍ، وَسَفَرٌ مُذْهَبُ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنَا صَلاَحِ الدِّينِ فِي
عَرِصَاتِهِ وَعَلَا صَدَاهَا الْمُطْرِبُ

وَاهْتَزَّتِ الدُّنْيَا لَهَا وَكَأَنَّهَا
 قَدْ رَاعَهَا مِنْهَا صَنِيعٌ مُعْجَبٌ
 ضَاعَتْ سِنُونُ ! وَنَحْنُ فِي دَوَامَةٍ
 تَجْرِي الرِّيحُ وَلَيْسَ يُقْلَعُ مَرْكَبُ
 وَخِلَافُنَا دَاءٌ مُقِيمٌ مُقْعِدٌ
 لَمْ يَشْفِ مِنْ أَوْجَاعِهِ مُتَطِيبٌ
 مَنْ عَاقَ وَحَدَّثَنَا لِنُصْرَةٍ قُدْسِنَا
 وَمَنْ الْمُسِيءُ بِخَلْفِهِ الْمُتَهَرِّبُ ؟
 وَمَتَى انْتَهَتْ أُمٌّ إِلَى غَايَاتِهَا
 إِنْ قَادَهَا مُتَهَوِّرٌ مُتَذَبِّذٌ ؟
 وَمَتَى تَهَبُّ لِتَفْتَدِيَ إِخْوَانَهَا
 وَبِجَنِبِهَا كَالشُّوْكِ جَارٌ ثَعْلَبُ ؟
 نَحْشَى الْعِنَاقَ إِذَا التَّقَيْنَا مَرَّةً
 وَنَحْسُوهُ خُلُقًا عَسِيرًا يُطَلَّبُ !
 فَكَأَنَّنَا غُرَبَاءُ يُنْكِرُ بَعْضُنَا
 بَعْضًا، وَفَتَحُ قُلُوبُنَا يُسْتَضَعَبُ !
 صَهْيُونَ تُقْتَلُ شَيْبَانَا وَشَبَابُنَا
 وَالْعُرْبُ نَاعِيَةٌ تَنُوحُ وَتَخْطُبُ !
 وَتَحْجُ لِلْقَمَمِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي
 لَتَعُودَ بَعْدُ إِلَى الْحَضِيضِ وَتَرْسُبُ

هَذِي الْحِجَارَةُ أَخْرَسَتْ فُصَحَاءَنَا
وَأَرْتَهُمُو أَنَّ الْحِجَارَةَ تُعْرِبُ !
وَالطِّفْلُ قَالَ لَنَا جَمِيعاً : اقْعُدُوا
أَنْتُمْ هُنَا، وَأَنَا لِوَحْدِي أَذْهَبُ !



رَمِيّاً فَلَا شُلَّتْ يَدَاكَ وَلَا انْطَفَأَ
فِي الْقُدْسِ عَزْمُكَ كَاللَّظَى يَتَوَثَّبُ
وَاغْسِلْ سَوَادَ الْعَارِ عَنْ هَامَاتِنَا
وَأَضِيءْ لِيَا لَيْنَا فَإِنَّكَ كَوَكْبُ
وَتَحِيَّةٌ لِلْحَامِإِلَاتِ مَشَاعِلَا
بَيْنَ الصُّفُوفِ تَقْوُدُهَا وَتُؤَلِّبُ !
هَجَرَتْ نَفَائِسَ حَلِيهَا وَحَرِيرَهَا
وَرَضِيْعَهَا الْبَاكِ لِمَنْ لَا يَحْلُبُ
وَأَرْتَكَ نَاعِمَةً الْبَنَانِ بَطُورَةً
عَرِيَّةً مِنْ غَيْرِهَا تُسْتَغْرِبُ !
وَالْأُمُّ إِنَّ طَابَتْ أَصُولاً أَثْمَرَتْ
أَغْرَاسُهَا وَزَكَا جَنَاهَا الطِّيبُ

لَا يَأْسَ مِنْ نَصْرِ لِقَوْمٍ لَمْ يَعْزُوا
فَالدَّهْرُ لِلَّهِ الْجَهْلُ مُؤَدَّبٌ
فَعَدَا سَنَسْجِدُ فِي مُصَلَّى قُدْسِنَا
وَيَتِيَهُ مَشْرِقُنَا بِكُمْ وَالْمَغْرِبُ
وَنُجَلُّ فِي طِفْلِ الْعُرُوبَةِ ثَوْرَةً
تَمْتَلِهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ يُنْصَبُ !

نَدَاءٌ

أَخِي هُنَاكَ عَلَى خُطُوطِ النَّارِ فِي
دَبَابَةٍ تُصَلِّي الْعِدَى أَوْ مَدْفَعِ
اللَّهُ خَلَفَ زِنَادَكَ الرَّامِي إِذَا
ضَغَطْتَ يَدَاكَ فَلَاتَهُنَّ أَوْ تَجَزَعِ
يَدُكَ الصَّنَاعُ قِلَاعُ أُمَّتِكَ الَّتِي
وَقَفْتَ وَرَاءَكَ فِي التَّحَامِ أُرْوَعِ
سَطِرَ بِمَدْفَعِكَ الْعَتِيدَ رَوَائِعَا
فِي مَجْدٍ يَغْرُبُ مِثْلَهَا لَمْ يُسْمَعْ
وَأَرْفَعُ مَشَاعِلَكَ الَّتِي لَمْ تَنْطَفِئِ
وَأَنْشُرُ طَلَائِعَكَ الَّتِي لَمْ تُرْدِعِ
وَأَمْلَأُ فَمَ الدُّنْيَا بِبَاسِكَ مُرْعِبَا
وَأَسْكُبُ هَدِيرَكَ غِنْوَةً فِي مَسْمَعِي
إِنَّا حَلَفْنَا أَنْ نَطْهَرَ أَرْضَنَا
مِنْ رِجْسِ صَهْيُونَ وَمَكْرِ الْمُدْعِي
فَالْبَغْيِ مَالَمَعَتِ بَوَارِقُ نَصْرِهِ
إِلَّا لِتَوْذِنَ بِأَقْتِرَابِ الْمَصْرَعِ
إِنَّا - بَنِي الْأَحْرَارِ - شَعْبٌ لَمْ يَهِنْ
رَغْمَ الْخُطُوبِ وَلِلْعِدَى لَمْ يَرْكَعْ

(بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةً أَحْسَبُهُمْ
 شَمُّ الْأَنْفُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَرْفَعِ)
 شِدْنَا عَلَى أُسُسِ الْعَدَالَةِ مُلْكَنَا
 وَعَلَى دَعَائِمِ مِثْلَهَا لَمْ يُرْفَعِ
 أَيْذِلُّ مَنْ حَشَدُوا الْحُشُودَ وَدَوَّخُوا
 كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِي جَحَافِلِ تُبَعٍ ؟
 أَيْذِلُّ مَنْ طَلَعُوا عَلَى الدُّنْيَا كَمَا
 طَلَعَتْ ذُكَّاءٌ عَلَى رُقُودِ هُجَعٍ ؟
 أَتَغِيبُ تِلْكَ الشَّمْسُ بَعْدَ بُزُوغِهَا
 وَضِيَائِهَا فَكَانَهَا لَمْ تَطْلُعِ ؟!
 أَيْذِلُّ أَبْنَاءَ الْأَسُودِ وَلَمْ تَزَلْ
 أَظْفَارُهُمْ مَسْنُونَةً لَمْ تُقْلَعِ ؟
 قَسَمًا بُرُوجِكَ يَا صَاحُ وَقُدْسِنَا
 وَدِمَائِنَا فِي تُرْبِهِ الْمُتَضَوِّعِ
 لَنَشْنُهَا حَرْبًا تَطْهَرُ أَرْضُنَا
 بِرِجَالِنَا وَنِسَائِنَا وَالرُّضْعِ
 فَاللَّهُ أَغْيَرَ أَنْ يُعِزَّ عِصَابَةً
 دَاسَتْ مَحَارِمَهُ وَلَمْ تَتَقَنَّعِ
 وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَمِزِقَ أُمَّةً
 هَبَّتْ لَتَحْمِي قُدْسَ تِلْكَ الْأَرْبُعِ

هَذَا النَّذِيرُ لَأُمَّةٍ لَعِبَتْ بِهَا
أَهْوَاؤُهَا فِي صَفِّهَا الْمُتَصَدِّعِ
وَصَحَتْ عَلَى هَوْلِ الْمُصَابِ كَأَنَّمَا
هَبَّتِ عَلَى أَصْدَائِهِ مِنْ مَضْجَعٍ !
فَعَسَى النَّوَائِبُ تَجْمَعُ الشَّمْلَ الَّذِي
عَصَفَتْ بِهِ وَيَعِي الْحَوَادِثُ مَنْ يَعِي
وَالِىَ اللِّقَاءِ وَفَوْقَ ثَغْرِكَ بِسْمَةٍ
وَعَلَى جَبِينِكَ تَاجُ نَصْرِ أَرْوَاحِ
فِي فَرْحَةٍ تُحْيِي مَوَاتَ عُرُوبَتِي
وَتَرُدُّ أَنْفَاسِي وَتُجَرِّي أَدْمُعِي



أَطْفَال لَاتَنَام

أُمَاهُ ! ضَاقَ بِي الْمُخَيِّمُ مُذْ رَأَتْ

عَيْنَايَ أَتْرَابِي عَرَايَا فِي الْخِيَامِ

يَتَخَوَّرُونَ مِنَ الطَّوَى وَعُيُونُهُمْ

مُتَقَرِّحَاتٌ زَائِغَاتٌ لَاتَنَام

فَالَى مَتَى هَذِي الْخِيَامُ تَلُفُّنَا

يَمْتَصِّنَا عَامٌ لِيَأْتِيَ بَعْدُ عَامٌ ؟

لَا الْمَوْتُ يُنْقِذُنَا فَلَا نَشْقَى وَلَا

مَنْ يَرْفَعُونَ لَنَا شِعَارَاتِ السَّلَامِ

أُمَاهُ ! ضَمِينِي إِلَيْكَ فَإِنَّنِي

أُخْشَى الْيَهُودَ الْقَادِمِينَ مَعَ الظَّلَامِ !

أُخْشَى أَزِيْزَ رَصَاصِهِمْ أُخْشَى لَهْيِـ

بَبِ جَحِيمِهِمْ يَشْوِي الْجَمَاجِمَ وَالْعِظَامِ

قَالَتْ فَدَيْتُكَ يَا بَنِيَّ فَمَا تَرَى

نَارٌ يَدْمِرُنَا بِهَا الْأَهْلُ الْكَرَامِ !

نَارٌ أَشَدُّ عَلَى النُّفُوسِ مَضَاضَةً

مِنْ نَارِ صَهْيُونَِ وَأَلْوَانِ الْحِمَامِ

هِيَ نَارُ إِخْوَتِنَا الَّذِينَ تَنَكَّرُوا

وَاسْتَرْخَصُوا دَمَنَا وَخَاسُوا بِالذَّمَامِ

أَطْفَالَنَا هَدَفَ لِنَارِ رِصَاصِهِمْ
وَشُيُوخُنَا مَوْعُودَةً تَحْتَ الرُّكَامِ
قُولِي لِإِخْوَتِنَا دَعُوا أَطْفَالَنَا
لَا تَقْتُلُوا أَكْبَادَنَا قَبْلَ الْفِطَامِ
فَهُمُ الْمَشَاعِلُ فِي النِّصَالِ لِثَوْرَةٍ
قَدْ أَقْسَمْتَ أَبْنَاؤُهَا أَنْ لَا تُضَامِ
قُولِي لَهُمْ : لَا تَقْتُلُوا وَلَدِي فِي
غَدِنَا سَيَقْدِفُ بِالْحِجَارَةِ كَالسِهَامِ
لَا تَقْطَعُوا الْأَيْدِي الَّتِي قَدْ رَوَّعَتْ
صَهْيُونَ وَانْتَزَعَتْ حِجَارَتَهَا الزِّمَامِ
لَا تُطْفِئُوا اللَّهَبَ الَّذِي لَا يَنْطَفِي
بِالْحَقْدِ وَالْجَدَلِ الْعَقِيمِ وَالْانْقِسَامِ
لَا تَطْلُبُوا نَصْرًا عَلَى أَعْدَائِكُمْ
بِدَمٍ إِرَاقَتُهُ بِإِلَا ذَنْبٍ حَرَامِ !
مَرَحَى أَبَا مُوسَى فَلَا شُلَّتْ يَدٌ
تَغْتَالُ إِخْوَتَكُمْ، وَلَا قُلُ الْحُسَامِ !
خُضْ فِي دِمَانَا كَيْفَ شِئْتَ فَجُرْحُنَا
بِيَدِ الْعُرُوبَةِ لَيْسَ يَشْفِيهِ التِّئَامِ
وَارْقُصْ عَلَى أَشْلَانِنَا فِي نَشْوَةٍ
وَاشْرَبْ عَلَى قَتْلَاكَ كَأَسَاتِ الْمُدَامِ

وَانْهَضْ بِجُنْدِكَ فَاقْتَحِمْ أَبْرَاجَنَا
 وَاهْنًا فَقَدْ حَرَّرْتَ مَسْجِدَنَا الْحَرَامَ !
 وَكُذِبَ عَلَى التَّارِيخِ إِلَّا أَنْ تَقُو
 لَ بِأَنْ رِحْلَتَنَا عَنِ الْبُرْجِ انْهَزَامَ
 لَوْ لَا شَيْءٌ رُكِعَ وَمَرَّاضِعُ
 تَبْكِي، وَأَطْفَالٌ سَتَغْدُو كَالْحُطَامِ
 لَسَقَتْ دِمَانَا الْبُرْجَ حَتَّى يَرْتَوِي
 وَرَأَيْتُمُو أُسْدًا تَصُولُ عَلَى نَعَامِ !
 فِي الْقُدْسِ تَنْتَفِضُ الطُّقُولَةُ مَارِدًا
 وَتَذُوقُ مِنْ أَعْدَائِهَا الْمَوْتَ الزَّوَامَ
 وَهَنَا بِأَيْدِي الْعُرْبِ إِخْوَانُ الصِّفَا
 تُغْتَالُ فِي صَمْتٍ وَلَا أَحَدٌ يُلَامُ !
 أَيْنَامُ أَطْفَالُ الْعُرُوبَةِ نَاعِمِي—
 —نَ وَفِي الْمُخَيِّمِ كُلِّ طِفْلِ لَا يَنَامُ !
 فَمَتَى سَيُرْسِي لِلْعُرُوبَةِ مَرْكَبُ
 وَمَتَى يَطِيبُ لَهُ بِشَاطِئِهَا الْمَقَامُ ؟
 وَمَتَى تَعِي وَتُفِيقُ مِنْ غَفَوَاتِهَا
 وَمَتَى سَتَعْرِفُ كَيْفَ تَخْطُو لِلْأَمَامِ ؟

حَبَرَانِ

حَبَرَانِ ! لَا حَجَرَ لَأَقْذِفَ إِخْوَتِي
 بِيَدِ، وَفِي الْأَخْرَى مَقَالِعُ لِلْعَدَى !
 قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ إِخْوَانِي مَعِي
 يَحْمُونَ ظَهْرِي فِي النِّضَالِ وَفِي الْفِدَا
 فَإِذَا الْخَنَاجِرُ وَالْمُدَى تَغْتَالِنِي
 وَإِذَا أَخِي فِي ظَلَمِهِ فَاقَ الْمُدَى
 ضَمَدْتُ جُرْحَ يَهُودَ فِي قَلْبِي وَلَنْ
 أَلْقَى لِأَضْمِدَ جُرْحَ إِخْوَانِي يَدَا
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ لَادْخَرْتُ حِجَارَتِي
 لِأَخِي الْعَدُو وَلَمْ أُضِعْ جُهِدِي سُدَى !
 عَلَّمْتُمُ الْمُحْتَلَّ كَيْفَ يَرْوِضُ مَنْ
 شَقَّ الْعَصَا مِنْ أَهْلِنَا وَتَمَرَّدَا
 لَالَوْمَ بَعْدَ عَلَى الْيَهُودِ إِذَا عَتَا
 وَغَلَا فَقَدْ وَجَدُوا الْمِثَالَ الْمُقْتَدَى
 يَا إِخْوَتِي فِي الْبُرْجِ يَأْمَنُ طُورِدُوا
 مِنْ أَهْلِهِمْ وَعَدُوَّهُمْ لَنْ يُطْرَدَا
 تَسْتَنْجِدُونَ عَدُوَّكُمْ لِيُجِيرَكُمْ
 مِنْ إِخْوَةٍ بِالْأَمْسِ كَانُوا الْمُنْجِدَا
 لَا تَرْهَبُوا الْإِعْصَارَ مَهْمَا يَقْتَلِعُ
 أَكْوَاحَكُمْ فَلَهْيُكُمْ لَنْ يُخَمَّدَا
 وَهَذَا أَبَا مُوسَى فَقَدْ أَرْجَعَتْ مَا
 أَخَذَ الْيَهُودُ، وَمَا نَسَيْتَ الْمَسْجِدَا !

مَوَاقِب

وَعَى الْغَرْبُ مَا صَنَعَتْهُ الْعَرَبُ
وَرَأَقَبَ مَوَكِبَهَا عَنْ كُتُبِ
وَكَمْ شَهِدَ الْغَرْبُ مِنْ أُمَّتِي
مَوَاقِفَ مَجْدٍ تُثِيرُ الْعَجَبَ !
وَكَمْ سَطَّرَتْ مِنْ مُعَلَّقَةٍ
بِأَحْرَفِ نُورٍ، وَقَاءَ ذَهَبٍ !
تَحَدَّتْ بِهَمَّتِهَا كُلَّ صَعْبٍ
وَصَارَعَتِ الْبَغْيَ رَغَمَ النُّوَبِ
إِذَا مَا خَبَا أَوْ كَبَا رُكْبُهَا
وَأَجْهَدَهَا فِي الْمَسِيرِ التَّعَبِ
تَجَدَّدَ فِي جِسْمِهَا دُمُهَا
وَوَاصَلَ دَوْرَتَهُ فِي خَبَبٍ !
وَتِلْكَ خَالِيقُ أُمَّتِنَا
وَمَا أَلْفَتْهُ طِوَالِ الْحَقَبِ !



رَأَيْتُ بِعَيْنِي أَعْلَامَهَا
مَشَاعِلَ نُورٍ وَمَوْجَ لَهَبِ

وَشَوْقاً تَفَجَّرَ عِنْدَ اللِّقَاءِ
وَدَمْعاً جَرَى فَرَحاً وَانْسَكَبَ
وَأَعْيَنَ قَوْمِي شَامِخَةً
إِلَى الْفَجْرِ وَالْأَمَلِ الْمُرْتَقِبِ
إِلَى مَا تُقَرِّرُ قَادَتَهَا
وَمَا سَوَّفَ تُعْلِنُ مِنْ مُكْتَسَبِ
وَفِي قِمَمِ الْعُرْبِ أَمَّالَهَا
وَجَمْعُ لِسْمَلٍ وَهْيَ وَانْشَعَبِ
رَأَيْتُ صَاحِياً عَلَى فَرَسٍ
وَصَارُمُهُ بِالِدِّمَاءِ اخْتَضَبِ
يَبَارِكُ مُؤْتَمِرُ (الْمُنْقِذِينَ)
وَيَحْدُو مَسِيرَتَهُمْ خَيْرَ أَبِ
بَعَيْنِي رَأَيْتُ مَوَاقِبَهَا
حَاجِجاً يَلْبِي نِدَاءَ وَجَبِ
عَلَى أَرْضِ مَغْرِبِنَا قَدْ أَهَلَّ
وَلِلَّهِ قَدَّمَ أَغْلَى الْقُرْبِ !
قُلُوبٌ بِلُبْنَانَ مُتَخَنَّةٌ
وَشَعْبُ فِلَسْطِينَ مُسْتَلَبِ
وَفِي قَوْمِنَا مَنْ يُجِيدُ الْمَرَاثِي
وَفِي الْغَرْبِ لُسْنٌ تَجِيدُ الْخُطْبَ !

وَلَيْلُ الْعُرُوبَةِ أَطْوَلُ لَيْلٍ
 إِذَا لَاحَ فِيهِ الضِيَاءُ احْتَجَبَ
 فَتَّتْ قُوتَهَا فِي خِلَافٍ
 وَتَسَعَى لِأَعْدَائِهَا بِالشَّغَبِ
 وَلَا يُنْزِعُ الْحَقُّ مِنْ غَاصِبٍ
 طِلَاباً وَلَكِنَّهُ بِالْغَلَبِ !
 فَأَيُّ غَدٍ يُرْتَجَى مُشْرِقٍ
 إِذَا سَاءَ حَاضِرُنَا وَاکْتَابَ ؟



فَيَا قَادَةَ الْعُرْبِ هَذَا اللَّقَاءُ
 هَدِيَّتُكُمْ لِشُعُوبِ الْعَرَبِ !
 وَهَذِي الْبَشَائِرُ مُقْبِلَةً
 بِنَصْرِ بَدَا فَجْرُهُ وَاقْتَرَبَ
 وَإِنْ كَانَ دَهْرٌ أَسَاءَ فَقَدْ
 أَتَى لِيُكَفِّرَ عَمَّا ارْتَكَبَ
 غَدًا يُزْهِرُ الْحُبُّ فِي رَوْضِنَا
 فَتُذَرِّكُ بِالْحُبِّ أَغْلَى الْأَرْبِ
 غَدًا تَسْتَقِرُّ مَرَاكِبُنَا
 وَيَسْكُنُ مِنْ بَحْرِنَا مَا اضْطَرَبَ

وَنُفْلِي فَسْتَمَعْنَا كُلُّ أُنْثَى
وَيَرْهَبُنَا كُلُّ بَاغٍ نَهَبٍ
فَكَمْ بَيْنَ أُمَّتِنَا مِنْ رِبَاطٍ
وَكَمْ بَيْنَ أَقْطَارِنَا مِنْ سَبَبٍ !
وَمَا كَالْعَقِيدَةِ أَصْرَةٍ
وَلَا رَحِمٍ مِثْلُهَا أَوْ نَسَبٍ !
لَسَوْفَ تَسِيرُ قَوَافِلُنَا
وَنُصْلِحُ مِنْ أَمْرِنَا مَا انْقَلَبَ
وَيُخَسِّأُ كُلُّ حَقُّودٍ وَضِيعٍ
وَيُصْعَقُ كُلُّ عَمِيلٍ ذَنْبٍ !
فَحَمْدًا لِمَنْ أَنْجَحَ الْمُلتَقَى
وَأَعْلَتْ يَدَاهُ رُؤُوسَ الْعَرَبِ !

شَمْسٌ لَّا تَغِيبُ

رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَغْرُبُ كُلَّ يَوْمٍ
وَشَمْسُ الْعَرَبِ لَمْ تَعْرِفْ غُرُوبًا !
قَالَعٌ فِي الْمَعَالِي شَامِخَاتٌ
تَحَدَّتْ فِي مَسِيرَتِهَا الْخُطُوبَا
وَنَهَرٌ فِي اطْرَافِهِ لَمْ تَعْطَلْ
رَوَافِدُهُ وَلَمْ تَعْرِفْ نُضُوبَا
يُسِيءُ الدَّهْرُ أَحْيَانًا فَيَسْغَى
عَلَى قَدَمِ إِلَيْهَا كَيْ يَتُوبَا !
وَتَذْمِيهَا نَوَائِبُهُ فَتُلْقَى
لَهَا فِي كُلِّ فَاجِعَةٍ طَبِيبَا
مَشَاعِلُ قَدْ أَضَاءَتْ كُلَّ أَرْضٍ
وَشَبَّتْ فِي جَهَاتِهَا لَهْيَا
مَشَوْا فِي الْأَرْضِ يَهْدُونَ الْحَيَارَى
وَضِدْ طُغَاتِهَا اقْتَحَمُوا الْحُرُوبَا
وَرَبُّ وَاحِدٌ عَبْدُوهُ رَبًّا
وَعَادُوا فِيهِ مَنْ عَبْدُوا الصَّلَايَا



سَمَتُ أَخْلَاقَهُمْ نُبْلًا وَعَدْلًا
يُضْمَخُ ذِكْرُهُ التَّارِيخَ طَيِّبًا
وَكَانُوا فِي حَضَارَتِهِمْ عُقُولًا
بِمَا أُعْطَتْهُ لَمْ تُمِتِ الْقُلُوبَا !
تُحَلِّقُ فِي فَضَاءِ الْعِلْمِ حَتَّى
إِذَا انْبَهَرَتْ تَهَيَّيْتُ الْغُيُوبَا !
يَحُجُّ إِلَى مَنَآهِلِهَا ظَمَاءٌ
أَفَادُوا مِنْ مَعَارِفِهَا ضُرُوبَا
وَلَمْ تَعْقَمْ مَوَاهِبُهَا وَكَانَتْ
مَدَى الْأَجْيَالِ مُنْتَجَعًا خَصِيبَا
ظِلَالُ الضَّادِ فِيهَا وَارِفَاتُ
تُذِيبُ، وَلَيْسَ تَرْضَى أَنْ تَذُوبَا !
تَصُونُ كِيَانَهَا وَتَذِيبُ عَنْهُ
وَلَا تُؤْوِي الْمُهْجَنَ وَالْغَرِيبَا
وَمَا فَتِنَتْ مَعَاجِمُهَا تَغْذِي
رِيَاضَ الْفِكْرِ لَا تَشْكُو لُغُوبَا
تَسَايَرُ كُلُّ مُبْتَكِرٍ جَدِيدٍ
بِعُمْرٍ مُسْتَجَدٍ لَنْ يَشِيْبَا
إِذَا انْتَزَعَتْ يَدُ الْأَيَّامِ ثُوبَا
قَدِيمًا عَوَّضَتْ عَنْهُ قَشِيْبَا !

يَخَافُ لِقَاءَهَا الْبَاغِي وَيَسْعَى
إِلَيْهَا - مُسْتَغِيثًا - إِنَّ أُصِيبَا !
عَرِينٌ لَا تُغَادِرُهُ أُسُودٌ
عَلَى صَهَوَاتِهَا تَجْلُو الْكُرُوبَا



وَيَا أَيَّامَ بَغْدَادَ الزَّوَاهِي
وَعُصْنُ عُرُوبَتِي يَزْهُو رَطِييَا
تَمُدُّ جَنَاحَهَا شَرْقًا وَغَرْبًا
وَتَبْسُطُهُ شَمَالًا أَوْ جَنُوبًا
وَمُلْكُ عُرُوبَتِي ظِلٌّ ظَلِيلٌ
وَعَيْثُ يَخْصِبُ الْقَفَرُ الْجَدِييَا
ذَكَرْتُكَ وَالْأَسَى يُذِمِّي فُؤَادِي
وَقُدْسُ الْعُرْبِ قَدْ أَمْسَى سَلِييَا
يُوَاجِهُ شَعْبُنَا فِيهِ الْمَنَايَا
وَيَهْرَعُ لِلشَّهَادَةِ مُسْتَجِييَا
وَتَرْتَفِعُ الْحَجَارَةُ مِنْ بَنِيهِ
لِتُصْبِحَ فِي الْعِدَى شَبَحًا رَهِييَا
إِذَا مَا أَخْطَأَتْ حَجَرَاتُ طِفْلِ
وَلَمْ يَكُ فِي رِمَائِيَّتِهِ مُصِيبَا

فَغَضِبَتْهُ تَهْزُ الْأَرْضُ رُغْبًا
وَإِعْصَارٌ يَهْبُ بِهَا هُبُوبًا
وَتَلْتَمِعُ الْبُطُولَةُ فِي نِسَاءِ
نَسِينَ الْكَلِّ وَالْكَفِّ الْخَضِييَا !
يَقْدَنَ طَلَائِعَ الْأَحْرَارِ زَحْفًا
وَنَارُ الْبَغْيِ تَخْتَرِقُ الْجُنُوبَا
وَيَبْكِي الْعَمُّ سَامٌ عَلَى بَنِينَا
إِذَا مَا قَامَ فِي النَّادِي خَطِييَا !
بِدَمْعِ الْمُومِسَاتِ يَذْبَنُ حُزْنًا
وَلَا يَعْرِفْنَ فِي الدُّنْيَا حَبِييَا !
فِيَاللَّهِ مِنْ شَعْبٍ أَبِيٍّ
نَجِيبٍ لَمْ يَلِدْ إِلَّا نَجِييَا
يُرِيدُ الْحَاقِدُونَ غُرُوبَ شَمْسِي
وَتَابَى شَمْسُ قَوْمِي أَنْ تَغِييَا !
إِذَا حَجَبَتْ أَشْعَتَهَا غِيُومٌ
وَأَبْدَتْ خَلْفَهَا وَجْهَهَا شُوبَا
تَجَلَّتْ بَعْدَ غَيْبَتِهَا وَحْيِي
بَنُوهَا الْغُرُّ مَطْلَعَهَا الْمَهِييَا

تَبَارَكَ مَنْ حَمَى شَمْسِي وَأَبْقَى
سَنَاهَا فَوَقَّهَا قَدْرًا رَتَبَهَا
بِهَا أَبْصَرْتُ نَفْسِي فَاسْتَضَاءَتْ
وَفِيهَا انْسَابَ إِحْسَاسِي نَسِيبًا
وَلَوْلَاهَا لَمَّا غَنَّى مُغْنٍ
وَلَمْ نَسْمَعْ بِرَوْضِ عُنْدَلِيَّيَا

عَوْدَةُ السَّلَامِ

غَرِدِي يَا حَمَائِمَ السَّلَامِ فِي دِجْلَةٍ وَاحِكِي لِلْعُرْبِ عَنْ أَيَّامِي
يَوْمَ هَبَّ الْعِرَاقُ يَسْتَبْعِدُ الْبَغْيَ وَيَحْمِي الْحِمَى وَرَأَى صَدَّامَ
وَأَسْتَحَالَ الْخَلِيجُ بُرْكَانَ نَارٍ وَحَقُّوْلاً لِزَارِعِي الْأَغْنَامِ
وَتَعَالَى فِرْعَوْنُ إِيْرَانَ فِي الْأَرْضِ إِلَّاهَا وَاشْتَاقَ لِلْأَجْرَامِ
أَعْلَنِي يَا حَمَائِمَ السَّلَامِ لِلشَّرْقِ الْمَعْنَى نَهَايَةَ الْأَلَامِ
بَعْدَ لَيْلٍ مِنَ الْمَآسِي وَأَعْوَامٍ عَجَافٍ وَمُوجَعَاتٍ جَسَامِ
ذَكَّرْتَنَا حَرْبَ السَّبُوسِ وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهَا مُجْنَدٌ بِحُسَامِ
يَزْحَفُ الْمَوْتُ فِي مَلَاحِمِهَا السُّودَ سُيُولاً مِنَ الْجَحِيمِ الطَّامِي
تَتَهَاوَى مِنَ السَّمَاءِ وَأَحْيَاناً إِلَيْهَا تَرْقَى شَيَاطِينُ سَامِ !
وَشَظَايَا الْأَجْسَامِ فِيهَا كَأُورَاقٍ خَرِيفٍ تُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ
وَضَحَايَا جَحِيمِهَا لَيْسَ تُحْصَى مِثْلَ حَرْبِ الْبَسُوسِ بِالْأَرْقَامِ
لَوْ أُقِيمَتْ صَوَامِعاً وَهِيَ فِي بَغْدَادَ لَاحَتْ فِي مِصْرَ كَالْأَهْرَامِ !
رُبَّ لَيْلٍ قَدْ حَوَّلَتْهُ نَهَاراً وَنَهَاراً لَفَتَتْهُ بِالْإِظْلَامِ
وَقُصُورٌ قَدْ دَمَّرَتْهَا فَأَضْحَى سَاكِنُوهَا عَشَائِراً فِي الْخِيَامِ
وَوَلِيدٌ مُدَلِّلٌ أَفْقَدَتْهُ أَبْوِيهِ أَضْحَى مِنَ الْإِيْتَامِ
وَنِسَاءٌ حَوَامِلٌ أَجْهَضَتْهَا غَارَةٌ أَجْهَزَتْ عَلَى الْأَرْحَامِ
وَصَبَايَا قَدْ شَوَّهَتْهَا شَظَايَا وَشُيُوخٌ تَتَنُّ تَحْتَ رُكَامِ
وَشَبَابٌ قَدْ جُنِّدُوا لِقِتَالٍ حَارَبُوا اللَّهَ فِيهِ كَالْأَغْنَامِ !

وَبَنُونَا فِي الْقُدْسِ يَحْصِدُهَا الْمَوْتُ زُهُوراً مَكْمُومَةً الْأَكْمَامِ
يَتَحَدَّى صَغِيرُهَا الْمَوْتَ عَمَلاً قِامَ الْقَرَاصِنِ الْأَقْزَامِ
يَا الْحَرْبَ مَوْتُورَةَ زَوْدَتَهَا بِوُقُودِ الدَّمَارِ أَيْدِي الْكِرَامِ !
لَمْ يَضِنُّوا عَلَى تَأْجِجِهَا يَوْماً وَلَا أَمْسَكُوا مِنَ الْإِعْدَامِ !
تُرْسِلُ الْمَوْتَ فِي صَوَارِيخَ تَسْرِي فِي ثَوَانٍ مَسِيرَةَ الْأَيَّامِ
كَمْ تَدَاعَتْ بِهَا مَعَالِمُ وَانْهَارَتْ قُصُورٌ فَأَصْبَحَتْ كَالْحُطَامِ



عَجَباً كَيْفَ يَقْتُلُ الْمَوْتُ شَعْباً هَكَذَا وَهُوَ صَامِدٌ فِي ابْتِسَامِ !!
يَتَلَقَّى أَعْدَاءَهُ بِصُخُورٍ لَا بِجَيْشٍ مُصَاوِلٍ مَقْدَامِ !
أَلَفَ النَّصْرَ فِي مَلَا حِمِهِ الْكُبْرَى وَأَحْيَا مَفَاخِرَ الْإِسْلَامِ
لَكَانِي بَابِنِ الْوَلِيدِ أَمَامَ الْجَيْشِ يُزْجِي الصُّفُوفَ يَوْمَ التَّحَامِ
هَاهُنَا فِي الْعِرَاقِ كَانَ لَهُ نَصْرٌ وَلِلْمُشْرِكِينَ شَرٌّ اِنْهَزَامِ
كَمْ تَعَالَتْ صَيْحَاتُنَا وَتَوَالَتْ وَدَعَا لِلْسَّلَامِ رُسُلُ السَّلَامِ !
غَيْرَ أَنَّ الْأَيْدِي الْخَفِيَّةَ كَانَتْ مِنْ وَرَاءَ تَزِيدٍ فِي الْإِيلَامِ
تَتَمَلَّى بِالنَّارِ تَلْتَهُمُ الشَّرْقَ وَتَمْتَصُّ مِنْ أَسَاهُ الدَّمَامِ
وَالْمَآسِي فِي الشَّرْقِ لِلْغَرْبِ أَعْرَاسٌ وَحُلُمٌ مِنْ أَجْمَلِ الْأَحْلَامِ !
يَشْتَهِي أَنْ يَرَى صُرُوحَهُ تَهْوِي فِي حُرُوبٍ بِالْمَعُولِ الْهَدَامِ
غَيْرَ أَنَّ الْقُلُوبَ عَادَ إِلَيْهَا الصَّفُوفُ بَعْدَ الْغُيُومِ وَالْأَغْتَامِ
وَتَغْنَّتْ بِالْأَبْلِ السَّلْمِ فِي دِجْلَةٍ جَذَلَى بِأَعْذَبِ الْأَنْغَامِ
إِنَّ يَوْماً يَعُودُ فِيهِ إِلَى الشَّرْقِ هَنَاهُ مِنْ أَسْعَدِ الْأَيَّامِ !

أُمُّ الْمَعَارِكِ

وَمِنْ طَوَاغِيَتِ غَرْبٍ تُرْعِبُ الْعَرَبَا
وَلَوْ عَلَا وَبَنَى فَوْقَ السَّمَاءِ قَبِيَا
فَلْتَنْتَفِضِ غَضَباً وَلْتَشْتَغِلْ لَهَبَا
إِنْ لَمْ نَجِدْ فِي بَنِي الدُّنْيَا لَنَا نَسَبَا!
وَقَدْ دَعَيْنَا لِنَحْمِيهَا، وَلَا نَضَبَا
لَا نَسْتَعِيْضُ بِهَا نَفْطاً وَلَا ذَهَبَا!
قَدْ أَعْلَنُوهَا وَإِنْ لَمْ يَرْفَعُوا صُلْبَا!
بِهِ الرِّمَالُ وَمَا غَطُّوا بِهِ السُّحْبَا!
رَحَابُهَا وَنَفَتْ عَنْ قُدْسِهَا الْغُرْبَا
مُسْتَنْفِرِينَ لَهَا الْأَحْلَافَ وَالْعُصْبَا
لِتَجْنِي الشُّوْكَ مِنْ بَغْدَادَ لَا الْعِنْبَا!
وَعُضْبَةٌ مِنْ قُوَى لَمْ تَعْرِفِ الْغَضْبَا
تُهْدِدُ الْأَمْنَ وَالْقَانُونَ وَالْأَدْبَا
فَلَا يَرُدُّ لَهَا أَمْراً وَلَا طَلْبَا
غَرِيبَةً مَلَأَتْ أَسْمَاعَنَا كَذِبَا!

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ بُوشٍ وَعُصْبَتِهِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا فِرْعَوْنَ يُعْجِزُهُ
أَرْضُ الْعُرُوبَةِ لِلْأَعْدَاءِ مَقْبَرَةٌ
وَمَجْدُ يَغْرِبُ أَنْسَابٌ تُشْرِفُنَا
دُمُ الْعُرُوبَةِ مَا جَفَّتْ رَوَافِدُهُ
سَقَتْ ثَرَاهُ دِمَانَا فَهِيَ غَالِيَةٌ
هِيَ الصَّلِيبِيَّةُ الرَّعْنَاءُ حَاقِدَةٌ
سَاقُوا لَهَا مِنْ عَتَادِ الْحَرْبِ مَا امْتَلَأَتْ
تِلْكَ الرِّمَالُ الزَّكَايَاتِ الَّتِي طَهَّرَتْ
حَجُّوا إِلَيْهَا خِفَافاً فِي جَحَافِلِهِمْ
وَجَنَدُوا دُولَ الدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا
قِيَامَةٌ لَمْ تَرَ الدُّنْيَا لَهَا شَبَهَا
تَرَى حَلِيفَتَهَا صَهْيُونَ سَادِرَةٌ
تُمْلِي عَلَى الْغَرْبِ مَا تَهْوَاهُ أَمْرَةٌ
كَمْ مِنْ مَذَابِحَ لَمْ تَغْضَبْ لَهَا دَوْلٌ

وَكَمْ مَنَازِلَ هُدَّتْ فَوْقَ إِخْوَتِنَا
وَكَمْ سَجِينٍ، وَكَمْ مِنْ مُبْعَدٍ نَكَبَا !
لَمْ يَنْعَقِدْ مَجْلِسُ لِأَمْنٍ يَشْجُبُهَا
وَلَا تَوَعَّدَ (شَامِيرَا) وَلَا اِكْتَابَا !
وَلَا أَقَامَ لَهَا الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا
وَخَاصٌّ مِنْ أَجْلِهَا الْأَهْوَالُ وَالْكَرَبَا !
يَا ضِيعَةَ الْحَقِّ فِي دُنْيَا بِلَا قِيمٍ
ضِعَافُهَا أَصْبَحَتْ لِأَقْوِيَا سَلَبَا !



يَا أُمَّةً لَمْ تُطَاطَى هَامَهَا نُوبٌ
وَلَمْ يُضْعَضِعْ قُؤَاهَا غَالِبٌ غَلَبَا
كَأَنَّهَا الْأَطْلُسُ الْجَبَّارُ صَامِدَةٌ
تَلْقَى الْخُطُوبَ، وَلَا تَعْنُو لَهَا رَهَبَا
بَغْدَادُ بَحْرٌ لَطَّى تَغْلِي مَرَاجِلُهُ
دَمًا وَدَمْعًا وَلَمْ تَعْدَمَ لَهَا حَطَبَا !
تَهْدُ آثَارُهَا هَدًا مُودِعَةً
وَهِيَ الَّتِي طَاوَلَتْ أُمَجَادُهَا الْحِقَبَا
تَسْقِي السَّمَاءَ بِطَاحِ الْأَرْضِ وَابِلَهَا
وَغَيْثُ بَغْدَادَ يَهْمِي فَوْقَهَا شُهَبَا

مِنْ كُلِّ قَادِفَةٍ تُلْقِي صَوَاعِقَهَا
 مَوْتاً يُطِيحُ بِطِفْلِ أَوْ يُمِيتُ أَبَا !
 سَلِ الرِّصَافَةَ وَالْجِسْرَ الَّذِي خَطَرَتْ
 بِهِ الْحِسَانَ وَمَنْ غَنَى وَمَنْ طَرِبَا
 هَلْ كَانَ فِيهَا هَوْلَاكُو وَهُوَ يَنْسِفُهَا
 إِلَّا مَلَكَأَ رَحِيماً رَغَمَ مَا ارْتَكَبَا !
 إِنْ يَهْدِمُوا مَا بَنَتْ أَيْدِي الْعِرَاقِ فَفِي
 حُمَاتِهِ طَاقَةٌ قَدْ تَصْنَعُ الْعَجَبَا !
 ظَنُّوا الْعِرَاقَ ذُلُولَ الظَّهْرِ مَرْكَبُهُ
 سَهْلٌ وَقَتْلَ بَنِيهِ فِي الْوَعَى لَعَبَا !
 وَرَاعَهُمْ أَنْ عَمَلَاقِياً يُوَاجِهَهُمْ
 كَاللَّيْثِ فِي غَابِهِ إِنْ يُفْتَحَمَ وَثَبَا
 عَشْرُونَ يَوْماً مَضَتْ وَالنَّارُ مُوقَدَّةٌ
 وَالْغَرْبُ لَمْ يَقْضِ مِنْ تَدْمِيرِهِ أَرْبَا
 (كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْماً لِيُوهِنَهَا
 فَلَمْ يَضِرْهَا) وَوَلَّى مُرْهَقاً تَعَبَا !
 كَانَ نَارَ خَلِيلِ اللَّهِ مُرْسَلَةً
 عَلَيْهِ بَرْدًا وَجَمَراً إِنْ رَمَوْهُ خَبَا
 كَمْ يُحَرِّقُ غَابَاتٍ لِيُخْرِجَ مِنْ
 أَجَامِهَا ثَعْلَباً فِي حُجْرِهِ اخْتَجَبَا

عَمُوا فَلَمْ يَكْشِفُوا كُبْرَى رَوَاجِمِهِ
 وَقَدْ أَذَا قَهْمُو مِنْ صَابِهَا نَغْبَا !
 فَكَمْ أَقْضَتْ قُلُوباً وَهِيَ وَاجِفَةٌ
 وَكَمْ قَضَى مُرْعَبٌ مِنْ قَصْفِهَا رُعْبَا !
 لَوْلَاكَ مَا زُلْزِلَتْ صَهْيُونُ وَانْتَكَسَتْ
 وَلَا أَحَال (حُسَيْنٌ) دُورَهَا خِرْبَا !
 لَمْ تَعْرِفِ الْغَمَضَ حَتَّى فِي مَخَابِئِهَا
 إِذَا رَأَتْ شَبْحاً لَيْلاً جَرَتْ هَرْبَا !
 غَدَاً سَنَسْجُدُ فِي الْأَقْصَى وَنُرْجِعُ مِنْ
 أَيْدِي الْعِدَى قُدْسَنَا الْغَالِي الَّذِي سَلَبَا
 غَدَاً سَنَشْهَدُ أَعْرَاساً لَأَمَّتِنَا
 وَيَوْمَ صَحُوتِهَا الْكُبْرَى الَّذِي اقْتَرَبَا
 وَنَمْسَحُ الْعَارَ عَنَّا بَعْدَ نَكْسَتِنَا
 وَنَسْتَرِدُّ مِنَ الْأُمَجَادِ مَا ذَهَبَا
 صَدَّامُ ! دَمْدِمَ فَرِيحَ النَّصْرِ قَادِمَةً
 وَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ يَمْنَحُ جُنْدَكَ الْغَلْبَا !

يَوْمَ كَانَ الزَّمَانُ

يَوْمَ كَانَ الزَّمَانُ أُنْدُلُسِيًّا
وَأَرَفَ الظِّلُ يَانِعَ الْأَغْصَانِ
حَافِلًا بِالْمُنَى الْعِذَابِ مَلِيئًا
بِالْخِيَالَاتِ وَاللَّيَالِي الْحَسَنِ
كُنْتُ كَالطَّيْرِ حَيْثُمَا شَاءَ يَلْهُو
سَاحِبًا عَبْرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
تَائِهًا فَوْقَ زُورَقِ سُنْدِبَا
دِي بِلَا مَجْدٍ وَلَا رُبَّانِ
مُعْصَمِي لَيْسَ فِيهِ قِيُودُ
وَحَيَاتِي شِعْرٌ بِلَا أَوْزَانِ !

يَوْمَ كَانَ الزَّمَانُ أُنْدُلُسِيًّا
عَرَبِيَّ السَّمَاتِ وَالْأَمْجَادِ

يَتَغَنَّى بِلَوْلُؤْ(*) مَعَ مِصْرَ
 وَيُبَاهِي بِطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ
 وَيَضِييُ الزَّمَانَ قَوْمِي بِمَا شَأْ
 دُؤَا وَمَا خَلَّدُوهُ فِي كُلِّ نَادٍ
 يَزْدَهِي الدَّهْرُ كُلَّمَا ذَكَرَ الشَّرُّ
 قُ اعْتَزَازًا بِصَانِعِ الرُّوَادِ

يَوْمَ كَانَ الزَّمَانُ أُنْدُسِيًّا
 وَخِيُولِي تَخْتَالُ فِي الْحَمَرَاءِ
 وَمَثَانِي زُرِّيَابٍ تَصْدَحُ نَشْوَى
 بَيْنَ نَاعُورَةٍ وَجَدُولِ مَاءِ
 وَقِلَاعِي الشَّمَاءِ كَالنَّسْرِ تَعْلُو
 شَامِخَاتِ الْأُبْرَاجِ فِي كِبَرِيَاءِ
 كَانَتِ الْعُرْبُ قِمَّةً فِي الْمَعَالِي
 وَمَنْارًا يَشِعُ فِي الْأَرْجَاءِ
 يَا زَمَانَ الْأَمْجَادِ هَلْ لَكَ عَوْدُ
 أَمْ أُرَانِي أَهِيْمَ كَالشُّعْرَاءِ !
 مَنْ بَكَى مَجْدَ قَوْمِهِ فَأَنَا مَنْ
 عَاشَ يَبْكِي عَلَيْهِ كَالْخَنَسَاءِ !

(*) لَوْلُؤُ : قائد الأسطول المصري في حرب الصليبيين.

عَسَى الْفَجْرُ

بَنِي الْعُرْبِ ! جَفَتْ قَوَافِي الْقَرِيضِ وَجَفَّ عَلَى شَفَتِي مَآؤُهَا !
وَلَمْ يَنْفَعِ الشِّعْرُ فِي أُمَّةٍ تَنَامُ عَلَى الضِّيمِ أَبْنَاؤُهَا
يُذْبِحُهَا الصَّرْبُ ذَبْحَ السَّوَامِ وَتَرْسُفُ فِي الْقَيْدِ أَحْيَاؤُهَا
وَتَطْرُدُ صَهْيُونُ أَحْرَارَهَا فَلَا يُغْضِبُ الْغَرْبَ إِفْصَاؤُهَا
طَغَى جُرْحُهَا فَوْقَ كُلِّ الْجِرَاحِ وَأَعْيَا مَعَالَجَهَا دَاؤُهَا !
وَبُحَّتْ حَنَاجِرُ كُلِّ الدَّعَاةِ وَقَادَ السَّفِينَةَ غَوْغَاؤُهَا
وَمَا أَرْخَصَ الدَّمُ مِنْ عَرَبِيٍّ وَأَغْلَاهُ إِنْ مَسَّ أَعْدَاؤُهَا !
بَكَتْ أُمْسِ بَغْدَادُ أَكْبَادَهَا وَزَلْزَلَتْ الْأَرْضُ أَرْزَاؤُهَا
وَنَارُ الصَّلِيبِ وَنِقْمَتُهُ عَلَى الشَّرْقِ يَعْسُرُ إِطْفَاؤُهَا !
وَمَا لِلْوَصَاةِ عَلَى أَمْنِنَا ضَمَائِرُ تَوْمَنُ أَهْوَاؤُهَا !
يُذَكِّرُنَا بِالْمَبَادِي الْكِبَارِ وَهَادِمُهَا هُوَ بَنَاؤُهَا !
فَمَنْ يَبْكُ أُمَّتَهُ بِالدُّمُوعِ فَإِنِّي فِي الْحُزَنِ حَنَسَاؤُهَا !



فَيَا أُمَّةَ الْمُعْجَزَاتِ الْكِبَارِ الَّتِي هَزَّتِ الْكَوْنَ أَصْدَاؤُهَا
مَتَى يُكْسِرُ الْقَيْدُ عَنْ مَارِدٍ وَتُجْلَى عَنِ الْعُرْبِ ظَلَمَاؤُهَا ؟
وَتَنْهَضُ مِنْ نَوْمِهَا أُمَّةٌ تَطَاوَلَ كَالدَّهْرِ إِغْفَاؤُهَا ؟
مَتَى تَسْتَرِيحُ مَرَاكِبُنَا وَيَنْعُمُ بِالْأَمْنِ مِينَآؤُهَا ؟
عَسَى الْفَجْرُ يَبْدُو فَتَرْهُوَ الْأَمَانِي وَتَعْبُقُ فِي الْكَوْنِ أَشْدَاؤُهَا
وَتَسْتَقْبِلُ الْأَرْضُ عِيدَ سَلَامٍ وَتَخْضَرُّ بِالْحُبِّ أَرْجَاؤُهَا
وَيَرْفَعُ قَوْمِي هَامَاتِهِمْ وَلَوْ أَرْعَجَ الْغَرْبُ إِعْلَاؤُهَا !

ذَكَرْتُ بَغْدَادَ

بَغْدَادَ هَارُونَ ! وَالْأَمْجَادُ شَامِخَةٌ
 تَزْهُو، وَظِلُّكَ فِي الْمَعْمُورِ مَمْدُودُ
 كَأَنَّمَا اسْمُكَ فِي الْأَسْمَاعِ أُغْنِيَةٌ
 أَوْ أَنَّهُ فِي فَمِ الدُّنْيَا أَغَارِيدُ
 أَيَّامِكَ الْبَيْضُ أَقْمَارٌ مَنْوَرَةٌ
 لِلنَّصْرِ فِيهَا إِذَا عُدَّتْ مَوَاعِيدُ
 بَغْدَادَ هَارُونَ ! وَالْإِسْلَامُ فِي صُعْدٍ
 وَالْعِزُّ فَوْقَ نَوَاصِي الْعُرْبِ مَعْقُودُ
 وَأَنْتِ جَوْهَرَةٌ فِي الشَّرْقِ غَالِيَةٌ
 وَمَنْهَلٌ كَوُثَرِي النَّبْعِ مَوْزُودُ
 لَمْ يُلْهِهِ مَنْ وَهَبُوا لِلْعِلْمِ أَنْفُسَهُمْ
 فِي ظِلِّ مَجْدِكَ غَادَاتٌ وَلَا عُودُ !
 حَضَارَةٌ شَيَّدَتْ بِالْعِلْمِ دَوْلَتَهَا
 وَلَمْ يُشَرِّعْ بِهَا لِلْعَقْلِ تَقْيِيدُ
 تَعَانَقَ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا بِهَا حَقْبًا
 وَدَبَّ فِي دِمْهَهَا خَلْقٌ وَتَجَدِيدُ
 أَنْسَامُ دِجْلَةٍ فِي آصَالِهَا عَبَقُ
 تَهْفُؤُ إِلَى نَفْحِهِ السَّارِي الْمَعَامِيدُ

كَأَنَّ زُرِّيَابَ فِي النَّيِّرُوزِ يُنْشِدُهَا
أَلْحَانَهُ، وَفَمُ الدُّنْيَا زَغَارِيدُ !
كَمْ صَدَّتِ الرُّوحَ عَنْهَا وَهِيَ شَامِخَةٌ
وَذَادَ عَنْ عِزِّهَا غُرٌّ صَنَادِيدُ !
حَتَّى اسْتَبَاحَ هَوْلًا كَو قُدْسَهَا وَعَنَّا
فِيهَا وَحَلَّتْ بِهَا أَيَّامُهُ السُّودُ !
وَغَابَ عَنْهَا بَنُو الْعَبَّاسِ وَانْطَرَدُوا
وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَطْرُودُ !
كَأَنَّمَا لَمْ يَكُونُوا دَوْلَةً حَكَمَتْ
أَقْوَى الشُّعُوبِ فَقَادُوهَا وَمَا اقْتِيدُوا



ذَكَرْتُ بَغْدَادَ وَالْأَهْوَالَ كَالْحَاخَةِ
كَأَنَّهَا قَدَرٌ لِلْعَرْبِ مَرْصُودُ
لَمْ يُجِدِ فِي لَمَّهَا مَا شِيدَ مِنْ قِمَمِ
وَلَمْ يُفِدِ فِي التَّحَامِ الصِّفِّ مَجْهُودُ
وَلَا اسْتَقَامَ لَهَا أَمْرٌ يُورِقُهَا
وَلَمْ يُحَقِّقْ لَهَا بِالْخُلْفِ مَقْصُودُ
مَا الدِّينُ مَا الضَّادُ مَا الْقُرْبَى إِذَا عَجَزَتْ
عَنْ جَمْعِنَا وَهِيَ فِي الْجَمْعِ الْأَسَانِيدُ !

كَأَنَّ مَا بَيْنَ أَهْلِينَا وَإِخْوَتِنَا
بَابٌ، بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ مَسْدُودٌ !
كَمْ مِنْ بَشَائِرِ هَلَّلْنَا لِطَلْعَتِهَا
كَأَنَّهَا بَعْدَ طُولِ الْعُقْمِ مَوْلُودٌ !
كَانَتْ كَبَارِقَةٍ مَرَّتْ بِلَا مَطَرٍ
لَمْ تُرَوْ مِنْ وَيْلِهَا وَاحٍ وَلَا بَيْدٌ
مَا كَانَ لِلشَّرْقِ أَنْ يَنْسَى قِيَادَتَهُ
لِلْغَرْبِ وَهُوَ أَسِيرُ الْجَهْلِ مَصْفُودٌ
وَلَيْسَ يُعْقَلُ أَنْ يَبْقَى لَهُ ذَنْبًا
يُخِيفُهُ مِنْهُ إِنْذَارٌ وَتَهْدِيدٌ
يَحْيَا عَلَى صَدَقَاتِ الْغَرْبِ مُعْتَمِدًا
وَلَيْسَ فِي طَبْعِهِ نَبْلٌ وَلَا جُودٌ
يَا أُمَّةَ الْعُرْبِ كَادَ الْيَأْسُ يَقْتُلُنَا
وَالصَّبْرُ لَأَشَكَّ مَحْمُودٌ وَمُخْدُودٌ
خَيْرَاتُ أَرْضِكَ قَدْ عَادَتْ مَنَاجِمُهَا
مَوْتًا، وَمِنْ حَوْلِهَا حِقْدٌ وَبَارُودٌ !
وَفِي بَيْنِكَ رَجَالٌ لَا يُرَوِّعُهُمْ
هَوْلٌ مَسَاعِيرُ فِي الْهَيْجَا إِذَا نُوْدُوا
لَا تَقْتُلِي أَمَلًا مَازَالَ يُنْعِشُنَا
بَطِيفِهِ فَصَرِيحُ الْيَأْسِ مَفْقُودٌ !

فَجِيعَةٌ مِصْرُ

بِأَيِّ فَاجِعَةٍ يَامِصْرُ لَمْ تُصَبِّ ؟
مَآئِنَاكِ الْيَوْمَ يُنْسِي أَفْطَعَ النُّوبِ
رُزْءُ لِرَجَّتِهِ الْأَهْرَامُ قَدْ ذُعِرَتْ
لَوْلَا تَجَلُّدُهَا انْهَارَتْ مِنَ الرُّعْبِ
لَوْ كَانَ صُنْعَ عَدُوِّ مَا مُنِيتَ بِهِ
عَاجِلَتِهِ بِعَقَابٍ غَيْرِ مُرْتَقَبِ
لَكِنَّهَا أُمْنَا الْأَرْضِ الَّتِي غَضِبَتْ
وَالْأَرْضُ تَهْتَزُّ أَحْيَاناً مِنَ الْغَضَبِ !
هَدَّتْ بِهَا قِمَمَ الْعُمَرَانِ شَامِخَةً
وَدَمَّرَتْ كُلَّ مَرْفُوعٍ مِنَ الْقِبَبِ
تَوَاضَعَتْ بَعْدَ مَا كَانَتْ شَوَامِخُهَا
تَكَادُ تَحْمِلُ مَنْ فِيهَا إِلَى السُّحُبِ !
وَحَوَّلَتْهَا رُكَّاماً مُرْعِباً وَرُبِيَّ
شَوْهَاءَ تَحْضُنُ مَوْتَاهَا بِلَا حَدَبِ
كَمْ مِنْ شَبَابٍ وَمِنْ شَيْبٍ هَوَتْ بِهِمُو
فِي لَحْظَةٍ وَطَوَّتْهُمْ طَيِّ مُسْتَلَبِ
مَنْ لَمْ يَمُتْ تَحْتَ أَنْقَاضِ بِهِزَّتِهَا
أَلْقَى بِأَنْفَاسِهِ مِنْ هِزَّةِ الرُّعْبِ !

قَدْ أَوْسَعَتْ دُورَهَا هَدْمًا وَزَلْزَلَةً
 وَغَادَرَتْهَا كَأَجْسَامٍ بِلَا عَصَبٍ !
 دَبَّتْ لِمِصْرَ أَفَاعِيهَا مُدَاهِمَةً
 وَمَنْ تُدَاهِمُهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْعَطَبِ
 وَالْأَرْضُ حُبْلَى وَفِي أَرْحَامِهَا نُطْفٌ
 هَذِي الْكَوَارِثُ مِنْهَا أَكْبَرُ الْعَجَبِ !
 بُعْدًا لِزَائِرَةٍ لَمْ تَأْتِ فِي خَفَرٍ
 لَيْلًا وَلَمْ تَزِرِ الْأَحْبَابَ فِي حُجْبٍ !
 تَمْضِي كَأَسْوَأِ مَا تَأْتِي مُخْلَفَةً
 وَرَاءَهَا كُلَّ مَفْجُوعٍ وَمُكْتَنَبٍ



يَارُبَّ أُمَّ طَوْتَهَا وَهِيَ حَانِيَةٌ
 عَلَى ابْنِهَا، وَيَتِيمٍ عَاشَ دُونَ أَبٍ
 وَرُبَّ شَيْخٍ طَوْتُهُ الْأَرْضُ وَهُوَ عَلَى
 تُرَابِهَا سَاجِدٌ يَجْتُو عَلَى الرُّكْبِ
 وَمَحْفِلٍ كَانَ بِالْأَضْوَاءِ مُؤْتَلِقًا
 وَبِالْمَبَاهِجِ يَحْيَاهَا وَبِالطَّرَبِ
 قَدْ انْطَفَأَ النُّورُ فِي أَبْهَائِهِ وَبَكَى
 غُرَابٌ بَيْنَ عَلَى إِيوَانِهِ الْخَرِبِ

مُصَابٌ مِصْرَ إِذَا عُدَّتْ فَجَائِعُهَا
بِمِثْلِهِ لَمْ تُصَبْ يَوْمًا وَلَمْ تُنَبْ
مُصَابُهَا قَدَرٌ فِي طِيهِ عِبَرٌ
وَجُرْحُهَا دَمُهُ مِنْ مُهْجَةِ الْعَرَبِ
مِصْرُ الَّتِي فِي سَوَادِ الْقَلْبِ مَوْقِعُهَا
مِصْرُ الْبُطُولَاتِ وَالْعِرْفَانِ وَالْأَدَبِ
ضَمَّتْ حَضَارَاتٍ مَنْ كَانُوا عَمَالِقَةً
وَوَاكَبُوا النِّيلَ وَالْأَهْرَامَ فِي الْحَقَبِ
أَرْضُ الْمَوَاهِبِ وَالْإِبْدَاعِ مَا فَتِنَتْ
تُعْطِي الرِّوَائِعَ مِنْ أُنْبَاءِهَا النُّجَبِ
قَدْ ضَمَّتِ الْمَجْدَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَمَشَتْ
مَرْقُوعَةَ الرَّأْسِ فِي أَثْوَبِهَا الْقُشْبِ
تَلَفَّعَتْ بِرِدَاءِ الْمَجْدِ وَانْتَصَبَتْ
فِي الشَّرْقِ عِمْلَاقَةً تَرْنُو إِلَى الشُّهْبِ
شَادَتْ بِأَمْجَادِهَا أَهْرَامَ يَغْرُبْنَا
بِالْعِلْمِ وَالْفِكْرِ لَا بِالصَّخْرِ وَالْخَشْبِ !



ذَكَرْتُ فِيهَا صَلَاحَ الدِّينِ خَافِقَةً
رَايَاتُهُ فَوْقَ جَيْشِ عَارِمٍ لَجِبِ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَعْلُو فِي كَتَائِبِهِ
كَأَنَّهَا الرُّعْدُ فِي الْأَكَامِ وَالْهَضْبِ
يَسْعَى إِلَى الْقُدْسِ فِي شَوْقٍ لِيُنْقِذَهَا
بِجَيْشٍ مِصْرَ مِنَ الرُّهْبَانِ وَالصُّلْبِ
أَعْلَى رُؤُوسَ بَنَى الْإِسْلَامِ وَانْقَلَبَتْ
فُلُولُ أَعْدَائِهِ خَزْيٌ عَلَى الْعَقَبِ !

* ● *

وَيُسْأَلُ الدَّهْرُ عَنْ مِصْرٍ فَيَذْكُرُ مَا
قَدْ قَدَّمَتْ مِصْرٌ لِلْإِسْلَامِ مِنْ قَرَبٍ
أَلَمْ يُضِيءْ فِي لَيَالِي الشَّرْقِ أَزْهَرُهَا
وَالْغَرْبِ بِالْجَهْلِ وَالْإِلْحَادِ فِي صَخَبٍ ؟
أَلَمْ تَكُنْ مُلتَقًى لِلْفِكْرِ يَقْصِدُهَا
رُؤَادُهُ مِنْ أَقْصَا الْأَرْضِ فِي خَبَبٍ ؟
كَانَتْ لِيَعْرُبَ قَلْباً نَابِضاً وَيَدَا
تَشُدُّ مِنْ أَزْرِهَا فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ
أَبْطَالُ (بَارْلَيْفَ) فِي سِنَاءٍ قَدْ كَتَبُوا
مَلَاحِمًا بِمِدَادِ الْفَخْرِ وَالذَّهَبِ !
قَرَّتْ بِهِمْ أَعْيُنٌ كَانَتْ مُوَرِّقَةً
وَبَيَّضُوا بِدِمَاهِمُ أَوْجَهُ الْعَرَبِ !

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ صَهْيُونٍ فَانْقَلَبَتْ
إِلَى الْجُحُورِ وَنَارُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ
وَهَرَوَلَ الْغَرْبُ مُرْتَاعاً لِنَجْدَتِهَا
وَلَا بَقَاءَ لِحَيَّاتٍ بِلَا ذَنْبٍ !
إِنْ تَبُعْدِ الدَّارُ عَنْ مِصْرٍ وَإِخْوَتِهَا
فَمِصْرٌ فِي الْقَلْبِ لَمْ تَبُعْدَ وَلَمْ تَغِبْ !
بَلَوَاكِ أَكْبَرُ أَنْ تُنْسَى بِتَسْلِيَةٍ
تَأْتِيكِ فِي الشَّعْرِ أَوْ تَأْتِيكِ فِي الْخُطْبِ
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ أَكْبَادٌ فَجَعَتْ بِهَا
وَفِي الْفَرَادِيسِ تَلْقَى خَيْرَ مُنْقَلَبِ
شَيَعَتِهَا بِدُمُوعِ الْحُزَنِ هَامِيَةٍ
وَمِنْ وَرَائِكَ دَمْعُ الْعُرْبِ فِي صَبَبِ
هَذِي رِسَالَةٍ حُبٍّ ! كُلُّ قَافِيَةٍ
يُطْلُ مِنْهَا حَزِينٌ جِدُّ مُنْتَحِبِ
يَمُدُّ نَحْوَكَ أَيْدِيَهُ مُوَاسِيَةً
وَلَوْ يُطِيقُ أَتَى زَحْفاً عَلَى الرِّكْبِ !

المَذْبَحَةُ

هَلِ الْخَلِيلُ خَلِيلٌ يَسْتَغِيثُ بِهِ
وَقَدْ عَثَا فِيهِ أَوْغَادُ مَلَاعِينُ !
قَدْ رَوَعَ الشَّرْقُ فِيهِ شَرُّ مَذْبَحَةٍ
لَا تَرْضِيهَا حَضَارَاتُ وَلَا دِينُ !
مَشَوْا لِمَسْجِدِهِمُ وَالْمَوْتُ يَكْمُنُ فِي
سَاحَاتِهِ مِثْلَمَا تَمْشِي الْقَرَابِينُ !
جَتَى إِذَا سَجَدُوا لِلَّهِ دَاهَمَهُمْ
مَوْتُ كَأَنِّي بِهِ فِي الْهَوْلِ طَاحُونُ
لَا جَرَى بِهِ الدَّمُّ شَالَاً تَدْفَقُ فِي
أُبْهَائِهِ وَارْتَوَتْ مِنْهُ مَيَادِينُ !
لَمْ تَرْتَفِعْ هَامَةً مِنْهُمْ وَلَا انْتَصَبَتْ
لَهُمْ جُسُومٌ عَثَتْ فِيهَا السَّرَاطِينُ !
سَعَوْا إِلَيْهِمْ وَجُنَحَ اللَّيْلِ يَسْتَرْهُمْ
عَنِ الْعُيُونِ كَمَا تَسْعَى الثَّعَابِينُ !
لَمْ يَقْدُرُوا قَدْرَ بَيْتٍ لَا يُدْنِسُهُ
إِلَّا مَلَا حِدَّةً هُوجَ مَجَانِينُ !
كَانُوا سُجُوداً وَكَانُوا فِي طَهَارَتِهِمْ
مَلَائِكاً فَرَعَتْ مِنْهَا الشَّيَاطِينُ !

نَارِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ هَتْلِيرُ مُبْدِعِهَا
 فَهُمْ عَبَاقِرَةٌ فِيهَا دَهَاقِينُ !
 بِالْأَمْسِ كَانُوا بُغَاثًا لَا جَنَاحَ لَهُمْ
 وَالْيَوْمَ أَحْفَادُ كِسْرَى أَوْ فَرَاعِينُ !
 ضَجَّ الْخَلِيلُ وَلَمْ تَهْدَأْ مَاتِمُهُ
 وَكُلُّ بَيْتٍ بِهِ حُزْنٌ وَمَحْزُونُ
 قَدْ وَدَّ دَافِنُ أَهْلِيهِ وَإِخْوَتِهِ
 لَوْ أَنَّهُ مَعَهُمْ فِي التُّرْبِ مَدْفُونُ !
 يَا صَائِمِينَ ! رِحَابُ اللَّهِ مَائِدَةٌ
 أَشْهَى وَأَطْيَبُ فِيهَا الْخُرْدُ الْعَيْنُ
 وَثُرُوءٌ مِنْ نَعِيمٍ لَا حُدُودَ لَهُ
 يَحْظَى بِهَا الْغُرُّ مِنْكُمْ وَالْمَيَامِينُ !
 وَثُورَةُ النَّصْرِ لَا تَحْيَا بِغَيْرِ دَمٍ
 يَسْقِي ثَرَاهَا كَمَا تُسْقَى الْأَفَانِينُ



أَلَا نَغَارُ وَقَدْ دَيْسَتْ مَحَارِمُنَا
 وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ أَعْدَادُ مَا لَا يِينُ !
 وَمَنْ نَكُونُ ؟ إِذَا ضَاعَتْ كِرَامَتُنَا
 وَمَنْ نَكُونُ ؟ إِذَا مَا اعْتَادَنَا الْهُونُ ؟

وَهَلْ سَيُجِدِي ضَحَايَانَا تَقْجُعُنَا

أَوْ أَنْ مَنْ حَصَدُوا أَرْوَاحَنَا دِينُوا !

أَيْنَ الْعَدَالَةُ ؟ إِنَّ زَاغَتْ مَحَاكِمُهَا

عَنْهَا وَلَمْ تَسْتَقِمْ فِيهَا مَوَازِينُ !

مَنْ قَادَ مَذْبَحَةً أَوْ هَدَّ مَعْلَمَةً

جَازَوْهُ عَنْهَا وَقَالُوا عَنْهُ مَا فُؤُونُ !

وَكَيْفَ تَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى يَدِنَا

تَرْجُو السَّلَامَ وَفِي الْأَيْدِي سَكَكِينُ !

وَلَيْسَ مَنْ يَحْمِلُ الرَّشَّاشَ فِي يَدِهِ

كَمَنْ بِأَيْدِيهِ زَيْتُونٌ وَنَسْرِينُ !

مَنْ شَكَّ فِي خُلُقِ صَهْيُونٍ وَشِيعَتِهَا

فَفِي مَذَابِحِهَا الْكُبْرَى الْبَرَاهِينُ !

عَلَى رُفَاتِ ضَحَايَانَا عَمِيمٌ رَضَى

مِنْ رَبِّهِمْ تَتَلَقَّاهُمْ رِيَاحِينُ

وَالْعُرُوبَةُ وَالْإِسْلَامُ تَغْزِيَةٌ

مِنْ شَاعِرِ قَلْبُهُ دَامَ وَمَحْزُونُ

عَوْدَةُ الْجُسُورِ

تحية إلى مؤتمر رابطة علماء المغرب والسينغال الذي انعقد بداركار.

* ● *

اعْبُرُوا الْبَحْرَ وَامْتَطُوا الْأَفَاقَا
وَتَنَادُوا إِلَى الْإِخَاءِ سِبَاقَا
قَدَرُ اللَّهِ أَنْ نَعُودَ كَمَا كُنَّا
نَا وَأَنْ نَهْتَدِيَ وَأَنْ نَتَلَقَى
لِنُعِيدَ الْجُسُورَ أَقْوَى وَنُعْلِي
عَلَمَ الْبُيُوتِ وَالْهَدَى خَفَّاقَا
يَوْمَ شِدْنَا صَرْحَ الْعُرُوبَةِ بِالْحُ
سْبِ وَسِرْنَا أَحِبَّةً وَرِفَاقَا
وَارْتَبَطْنَا بِهِ فَكَانَ رَبَاطَا
لَمْ يَزِدْنَا بِالطُّهْرِ إِلَّا عِنَاقَا
إِنْ شَكَا فِي (دَكَار) شَعْبٌ وَعَانَى
هَزَّ مِنْهُ الْوُجْدَانُ وَالْأَعْمَاقَا
وَحُدَّةُ الدِّينِ وَالْمَشَاعِرُ لَا تَبْـ
لَى، وَشُعْبَانِ جَدَّدَا الْمِيثَاقَا
لَمْ يَنْلُ حُبَّنَا فَتُورٌ وَمَا زَالَ
لَ مَعَ الدَّهْرِ مُشْرِقًا دَفَاقَا

صَافِي النَّبْعِ كَالزُّلَالِ شَرِبْنَا
هُ فَأَرْوَى قُلُوبَنَا رَقْرَاقًا
لَمْ يَكُنْ بَعْدُنَا جَفَاءَ وَلَا كَأَنَّ
نَ انْفِصَامًا لَوَدِنَا وَطَلَاقًا !
شَبَّ كَالنَّبْتَةِ الصَّغِيرَةِ حَتَّى
طَاوَلَ الدَّهْرَ وَأَسْتَوَى عِمْلَاقًا
جَمَعْتُنَا أَوَاصِرُ الدِّينِ وَالْقُرْ
بَى وَلَا شَيْءَ كَالنِّضَالِ وَثَاقًا
قَدْ بُلِينَا كَمَا ابْتَلَيْتُمْ فَتْرَنَا
وَأَنْتَفَضْنَا نُحْطُمُ الْأَطْوَاقًا
وَبَذَلْنَا دِمَاءَنَا بِسَخَاءٍ
لَيْسَ نَخْشَى فِي بَذْلِهَا إِمْلَاقًا
وَكَتَبْنَا مِنَ الْمَلَأِجِمِ أَسْفَا
رًا تُحَلِّي أَمْجَادَهَا الْأُورَاقًا
أَطْرَقَ الدَّهْرُ يَوْمَ تَارَ بَنُونَا
وَتَحَدَّوْا أَعْدَاءَهُمْ إِطْرَاقًا !
يَوْمَ وَافَى لِلْفَتْحِ عُقْبَةُ يَدْعُو
لِلْهُدَى كَانَ مَغْرِبِي السَّبَّاقَا !
مَدَّ أَيْدِيهِ نَحْوَكُمْ وَمَدَدْتُمْ
لِبَيْنِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَعْنَاقَا !

لَيْسَ غَيْرُ الْإِسْلَامِ دِينًا يُعَادِي
 نَزْعَةَ الْحَقِّدِ وَالْهَوَى وَالشَّقَاقَا
 يَرْفَعُ النَّاسَ بِالتَّقَى وَبِنُورِ الْ—
 —عِلْمٍ مَهْمَا تَقَاوُتُوا أَرْزَاقَا
 وَيُشِيعُ السَّلَامَ وَالْعَدْلَ فِي الْأَرْ—
 ضِ وَيَأْبَى الْأَذَى وَالْأَسْتِرْقَاقَا

* ● *

نَحْنُ فِي عَالَمٍ تَنَكَّرَ لِلدِّينِ ...
 نِ وَأَهْلِيهِ وَاسْتَبَاحَ النِّفَاقَا
 وَتَعَدَّى طُغَاتُهُ كُلَّ حَدٍ
 وَتَهَاوَتْ ضِعَافُهُ إِرْهَاقَا
 نَحْنُ فِي غَابَةِ يُصَارِعُ فِيهَا
 مَنْ تَحَدَّى سِبَاعَهَا وَأَطَاقَا !
 وَعَلَى مَرْكَبٍ تُؤْرِجُّهُ الْأُمُ—
 وَاجٌ يَخْشَى رُكَّابُهُ الْإِغْرَاقَا
 رَقَدَ الشَّرْقُ حِقْبَةً عَاشَ فِيهَا
 وَهُوَ حُرٌّ - مُسْتَعْبِدًا وَمُعَاقَا
 وَنَرَاهُ بَعْدَ الْجِرَاحِ وَعَهْدِ الرِّ—
 قِ قَدْ عَادَ رُشْدُهُ وَاسْتَفَاقَا

فَلْنُوحِّدْ جُهِودَنَا وَلْنَعِدْ مَا
 ضَاعَ مِنَّا وَلْنَمْسَحِ الْآمَاقَا
 فَبَغْيِرِ الْإِسْلَامِ لَنْ نَرْفَعَ الصَّرْ
 حَ وَلَنْ نَعْرِفَ الْإِخَا وَالْوِفَاقَا
 وَبَغْيِرِ الْإِسْلَامِ لَنْ يَعْرِفَ الْعَا
 لَمُ سَلْمًا وَلَيْسَ يُلْقَى انْعِتَاقَا
 وَلْنَعِدْهَا سَمَحَاءَ تَنْتَظُمُ الشَّمُ
 وَلَ وَتَطْوِي الْحُدُودَ وَالْآفَاقَا
 بَارَكَ اللَّهُ قَائِدِينَا فَكُلُّ
 قَدْ أَرَانَا مِنْ فَيْضِهِ إِغْدَاقَا
 عَبَّاءَ لِإِسْلَامِ صَفُوتَهُ الْمُثُ
 لَى لِيَزْدَادَ فَيْضُهُ إِشْرَاقَا
 أَتَمَنَّى يَوْمًا نَعِيشُ بِهِ عُرُ
 سَ انْتِصَارِ نُطِيلُ فِيهِ الْعِنَاقَا !



تَهْنِئَةٌ

قَرَرْتُ بِمَوْلِدِكَ السَّعِيدِ الْأَعْيُنُ
وَشَدَّتْ بِمَا شَادَتْ يَدَاكَ الْأَلْسُنُ
مَا كَانَ إِلَّا مَوْلِداً لِمَمْلَكٍ
حَسَنِ السَّجَايَا فِي الضَّمَائِرِ يَسْكُنُ
مِثْلَ الرَّبِيعِ افْتَرَّ عَنْ إِشْرَاقِهِ
فَاخْضَوْضَرَتْ مِنْهُ الرُّبَى وَالْأَغْصُنُ
وَالزَّهْرُ فَاحَ فَأَنْعَشَتْ أَشْذَاؤُهُ
وَالصُّبْحُ يَطْرُدُ نُورَهُ مَا يُحْزِنُ
الْمُلُكُ فِيكَ أَمَانَةٌ وَرِسَالَةٌ
وَالْمَجْدُ فِي أَرْحَامِ طُهْرٍ يَكْمُنُ
وَهَوَاكَ فِي الْأَعْمَاقِ فَاقَ خَفِيَّتُهُ
مَا نَحْنُ نُبُودِيهِ إِلَيْكَ وَنُعْلِنُ !
جَادَتْ بِكَ الْأَيَّامُ وَهِيَ ضَنِينَةٌ
فَأَتَى عَلَى يَدِكَ الْمَحَالُ الْمُمَكِّنُ !
لَسْنَا نُبَالِي بِالزَّمَانِ وَإِنْ أَسَا
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ إِذَا أَسَا مَنْ يُحْسِنُ !

السَّبْعُونَ ... !

وَتَصْنَعُ مِنْ مَحَاسِنِنَا الْعُيُوبَا !
وَتَجْعَلُ كُلَّ مُخْضَلٍ جَدِيدَا
وَعَانَقْتُ الْأَسَى فِيهَا ضُرُوبَا
وَأَحْيَانَا سَقَتْنِيهَا لَهْيَا !
وَلَا أَحْزَانُهَا عَرَفْتُ نَضُوبَا
لِنُذْرِكَ بَعْدَهَا الْقَدَرَ الرَّهْيَا !
قَطَعْتَ بِهِ الْمَسَالِكَ وَالْدُّرُوبَا
مِنَ الْأَكْدَارِ يَوْمًا أَوْ تَطْيِيَا !
وَضَوْءُ الشَّمْسِ يُوشِكُ أَنْ يَغْيِيَا
أَبُونَا آدَمَ إِلَّا لَعُوبَا !

هِيَ السَّبْعُونَ ! تَغْتَصِرُ الْقُلُوبَا
تُحِيلُ رِيَاضَنَا الْخَضِرَاءَ قَفْرَا
عَبَرْتُ بِهَا عِبَابَ الْعُمَرِ قَسْرَا
وَأَسَقَّتْنِي كُؤُوسَ الشَّهْدِ أَنَا
فَلَا أَفْرَاحُهَا الْوَمَضَاتُ دَامَتْ
تُغْذِي بِنَا اللَّيَالِي مُسْرِعَاتِ
وَقَالُوا : طَابَ عَيْشُكَ بَعْدَ عُمُرِ
وَمَا كَانَتْ مَشَارِبُنَا لِتَصْفُو
وَحَبْلُ الْعُمَرِ يَقْصُرُ كُلَّ يَوْمٍ
وَدُنْيَا لَمْ تَكُنْ مُذْ عَاشَ فِيهَا

أَنْسَتْ بِهِ فَأَحْبَبْتُ الْمَشِييَا
نَدِيَّاتٍ وَمَوْسِمَهَا الْحَبِييَا !
وَلَا أَشْكُو فُتُورًا أَوْ لُغُوبَا
وَنَبْضًا لَمْ يَعُدْ نَبْضًا رَتِييَا
وَحَدَّدَ لِي السَّوَائِلَ وَالْحُبُوبَا
أَرَاهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُصِييَا
وَضَغِطَ دَمَ بَجَلَطَتِهِ أَصِييَا !
بِمَرْكَبِهِ وَوَجَّهَتْ الْخُطُوبَا
إِذَا مَا الْمَوْتُ كَانَ هُوَ الطَّيِيَا !

وَكُنْتُ أَخَافُ هَذَا الشَّيْبَ حَتَّى
يُذَكِّرَنِي زُهُورَ الرُّوضِ بِيضَا
وَكُنْتُ أَسِيرُ مُنْتَصِبًا سَوِيَا
شَكَوْتُ إِلَى طَبِيبِي ضَعْفَ قَلْبِي
فَأَوْصَانِي بِمَا لُقْمَانُ أَوْصَى
وَعُدْتُ إِلَيْهِ أَشْكُو مِنْ دَوَاءِ
فَقَالُوا : مَاتَ مِنْ نَبْضَاتِ قَلْبٍ
تَرَكْتُ الْقَلْبَ لِلْأَقْدَارِ تَجْرِي
فَمَا حِرْصِي عَلَى عُمْرِي بِمُجْدٍ

هِيَ السَّبْعُونَ ! مَرَّتْ حُبَلَيَاتِ
رَأَتْ عَيْنَايَ فِيهَا كُلَّ بَدَعٍ
وَلَكِنْ أَسَى عَلَى مَا مَرَّ مِنْهَا
وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ صَبَايَ فِيهَا
صَبَاً كَانَتْ رِيَاضاً مِنْ جَنَانٍ
غَفَّتْ عَيْنُ الزَّمَانِ فَلَمْ تَرُ عَنَا
طَوَيْتُ بِهَا صَحَائِفَ مِنْ كِتَابٍ
وَنَحْتُ عَلَى رِفَاقٍ وَدَّعُونِي
وَلَمْ أَكْ رَأْيِي إِيَّاهُ إِلَّا لِنَفْسِي
مَضُوا قَبْلِي فَأَوْحَشَتِ الْمَغَانِي
وَأَخْرَسَتِ الْمَنِيَّةُ كُلَّ شَادٍ
وَمَا تَصْفِرُ فِينَا الشَّمْسُ إِلَّا

هِيَ السَّبْعُونَ ! قَاطِرَةٌ مَشَتْ بِي
وَمِنْ حَوْلِي ذُنَابٌ فِي ثِيَابٍ
وَمَنْ يَرْكُنُ إِلَى قِيمٍ وَخَلَقِ
وَمَا بَيْنَ التَّمَزُّقِ فِي حَيَاةٍ
تَحِسُّ وَحَوْلَكَ الدُّنْيَا جَمَادٍ

بِكُلِّ عَجِيْبَةٍ وَلَدَتْ عَجِيْبَا !
وَذَقْتُ الصَّفْوَةَ فِيهَا وَالْمَشُوبَا
فَإِنَّ لَهَا بِأَعْمَاقِي نُذُوبَا !
وَإِخْوَانَا كَرِيَّ الزَّهْرِ طَيِّبَا
شَدَوْتُ بِهَا طَلِيقاً عُنْدَلِيْبَا
بِمَكْرُوهِهِ، وَلَمْ تُوقِظْ رَقِيْبَا !
سَتَتَلَّوْهَا بِقَايَاهُ قَرِيْبَا
وَقُمْتُ عَلَى مَقَابِرِهِمْ خَطِيْبَا
وَلَمْ أَكْ فِي مَرَاتِيهِمْ كَذُوبَا
وَأَصْبَحَ رَوْضُهَا الرَّاهِي كَثِيْبَا
بِهِ قَدْ كَانَ صَدَاحاً طَرُوبَا !!
لَتُوْذَنَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا غُرُوبَا !!

إِلَى الْمَجْهُولِ تَخْتَرِقُ الْغُيُوبَا
وَعِيْلَانٌ تَعُوْدَتِ الْوُثُوبَا !
يَعِشُ فِي عَالَمِ الْغَوْغَا غَرِيْبَا
وَبَيْنَكَ غَيْرَ أَنْ تَحْيَا أُدْيِيْبَا !!
وَيَصْهَرُكَ الْأَسَى حَتَّى تَذُوبَا !!

تطوان 1992/11/27

مَلِكُ الشَّبَابِ

مَلِكُ الشَّيْبِ وَالشَّيْبَةِ وَالْحَا
وَرَسُولُ السَّلَامِ وَالْحُبِّ وَالِدًا
هَذِهِ فَرْحَةُ الشَّبَابِ وَهَذَا
يَتَغَنَّى فِي كِبَرِيَاءِ بِمَا قَدْ
مُسْتَنِيرًا بِنُورِ عَقْلِكَ فِي السَّيِّ
مُسْتَمِدًّا مِنْكَ التَّحْدِيَّ وَالْإِيـ
أَنْتَ عَلِمْتَهُ الثَّبَاتَ وَقَدْ وَآ
وَرَأَى فِيكَ عَآهِلًا وَطَنِيًّا
بَهْرَتُهُ مَاثِرٌ لَكَ تَبْدُو
تَمْلَأُ الْعَيْنَ وَالْفُؤَادَ وَتَبْقَى
مَا رَأَهَا حَتَّى رَأَى الْـ

مِي لِهَازِي الدِّيَارِ مِنْ كُلِّ عَادٍ
عِي لِحَقْنِ الدِّمَاءِ فِي كُلِّ نَادٍ
عِيْدُهُ الْمُصْطَفَى مِنَ الْأَعْيَادِ !
شَادُهُ عَرْشُهُ مِنَ الْأَمْجَادِ
رِ مُجِيئًا نِدَاكَ حِينَ تُنَادِي
مَانٍ وَالصَّبْرَ فِي الْخُطُوبِ الشِّدَادِ
جَهْتَ - شَهْمًا - فَجِيعَةُ الْإِبْعَادِ
وَحُسَامًا مُجَرَّدًا فِي الْجِهَادِ
شَامِخَاتٍ وَطِيْدَةَ الْأَوْتَادِ
خَالِدَاتٍ عَلَى مَدَى الْأَبَادِ
غَدَ بَسَامًا مُطِلًّا بِالْيَمْنِ وَالْإِسْعَادِ

* *

جُنْ هَذَا الشَّبَابُ يَوْمَ نُفَيْتُمْ
وَسَقَى الْأَرْضَ ثَائِرًا بِدِمَاءِ
أَشْعَلُوهَا حَمْرَاءَ تَقْتَلِعُ الْبَغْ
فَجَرُّوْهَا انْتِفَاضَةً تُشْبِهُ السَّيِّ
وَتَحَدُّوا بِالتَّضَحِيَّاتِ عَدُوًّا
ظَنَّ أَنَّ الشَّبَابَ يُرْهِبُهُ الْقَمُـ
رَاعَهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَهَابُـ

وَارْتَدَى بَعْدَكُمْ ثِيَابَ الْحِدَادِ !
كَالْقَرَابِينِ ضَرَجْتَ كُلُّ وَادٍ
يِ وَكَانَتْ مِنْ قَبْلِ تَحْتَ الرَّمَادِ !
لِ وَتَحْكِي الرِّيَّاحُ فِي قَوْمِ عَادِ !
يَتَبَاهَى بِمَا لَهُ مِنْ عَتَادِ
عُ وَيَخْشَى مَقَامِعَ الْجَلَادِ !
هُ وَأَنَّ الْأَحْفَادَ كَالْإِجْدَادِ

فِي دِمَاهُمْ أَوْ طَارِقَ ابْنُ زِيَاد !
 بِالزَّغَارِيدِ وَالْهَتَافِ الْمُعَادِ !
 قَدَّمْتُهُ ضَحِيَّةً لِلْبِلَادِ
 مِنْهُلًا مِنْهُ يَرْتَوِي كُلُّ قَادِ
 أَرْهَقْتُهُ سَلَاسِلَ الْأَصْفَادِ
 تِ وَأَعْلَى الصُّرُوحِ لِلْأَكْبَادِ
 بِسَنَاهَا مَوَاكِبَ الرُّوَادِ
 بِكَ أَيَّامُنَا إِلَى بَغْدَادِ !
 حَقَّقْتُهُ الْبَنَاتُ مِنْ أُمَجَادِ
 نَتَّ تَبَاهِي بِالْحَلَى وَالْأَبْرَادِ !
 وَصَحْتُ بَعْدَ حِقْبَةٍ مِنْ رُقَادِ
 أَيَّ صَرْحٍ يُبْنَى بِغَيْرِ عِمَادِ ؟

*

رَ وَتَشْدُو مَعَ الشَّبَابِ الشَّادِي
 لَمْ يَزَلْ يَشْتَكِي مِنَ الْإِبْعَادِ
 يَرَا يَكْسِرُ الصَّخْرَ بَادِي الْإِجْهَادِ
 سَى بَيْنَ عُشَاقِهَا مِنَ الْعُبَادِ !
 كُلُّ شَيْخٍ لَوْ كَانَ فِي الْمِيلَادِ !
 مَ تَحْدَى كَمَا تَحْدَى الْمُنَادِي
 لِلنَّخِيلِ الْمَخْضُوضِ الْمِيَادِ
 وَتَوَارَى عَهْدٌ بِغَيْضِ السَّوَادِ
 رَبُّضُوا فِي الْحُدُودِ كَالْآسَادِ

نَسَبٌ مِنْ دِمَاءِ عُقْبَةٍ يَجْرِي
 تَتَلَقَّى نَعِيَّهُمْ كُلُّ أُمِ
 وَتُبَاهِي لِدَاتِهَا بِشَهِيدِ
 أَنْتَ عَلَّمْتَهُ الْفِدَاءَ فَأُضْحَى
 وَمِثَالاً لِكُلِّ شَعْبٍ أُسِيرِ
 أَنْتَ مَنْ شَادَ لِلشَّبَابِ مَنَارَا
 فَتَجَلَّتْ كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرُ تَهْدِي
 وَازْدَهَتْ دَوْلَةُ الْعُلُومِ وَعَادَتْ
 وَتَمَنَّتْ حَوَاءُ لَوْ عَايَنْتَ مَا
 تَتَبَاهَى بِالْعِلْمِ وَهِيَ الَّتِي كَا
 بِكَ عَادَتْ شَيْئاً وَلَمْ تَكْ شَيْئاً
 مَا لِشَعْبٍ بِلَا شَبَابٍ بَقَاءُ

*

لَكَأَنِّي أَرَاكَ تَقْتَلِعُ الصَّخْرَ
 وَتُسْقُ الطَّرِيقَ نَحْوَ شَمَالِ
 لَمْ يَرَوْا - قَبْلَ أَنْ يَرَوْكَ - أُمِي
 مِنْ هَوَاهُ وَحُبِّهِ الْأَرْضَ أَضْحَى
 قَدْ رَعِيَتِ الشَّبَابَ حَتَّى تَمْنَى
 يَوْمَ نَادَيْتَهُ لِيَخْتَرِقَ الْوَهْ
 وَمَشَى لِلْعُيُونِ وَهُوَ مُشَوِّقُ
 وَأَنْجَلَى اللَّيْلَ عَنْ تَبَاشِيرِ صُبْحِ
 بَارَكَ اللَّهُ فِي بِلَادِي حُمَاةَ

بُعْيُونٍ مُفْتَحَاتٍ وَأَيْدٍ
سَطَرُوا فِي أَمْجَادِنَا صَفَحَاتٍ
يَا مَلِيكَ الْبِلَادِ يَهْنِكَ عِيدٌ
فَلْتَعِشْ رَمَزَ وَحْدَةٍ وَأَمَانٍ
وَحَوَالِيكَ أَنْجُمٌ تَتَلَاأُ
قَابِضَاتٍ عَلَى زِمَامِ الزَّنَادِ
بِدِمَاءِ الْأَبْطَالِ لَا بِالْمِدَادِ !
وَطَنِي مِنْ أَمْجَدِ الْأَعْيَادِ
لِبِلَادِي مِنْ غَائِلَاتِ الْعَوَادِي
فِي سَنَاهَا بِشَائِرِ الْإِسْعَادِ

ابن بطوطة

مُتَقَلِّبُ الْأَطْوَارِ فِي تَجَوَّالِهِ
مُتَحَدِّياً مَا اشْتَدَّ مِنْ أَهْوَالِهِ
وَكَأَنَّهُ فِي الْبَحْرِ مِنْ أَبْطَالِهِ !
فِي مَهْدِهِ مِنْ مُبْدَعَاتِ خَيَالِهِ
لَأَشْيَاءَ يُسَعِّفُهُ سِوَى أَمَالِهِ
وَرَأَى - كَضِيقِ السِّجْنِ - ضِيقَ مَجَالِهِ
يَنَأَى بَعِيداً عَنْ وُكُورِ جِبَالِهِ !
شَدُّ الْحَبَالِ يُعَدُّ مِنْ أَعْمَالِهِ !
كَالْبَحْرِ بَيْنَ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ !
وَتُعَانِقُ الْأَنْسَامَ فِي آصَالِهِ
رَقَافَةً مُتَوَهِّجٌ بِكَمَالِهِ !
لَا أَمْنٌ لِلرُّبَّانِ فِي إِقْبَالِهِ
وَأُصِيبَ بِالْإِغْمَاءِ مِنْ أَرْجَالِهِ
وَابْتَاعَهُ بِالْحُرِّ مِنْ أَمْوَالِهِ !

سَارٍ يَدِبُّ عَلَى عَصَا تَرْحَالِهِ
رَكْبَ الْعُبَابِ وَتَاهَ فِي ظَلَمَائِهِ
أَسْرَى بِمَرْكَبِهِ يُعَانِقُ مَوْجَهُ
فِي رِحْلَةٍ أَسْطُورَةٍ قَدْ صَاغَهَا
يَسْتَقْبِلُ الْمَجْهُولَ وَهُوَ مُغَامِرٌ
وَكَأَنَّمَا قَدْ ضَاقَ عَنْهُ فَضَاؤُهُ
فَتَسَلَّقَ الْآفَاقَ كَالنَّسْرِ الَّذِي
لَمْ يُمْسِكِ الْمَجْدَافَ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ
مَا رَاعَهُ فِي الْكَوْنِ شَيْءٌ رَائِعٌ
الشَّمْسُ تَسْبَحُ فِي عَوَالِي مَوْجِهِ
وَالْبَدْرُ يَنْسُجُ مِنْ سَنَاهُ غِلَاثِلًا
وَاللَّيْلُ غُولٌ فِي دُجَاهِ مُزْمَجِرٌ
كَمْ حَامَ بَوْمُ الْمَوْتِ فَوْقَ شِرَاعِهِ
قَدْ كَانَ - قَبْلَ الزَّادِ - أَحْضَرَ كَفَنَهُ

* *

أَعْيَاهُ مَا يَطْوِيهِ مِنْ أُمِّيَالِهِ !
مُتَخَبِطاً فِي لَيْلِهِ وَضَلَالِهِ !
وَسَلَا النِّعِيمَ بِهَا وَحُسْنَ ظَلَالِهِ
لَمْ يَغْشَهَا مَنْ عَاشَ مِنْ أَجْيَالِهِ

يَمْشِي الْهُوَيْنَى فِي الْمُحِيطِ بِمَرْكَبِ
كَمْ وَاجَهُ الْإِعْصَارَ وَأَقْتَحَمَ الدُّجَى
خَلَى هَوَاهُ وَأَهْلَهُ فِي طَنْجَةِ
وَمَضَى بِهِ الْمَلَّاحُ نَحْوَ مَقَاوِرِ

كَالْكُوكِبِ السَّيَّارِ فِي أَبْرَاجِهِ
مَا كَانَ أَرَوَعَ مَا رَأَى فِي رِحْلَةٍ
كَمْ بَاتَ يَفْتَرِشُ التُّرَابَ عَلَى الطَّوَى
تَرَكَ الْوَثِيرَ مِنَ الْفِرَاشِ وَمَا حَلَا
لِيَرَى مُلُوكَ الْهِنْدِ فِي أَقْيَالِهِمْ
وَيَرَى عَوَالِمَ مِثْلَهَا لَمْ يَنْتَظِمِ
لَا تَسْأَلُوا التَّارِيخَ عَنْهُ فَإِنَّهُ
يَاحْسَنَ يَوْمَ عَادَ فِيهِ كَأَنَّهُ
نَثَرُوا الزُّهُورَ عَلَيْهِ إِكْرَاماً لَهُ
سَتَظَلُّ ذِكْرِي ابْنِ الْبَطُوطَةِ مُعَلِّماً
وَيَظَلُّ مُجِداً فِي صَحَائِفِ مَغْرِبِي
يَزْهُو الْجَنُوبُ بِهِ وَيُثْلِجُ صَدْرُهُ

يَسْرِي وَلَا يَدْرِي مَحَطَّ رِحَالِهِ !
أَلْهَى بِهَا التَّارِيخَ عَنْ رُحَالِهِ !
وَيَسَامِرُ الْأَغْرَابَ مِنْ أَمْثَالِهِ !
مِنْ طِيبِ مَأْكَلِهِ وَعَذْبِ زُلَالِهِ
وَيَحَاطُ بِالْإِجْلَالِ مِنْ أَقْيَالِهِ !
يَوْمًا وَلَمْ يُنْسَجَ عَلَى مِنْوَالِهِ !
مَنْ خَطَّ أَحْرَفُهُ عَلَى تِمْنَالِهِ !
لَيْثٌ يَعُودُ إِلَى حِمَى أَدْعَالِهِ !
كَمْ قَاتِلٍ قَدْ عَادَ بَعْدَ قِتَالِهِ !
مُتَوَهِّجاً يَدْعُو إِلَى إِجْلَالِهِ
مُتَالِقَ الْأَحْدَاثِ مِثْلَ هِلَالِهِ
مَجْدٌ تَأْلَقَ فِي رُبُوعِ شِمَالِهِ !

الشعر

الشَّعْرُ فَيُضْ وإِلْهَامٌ وَمَوْهَبَةٌ
 وَنَبْضُ قَلْبٍ وَشَلَالٌ إِذَا انْهَمَرَا !
 وَدَفْقَةٌ مِنْ جَمَالِ اللَّهِ يَمْنَحُهَا
 لِكَي نَرَى حُسْنَهُ فِي كَوْنِهِ صُورًا
 وَثُرُوءٌ فِي قَرَارِ الرُّوْ مِنْجَمُهَا
 تُنْسِي الْغِنَى بِهَا الْأَعْلَاقَ وَالْدُّرَا
 يَأْتِي بِهَا مَوْعِدٍ مِنْهُ يُحْدِثُهُ
 وَيَغْمُرُ الرُّوحَ إِشْعَاعًا إِذَا حَضَرَا
 كَالنُّورِ يَنْسَابُ حِينًا فِي شَفَافِيَةٍ
 وَكَاللَّطَى تَقْذِفُ الْيَحْمُومَ وَالشَّرَرَا
 وَالشَّعْرُ لَحْنٌ وَإِنْشَادٌ وَأَعْذِبُهُ
 مَا هَزَّ مُنْشِدُهُ مِنْ قَلْبِنَا الْوَتَرَا !
 وَلَيْسَ رَصٌّ الْقَوَافِي فِي مُعَلَّقَةٍ
 تُلْقَى بِشَعْرِ إِذَا مَا أَشْبَهَ الْهَذَرَا !
 وَرُبَّمَا غَابَ أَحْيَانًا فَتَحْسِبُهُ
 جَذْبًا وَتُوجِسُ فِي إِبْطَائِهِ خَطَرَا
 كَالْمَاءِ مَا غَارَ فِي جَوْفِ الثَّرَى رَدْحًا
 إِلَّا وَعَبَادَ نَقِي النَّبْعِ وَانْفَجَرَا !

وَأَضِيعُ الشَّعْرَ مَا يَشْقَى بِسَامِعِهِ
 كَمْ جَدِبِ الْأَرْضِ لَا يَسْتَقْبِلُ الْمَطَرَ !
 وَالشَّعْرُ ذَوْبٌ قُلُوبٍ لَيْسَ فَلْسَفَةٌ
 وَلَيْسَ لِلْعِلْمِ مَيْدَانًا وَمُخْتَبَرًا !
 لَيْسَ الْجَدِيدُ جَدِيدًا أَنْ يَكُنْ خَلْقًا
 وَلَا الْقَدِيمُ قَدِيمًا إِنْ زَهَا نَصِرًا
 كَمْ يَشْتَهِي الْمَرءُ أَنْ يُصْغِيَ إِلَى نَغَمٍ
 يُشْجِي وَكَمْ تَتَمَنَّى أذُنُهُ الْوَقْرًا !



كَمْ طَارَدَ النَّوْمَ عَنْ عَيْنِي خَاطِرُهُ
 وَكَمْ تَخَلَّيْتُ عَنْ حُلْمِي إِذَا خَطَرًا
 وَكَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَسْلُو لِي تَرْكَنِي
 فَكَانَ ظِلًّا مَعِيَ وَحَيْثُ سِرْتُ سَرَى !
 يَرَى الْمَبَاهِجَ مِنْ حَوْلِي فَيَهْتَفُ بِي
 أَلَا تَرَى شَاعِرِي مَا فِي الْوُجُودِ أَرَى ؟
 هَذَا الرَّبِيعُ ! أَرَاهِيْرًا وَأَغْنِيَةً
 وَبَهْجَةً تُمَتِّعُ الْأَرْوَاحَ وَالنَّظَرَ
 فَكَيْفَ تُعْرِضُ عَنْهَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ
 وَكَيْفَ تَزْهَدُ فِيهَا أَنْفُسُ الشُّعْرَا ؟

رَدَدَ لُحُونَكَ فَالْأَسْمَاعُ صَاغِيَةً
وَأَصْدَحَ بِهَا فِي لَيَالِي أَنْسِنَا سَمَرًا
وَأَضْمَدَ جِرَاحَ قُلُوبٍ طَالَمَا نَزَفَتْ
وَنَحَّ عَنْهَا هُمُومًا ثَقُلَهَا بِهِرًا
فَالنَّاسُ فِي الْأَرْضِ قَدْ جَفَّتْ عَوَاطِفُهُمْ
وَأَصْبَحُوا بِسَوَاهَا هَيْكَلًا نَخِرًا
قَدْ كَانَ لِلشَّعْرِ رَبٌّ تَسْتَنِيرُ بِهِ
وَكَانَ لِلشَّعْرِ حُكْمٌ يُشَبِّهُ الْقَدْرَا !



عَرَفْتُهُ فِي شَبَابِي وَهُوَ مُلْتَهَبٌ
وَلَمْ يَزَلْ وَأَنَا أَشْكُو لَهُ الْكِبَرَا !
يُمْلِي فَأَكْتُبُ مَا يُمْلِي كَأَنَّ يَدِي
مِنْ نَسْجِهِ تَصْنَعُ الْأَسْمَاطَ وَالطُّرَرَا
مَا حَوْلِيَاتُ زُهَيْرٍ وَهُوَ يَصْنَعُهَا
وَلَيْلِيَاتِي إِذَا أَبْدَعْتُهَا غُرَرَا !
كَمْ بَيْنَ قَاطِفِ أَزْهَارٍ يُنْسَقُهَا
وَنَاجِتِ هَمٍّ أَنْ يَنْحَتَ الْحَجَرَا !
يَوْمِي وَيَرْمُزُ غَيْرِي فِي طَلَاسِمِهِ
وَيَهْتِكُ الْحُجْبَ شِعْرِي عَنْهُ وَالسُّتُرَا

صَلَّيْتُ لِلَّهِ فِي مُحَرَّابٍ خُلُوتِهِ

كَعَابِدٍ يَشْتَكِي مِنْ لَيْلِهِ الْقَصْرَا !

قَدْ كَانَ لِي بَلَسَمًا فِي كُلِّ فَاجَعَةٍ

وَصَوْتُ حَقٍّ إِذَا اسْتَكْمَتُهُ جَهْرًا !

أُرِيدُهُ هَمْسَ مَهْمُومٍ فَيَفْضَحْنِي

فَلَا مَكَانَ لِسْرِ عِنْدَهُ اسْتَتَرَا

عَانَقْتُهُ مِنْذُ إِيفَاعِي وَعَانَقْنِي

فَمَا جَفَانِي مَنْ أَهْوَى وَلَا هَجَرَا

فَكَيْفَ أَسْأَلُو رَفِيقًا ظَلَّ يُؤْنِسُنِي

وَكَيْفَ أَتُرُكُ مَنْ مَلَكَتُهُ الْعُمْرَا ؟

شَطَايَا

مَنْ لِلْعَرِينِ ؟ إِذَا تَخَلَّتْ عَنْ حِمَايَتِهِ أُسُودُهُ ؟
 وَتَمَرَّدَتْ فِيهِ الذِّئَابُ وَتَوَجَّتْ فِيهِ قُرُودُهُ !
 مَنْ كَانَ يَدْنُو مِنْ حِمَاهُ وَفِي مَسَامِعِهِ رُعُودُهُ ؟
 كَمْ صَائِدٍ قَدْ سَاقَهُ قَدَرٌ لِضُرْعَامٍ يَصِيدُهُ !
 وَمَسُودٍ قَدْ ظَنَّ وَهْمًا أَنْ شِيعَتَهُ عَبِيدُهُ !
 وَمَهْدَمٍ خُلِقَتْ يَدَاهُ لِهَدْمِ مَا شَادَتْ جُدُودُهُ !
 أَوْهَتْ صُرُوحُ الْمَجْدِ قَرْنِيهِ فَلَمْ تُثْمِرْ جُهوْدُهُ !
 لَمْ يُنْسِنَا أَدَبَ الشُّيُوخِ وَكُلَّ ثَرَوَتِنَا جَدِيدُهُ !
 لَمْ تُبْلِهِ حَقْبُ الزَّمَانِ وَمَا انْطَوَتْ فِينَا بُرُودُهُ !
 كَمْ شَاعِرٍ وَلَّى وَفِي أَعْمَاقِنَا يَحْيَا قَصِيدُهُ !
 وَجَدِيدِ شَعْرِ لَمْ يَجِدْ مُذَمَّاتَ نَائِحَةٍ تَعُودُهُ !
 يَبْقَى الشُّذَا فِي الرُّوضِ يَقْظَانَا وَإِنْ أَغْفَتَ وُرُودُهُ !
 وَفَمُ الْمَرِيضِ يَمْجُ مَا يَخْلُو وَيُنْعِشُهُ صَدِيدُهُ !
 أَيُّظُنُّ أَنَّ الصَّرْحَ هُدًى وَأَسْلَمْتُهُ لَهُ جُنُودُهُ ؟
 مَا زَالَ نَجْمًا فِي السَّمَاءِ وَفِي مَعَارِجِهَا صُعُودُهُ !
 وَتَرَاتِ شَعْبٍ كَمْ يَزِيدُ مَعَ الزَّمَانِ غِنَى رَصِيدُهُ !
 يَسْعَى لِيُقْبِرَهُ بَنُوهُ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ لُحُودُهُ !
 بَغْدَادُ شَاهِدَةٌ بِمَا يُغْنِي إِذَا دُعِيَتْ شُهُودُهُ

ضَمَّتْهُ فَاسٌ فِي رَبِيعٍ أَزْهَرَتْ فِيهَا نَجْوَدُهُ
لَمْ يَكْتَتَبَ مِمَّا رَأَى مِنْ حُسْنِهِ إِلَّا حَسْوَدُهُ !
غَنَى بِهَا وَبِحُسْنِهَا مَنْ كَانَ يُطْرِبُهَا نَشِيدُهُ !



هَذَا الْجَدِيدُ ابْنُ الْقَدِيمِ فَكَيْفَ عَقَّ أَبَا وَلِيدَهُ ؟
قَدْ ظَلَّ يَغْدُوهُ وَيُزْفِدُهُ بِمَا يُحْيِيهِ جُودُهُ
كَالْبَحْرِ يُزْفِدُ كُلَّ نَهْرٍ يَسْتَفِيدُ وَلَا يُفِيدُهُ !
مَا أَكْفَرَ الْإِنْسَانَ ! يَفْصِلُهُ عَنِ الْمَاضِي جُودُهُ !
وَلِسَانُهُ مِنْهُ اسْتَوَى وَعَلَى قَوَاعِدِهِ قُعُودُهُ !
مَا لِلطَّرِيفِ قَوَائِمٌ إِنْ لَمْ يُدْعَمْهَا تَلِيدُهُ !
شَرِيَانُ مَاضِينَا الَّذِي لَمْ يَنْقُطِعْ فِينَا وَرِيدُهُ
مَا بَالُ نَاعِينَا يَهْدِدُنَا وَيُرْهِبُنَا وَعِيدُهُ !
وَيَسُنُّهَا حَرْبًا عَلَى مَنْ لَمْ تَظْلَلْهُ بُنُودُهُ !
أَتَفَكُّ أَيْدِينَا الْقِيَمُودَ لِكَيْ تَطْوَقَنَا قِيَمُودُهُ !
أَعْلَى مُرِيدِ الشَّعْرِ أَنْ يَغْدُو لِقَبْلَتِهِ سُجُودُهُ ؟
مَا الْفِكْرُ ؟ مَا الْإِبْدَاعُ إِنْ حُدَّتْ بِأَسِيجَةِ حُدُودُهُ ؟
أَنْهَدُ أَهْرَامَ التُّرَاثِ وَنَسْتَخِفُّ بِمَنْ يَشِيدُهُ ؟
كَالطَّائِرِ الْحَاكِي الَّذِي أَنْسَاهُ مَشِيَّتَهُ مُرُودُهُ !
أَيَقُولُ شَعْرًا كُلَّ زِعْنَقَةٍ وَيُحَرِّمُهُ لَبِيدُهُ ؟
خَالُوا الشُّمُوعَ تُضِيءُ فِي لَيْلٍ يَخْلُ بِهَ رَشِيدُهُ

لَا تَنْبَشُوا الْمَاضِي فِي أَعْمَاقِنَا يَحْيَا شَهِيدُهُ !
 بَاقٍ بَقَاءُ الدَّهْرِ لَمْ يَرْكَعْ وَلَمْ يُهْدَمْ عُمُودُهُ !
 لَوْ كَانَ فَأَرًا مَيِّتًا أَدَبٌ أَصِيلٌ لَا تُجِيدُهُ !
 لَطَوَى الزَّمَانُ عَمَاقًا وَأَبَادَهُمْ فِيمَا يُبِيدُهُ !
 طَاطَى إِذَا ذَكَرَ الْكِبَارُ وَأَنْطَقَ التَّارِيخُ صِيدُهُ !



يَأْتَاهَا لَمْ يَذَرْ فِي صَحْرَائِهِ مَاذَا يُرِيدُهُ !
 كَالنَّاقَةِ الْعَشُوَاءِ فِي لَيْلٍ تُطِيلُ سُرَاهُ بِيدُهُ !
 يَجْرِي وَرَاءَ سَرَابِهِ ظَمْآنٌ يُطْمَعُهُ بَعِيدُهُ !
 مَا أَنْتَ بِالْحَادِي وَلَا الْهَادِي لِمُعْتَسِفٍ تَقْوَدُهُ !
 ضَاعَ الرَّعِيلُ ! وَضَلَّ قَائِدُهُ وَلَمْ يَشْعُرْ مَقْوَدُهُ !

المختلفات

مَرَحَى بِعَالَمِنَا الْجَدِيدِ

وَدَّعْتَ يَوْمَ مَضَيْتَ غَيْرَ مُودَّعٍ
لَمْ نَبِكَ مِنْ أَسْفٍ وَلَمْ تَنْتَوِّجِعْ
وَتَفَّسَ الصُّعَدَاءُ مَنْ أَرْهَقَتْهُمْ
وَرَأَوْا رَحِيلَكَ يَوْمَ عَيْدِ أَرْوَعِ
دَقُّوا الطُّبُولَ وَقَدْ رَأَوْكَ مُوَلِيًّا
بِيَدٍ تَشُدُّ عَلَى فُؤَادِ مُوَجَّعِ
مَاذَا سَنَذْكُرُ عَنْ نِظَامٍ لَمْ يَكُنْ
فِيهِ لَأَمَّةٍ يَغْرُبُ مِنْ مَوْضِعٍ !
الشَّرْقُ مِنْهُ الشَّمْسُ تُشْرِقُ وَهِيَ فِي
أَيَّامِهِ مِنْ أَفْقِهِ لَمْ تَطْلُعْ
مَاذَا سَنَذْكُرُ عَنْ نِظَامٍ رَاحِلٍ
أَشْبَاهُهُ الشُّوَهَاءُ تُوحِشُ مَضْجَعِي ؟
مَا زَالَ يَقْتُلُ شَعْبَنَا فِي قُدْسِنَا
وَيَخُوضُ فِي دَمِنَا وَلَمَّا يَشْبَعِ !
أَبْنَاؤُهُ صَرَعَى الضَّلَالَةِ وَالْهَوَى
مَا بَيْنَ ضَائِعَةٍ بِهِ وَمُضَيِّعِ !
مَاذَا سَنَذْكُرُ عَنْ نِظَامٍ بَائِدٍ
قَهَرَ الشُّعُوبَ لِأَنَّهَا لَمْ تَرْكَعْ !

وَكَأَنَّهُ مَا زَالَ فِي غَابَاتِهِ
فِي الْعِلْمِ لَمْ يَنْشَأْ وَلَمْ يَتَرَعَّرِعْ



مَرَحَى بِعَالِمِنَا الْجَدِيدَ وَلَا رَأَتْ
عَيْنَايَ مَا لَا يَشْتَهِيهِ تَوَقُّعِي !
فَعَسَى تَعُودُ بِهِ الْحَيَاةُ كَرِيمَةً
وَتَسُودُ رُوحَ الْحُبِّ كُلَّ الْأَرْبَعِ
وَيَضُمُّ كُلُّ أَخٍ أَخَاهُ مُعَانِقًا
فِي ظِلِّ أَمْنٍ مُسْتَطَابٍ مُمَرِّعٍ
يَنْسَى بِهِ الْمَاضِي وَمَا حَفَلَتْ بِهِ
أَيَّامُهُ مِنْ مُفْجِعٍ وَمُـرَوِّعٍ
فَتَأْهَبِي يَا أُمَّتِي لِمَسِيرَةٍ
أُخْرَى مُبَارَكَةٍ الْجُهِودِ وَأَقْلَعِي
إِنِّي لَأَمَلُ بَعْدَ عَهْدٍ مُظْلِمٍ
فِي فَجْرِ يَوْمٍ لِلْعُرُوبَةِ مُمْتَعٍ

لَتُعِيدَهَا دُولُ الْعُرُوبَةِ أُمَّةً
وَتُعِيدَ رَفَعَ بَنَائِهَا الْمُتَصَدِّعَ
فَمَتَى أَرَى فِرْعَوْنَ يَنْسَى كِبَرَهُ
وَيُريحُ أَسْمَاعِي هَدِيرُ الْمَدْفَعِ ؟
وَيَرَى بَنُو الدُّنْيَا سَلَاماً عَادِلًا
مِنْ بَعْدِ عَهْدِ بَالْمَآسِي مُتَرَعٍ
وَأَحْسَرَتِي ! إِنَّ خَابَتِ الْأَمَالُ فِي
عَهْدِي الْجَدِيدِ وَعُدْتُ لِلْمُسْتَنْقَعِ !

المَغُول

أَلَمْ يَأْتِ يَوْمَ فِيهِ يَنْتَفِضُ الْغَرْبُ
وَيَغْضِبُ لِلْحَقِّ الَّذِي دَاسَهُ الْغَرْبُ ؟
وَأَيْنَ حُمَاةُ السِّلْمِ ! مَنْ أَخَذُوا عَلَى
نَفْسِهِمْ عَهْدًا بِأَنْ تُقْبَرَ الْحَرْبُ ؟
عُهُودُ نِظَامٍ مَاتَ قَبْلَ فِطَامِهِ
وَأَمْنِيَّةٌ مَا زَالَ يَحْجُبُهَا الْغَيْبُ !
بِكُلِّ مَكَانٍ أَدْمَعُ وَمَمَاتِمُ
وَنِيرَانُ حَقْدٍ كَالْبَرَاكِينِ لَا تَخْبُو
إِذَا اسْتَنْجَدَ الْمُسْتَضْعَفُونَ بِمَجْلِسِ
لِيُنْقِذَ مِنْ خُطْبٍ رَأَوْا أَنَّهُ الْخُطْبُ !
يُقِيمُ مَنَاحَاتٍ وَيُصْدِرُ بَعْدَهَا
نِدَاءً إِلَى مَنْ مَاتَ فِي قَلْبِهِ الْحُبُّ !
يَرَى الصِّرْبَ مُخْتَلَاً يُدَمِّرُ جَارَهُ
وَلَمْ يَتْنَبْهِ عَنْهُ جِوَارٌ وَلَا قُرْبُ
فَيَبْكِي بُكَاءَ الْمَوْمِسَاتِ كَأَنَّمَا
بِأَدْمَعِهِ يَنْزَاحُ عَنْ شَعْبِنَا الْكَرْبُ
أَمَا فِي اغْتِيَالِ الطِّفْلِ وَالشَّيْخِ لَعْنَةٌ
تُلَاحِقُ أَحْفَادَ الْمَغُولِ وَلَا ذَنْبُ ؟

أَلَيْسَ اغْتِيَالُ الْمُحْصَنَاتِ وَسَبُّهَا
 جَرَائِمُ تَابَاهَا الشَّرَائِعُ وَالْحَرْبُ ؟
 أَيْحَدُّ هَذَا مِنْ بُنَاةٍ خَضَارَةٍ
 وَلَا يَتَلَقَّاهُمْ عِقَابٌ وَلَا عَتَبُ ؟
 فَأَيْنَ أَسَاطِيلُ الْخَلِيجِ وَنَارُهَا
 وَأَحْلَافُ غَرْبٍ هَزَّ أَعْطَافَهَا الْعُجْبُ ؟
 تَوَارَتْ عَنِ الْأَنْظَارِ فِي الصَّرْبِ وَاخْتَفَتْ
 حَيَاءً كَمَا تُخْفِي الْمُحَجَّبَةُ الْحُجْبُ !
 هِيَ السِّلْمُ ! فِي عُرْفِ السِّيَاسَةِ عُمَلَةٌ
 لَهَا أَلْفُ وَجْهِ مِنْ مَلَامِحِهِ الْكَذْبُ !



فَوَا لِلْحُمَاةِ الزَّرْقِ ! فِي الْأُسْرِ تَرْتَدِّي
 مُسُوْحًا مِنَ الْعَارِ الَّتِي خَاطَهَا الْغَرْبُ !
 نُسُورُ ! وَلَكِنْ لَا تُحْلِقُ فِي الْفَضَا
 وَأُسْدٌ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي وَسْعِهَا وَثْبُ !
 وَلَوْ تَرَكُوا لِلْعُزْلِ كَسْبَ سِلَاحِهِمْ
 لِرَدْعِ أَعَادِيهِمْ لَمَا اسْتَأْسَدَ الذَّنْبُ !
 تَزِيْبُ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَاتِ مُشَاهِدٌ
 وَبَحْرُ مَآسٍ لَمْ يَخُضْ مِثْلَهُ شَعْبُ !

شُيُوخٌ عَلَى الْأَقْدَامِ تَمْشِي وَرُضْعُ
تُعَانِي الطَّوَى لَا يَحْتَوِي جِسْمَهَا ثُوبٌ !
مَضَى زَمَنٌ عَاشُوا زُهُوراً بِأَرْضِهِمْ
فَتَاهُوا وَفِي نَظَرَاتِهِمْ يُلْمَحُ الْجَدْبُ !
حَزَانِي عَلَى أَرْضٍ أَحَبُّوا تُرَابَهَا
وَهَا مُوَابَهَا عِشْقاً كَمَا يَعِشُقُ الصَّبُّ !
خَلَائِقُ دِينٍ مِنْ مَنَاهِلِهِ اسْتَقَوْا
وَفِي هَدْيِهِ رُبُّوا وَفِي حِضْنِهِ شَبُّوا !
وَإِصْرَارُ شَعْبٍ لَمْ يُطَاطَى لِغَاصِبٍ
وَلَا نَالَ يَوْماً مِنْ عَزَائِمِهِ رُغْبٌ ..
فَيَاسِيراً يَفُوقُوا ! أَنْتِ لِلْمَجْدِ قِمَّةٌ
وَأَنْتِ لِمَنْ ضَحَّوْا لِتَرْتَفِعِي نَصَبٌ !
صُمُوداً فَإِنَّ النُّصْرَاتِ وَقَدْ بَدَتْ
طَلَائِعُ بُشْرَاهُ يُبَارِكُهَا الرَّبُّ ..
فَمَا انْهَارَ شَعْبٌ يَسْتَضِيءُ بِدِينِهِ
إِذَا طَغَتْ الْأَهْوَالُ وَاحْلَوْلَكَ الدَّرْبُ
وَمَا ضَاعَ شَعْبٌ فِيهِ مِثْلُ رِجَالِكُمْ
إِذَا مَا دَعَا لِلْمَوْتِ مَوْطِنُهُمْ هَبُّوا
يَحْزُ بِقَلْبِي أَنَّ أُمَّةً يَغْرُبُ
مَوَاقِبُهَا شَتَّى وَأَعْدَاؤُهَا حِزْبٌ !
فَهَلْ تَكْشِفُ الْأَحْدَاثُ عَنْ صَحُواتِهَا
وَهَلْ تَرْجِعُ الْأَيَّامُ مَا ضَيَّعَ الْعُرْبُ ؟

أَحْرَمُوا ثُمَّ أَجْرَمُوا

رَوَّعُوا بَيْتَهُ ! وَقَدْ أَمَّنَ اللَّهُ بِهِ طَيْرَهُ مِنَ الْعُدَّوَانِ
فِتْنَةً ضَجَّ مِنْ فَظَائِعِهَا الْبَيْتُ وَعَجَّ الْمَقَامُ وَالرَّكْنَانِ
رَتَعَتْ فِي رَحَابِهِ جَامِحَاتِ دُونِ وَعِيٍّ وَدُنْمَا إِيْمَانِ
وَسَقَتْ تَرْبَهُ الزَّكِيُّ دِمَاءً أَهْدَرَتْهَا الْغَوَّاءُ كَالْقُرْبَانِ !
أَحْرَمُوا، ثُمَّ أَجْرَمُوا فِي حِمَاهُ أَوَامِرَ الْقُرْآنِ
زَعَمُوا أَنَّهُمْ خَلَأْنَفُ فِي الْأَرْضِ لِإِنْقَازِهَا مِنَ الطُّغْيَانِ !
وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ! وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا - سِوَاهُمْ - مِنْ عَابِدِي الْأَوْثَانِ
كُلُّ شَرْعٍ أَتَى مِنَ اللَّهِ لَمْ يَعْزِ بِغَيْرِ الْإِقْنَاعِ وَالْبُرْهَانِ
لَيْسَ بِالْقَتْلِ قَامَتِ الشَّرَائِعُ فِي الْأَرْضِ وَلَا بِالتَّعْذِيبِ لِلْإِنْسَانِ !
أَوْ لَمْ يَكْفِ مَا نُعَانِيهِ مِنْ جُرْحٍ وَخُلْفٍ يَزِيدُ فِي الْأَحْزَانِ ؟
كَيْفَ نَأْسُو جِرَاحَنَا بِجِرَاحٍ وَنُغْطِي هَوَانَنَا بِهَوَانٍ ؟
كَيْفَ نَلْهُو عَنْ قُدْسِنَا وَذَوِينَا يَا حُمَاةَ الْإِسْلَامِ فِي طَهْرَانٍ ؟
كَيْفَ تَبْكُونَ كَرْبَلَاءَ وَلَا تَبْكُونَ قُدْسَهي بِالْمَدْمَعِ الْهَتَّانِ ؟
وَهُوَ مَسْرَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ مَرْقَاهُ وَمَلَقَى الْأَرْسَالَ فِي الْأَذْيَانِ
شُغِلُوا عَنْهُ بِالْعَدَاوَةِ لِلْعُرْبِ وَخَوْضِ الْحُرُوبِ فِي الْجِيرَانِ !
لَيْسَ دِينُ الْإِسْلَامِ مَنْ يَرْتَضِي الْحَرْبَ، وَلَا مَنْ يُسَاسُ بِالرُّهْبَانِ !
هَلَكْتَ أُمَّةٌ تَسُوقُ بَيْنَهَا نَزَوَاتُ الْحُكَّامِ كَالْقُطْعَانِ !
وَرَثُوا الْحِقْدَ لِلْعُرُوبَةِ مُذْ جَالَتْ خِيُولُ الْإِسْلَامِ فِي الْإِيْوَانِ

يَوْمَ جَاءَ الْإِسْلَامُ أَطْفَاءً فِيهِمْ بِهِدَاهُ مَوَاقِدَ النَّيِّرَانِ !
فَلَمْ الْحِقْدُ وَالْحَنِينُ لِمَاضٍ قَدْ دَفَنَاهُ قَاتِمِ الْأَلْوَانِ ؟



أَيُّ دَاعٍ لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ يَدْعُوهُ بِأَيْدٍ مُضْرَجَاتِ الْبَنَانِ ؟
مَنْ أَتَى نَاسِكاً تَحَوَّلَ فِيهِ فَاتِكاً لَا يُطَاقُ فِي الْمِيدَانِ !
مُحَرِّمٌ يَلْبَسُ الْبَيَاضَ وَيُخْفِي تَحْتَهُ قَلْبَ مُجْرِمِ شَيْطَانِ !
أَيُّسَرُ النَّبِيِّ مَا زَرََعَ الْحَاقِدُ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْأَضْغَانِ ؟
أَفَيَرْضَى أَنْ يُسْفِكَ الدَّمَ فِيهَا هَدِراً مِنْ أَحَبَّةِ إِخْوَانِ ؟
لَمْ تَكُنْ مَكَّةً سِوَى دَارِ أَمْنٍ وَسَلَامٍ وَمُزْتَوَى اللَّهْفَانِ
حَلَّ فِيهِ الْهُدَى وَبُورِكَ فِيهِ مَنْبُعاً مِنْ مَنَابِعِ الْإِيمَانِ

الأم

أُطِّلَ عَلَى دُنْيَاهُ فِي بَسْمَةِ الْفَجْرِ
وَضِي الْمُحْيَا كَالنَّدى وَشَذَا الزَّهْرِ
قَضَى فِي مَطَاوِي الْغَيْبِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ
كَأَنَّ ثَوَانِيهَا عُقُودٌ مِنَ الدَّهْرِ !
فَمَذَّ حَلَّ فِي بَيْتِ الْأُمُومَةِ نُطْفَةً
مُخْلَقَةً وَاجْتَاَزَ طَوْرًا إِلَى طَوْرٍ
رَعَتْهُ عُيُونٌ لَمْ تَنَمْ وَهُوَ نَائِمٌ
وَعَذَّاهُ قَلْبُ الْأُمِّ مِنْ حُبِّهَا الثَّرِ
تَمَلَّأَ مِنْ طَاقَاتِهَا وَدِمَائِهَا
وَأَخْتَمَ مِنْ خَيْرَاتِهَا وَهُوَ لَا يَذْهَبُ
تَعُدُّ اللَّيَالِي وَهِيَ تَحْمِلُ ثِقْلَهُ
وَتَرْقُبُ فِي اسْتِهْلَالِهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ !
تَرَى وَجْهَهُ فِي كُلِّ طِفْلٍ وَطِفْلَةٍ
تُشَاهِدُهَا تَبْكِي وَتُبْصِرُهَا تَجْرِي
وَتَوْنِسُهَا فِي نَوْمِهَا نَبْضَاتُهُ
وَهَمْسَاتُهُ فِي سَمْعِهَا سَجْعَةُ الْقُمْرِي
وَتَتَسَجُّ أَيْدِيهَا مَلَابِسَ جِسْمِهِ
مَخَافَةً أَنْ يَلْقَى عَنَاءً مِنَ الْقَرِ

تَعِدُّ لَهُ أَغْلَى الدِّمَى وَلَوْ أَنَّهَا

مُكَابِدَةً تَشْكُو يَدَاهَا مِنَ الْفَقْرِ

وَلَوْ قَدَرْتَ صَاغَتِ مِنَ الْوَرْدِ فَرَشَهُ

وَرَشْتَ عَلَيْهِ كُلَّ مَا طَابَ مِنْ عَطْرِ

وَشَادَتْ لَهُ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ مَجِيئِهِ

أَعَزَّ مَكَانٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي قَصْرِ !

وَلَوْ مَنَحْتَهُ مِلءَ كَوْنِي سَعَادَةً

لَعَدَّتْهُ فِي حُبِّ الْبَيْنِينَ مِنَ النَّزْرِ

تُرِيدُهُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَجْدِ قِمَّةً

وَفَوْقَ كِرَاسِي الْحُكْمِ لِأَمْنِ ذَوِي الْفِكْرِ !

يَسُوسُ وَيُعْطِي الْأَمْرَ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ

تَلَقَّفْ مَا يُوجِي بِهِ صَاحِبُ الْأَمْرِ !

وَتَدْعُو لَهُ فِي بَطْنِهَا وَهُوَ مُضْغَةٌ

وَلَمَّا تَطَأَ رِجْلَاهُ مُسْتَنْقَعُ الشَّرِّ !

تَحَصَّنَتْهُ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ شَرِيرَةٍ

وَتَرْجُو لَهُ طُولَ السَّلَامَةِ وَالْعُمُرِ

وَتَغْشَى قُبُورَ الْأَوْلِيَاءِ وَفِيَّةً

بِمَا التَّزَمْتَ لِلْأَوْلِيَاءِ مِنَ النَّذْرِ !

وَكَمْ أَوْقَدَتْ فِيهَا شُمُوعاً وَأَحْرَقَتْ

بَخُوراً وَأَهْدَتْهَا الْقَرَابِينَ فِي سِرٍّ !

لِتَصْرُخَ أَهْلَى صَرْخَةٍ بِوَلِيدِهَا
وَتُصْبِحَ أُمًّا تَمْنَحُ الْحُبَّ لِلْغَيْرِ !
هِيَ الْأُمُّ دُنْيَا مِنْ حَنَانٍ وَمَنْبَعٌ
مِنَ الْحُبِّ فَيَاضٌ وَكَنَزٌ مِنَ الطُّهْرِ
تُحِبُّ وَإِنْ كَانَ الْعُقُوقُ جَزَاءَهَا
وَتَرْضَى وَإِنْ لَمْ تَلَقَ شَيْئاً مِنَ الْبَرِّ
وَتَمْضِي ! وَلَا شَيْءٌ يُؤْنِسُ قَبْرَهَا
سِوَى طِفْلَهَا مِنْ بَعْدِهَا وَهِيَ فِي الْقَبْرِ !
تُكَابِدُ فِي الدُّنْيَا لِتُسْعِدَ غَيْرَهَا
وَتُعْطِي بِلَا مَنْ وَتَشْقَى بِلَا أَجْرِ !

اليتيم

مَنْ رَمَانِي هُنَا ؟ وَمَنْ وَلَدَانِي
أَنَا مِنْ سُلَالَةِ الْإِنْسَانِ ؟
مَنْ رَمَانِي فِي ظُلْمَةِ الدَّرْبِ لَمْ أَنْـ
عَمَ كَغَيْرِي بِدَافِي الْأَحْضَانِ
لَمْ أَهْدِهِد فِي الْمَهْدِ بَيْنَ تَرَائِيـ
مَ تَحْتَ الْكَرَى إِلَى أَجْفَانِي
لَمْ يَدُقُّوا الطُّبُولَ يَوْمَ قُدُومِي
أَوْ يُقِيمُوا الْأَفْرَاحَ فِي مَهْرَجَانِ !
مَوْلِدِي كَانَ مَأْتَمًا وَلِقَاءِ
ضَمِ شَيْطَانَةٍ إِلَى شَيْطَانِ !
لَمْ يُبَارِكْهُ فِي السَّمَاءِ إِلَاهُ
أَوْ يُوَثِّقَ رَبَاطَهُ عَذْلَانِ !



مَنْ أَتَى بِي إِلَى الْوُجُودِ لِأَشْقَى
وَأَعَانِي مِنَ الْأَسَى مَا أَعَانِي ؟
وَلِمَنْ أَنْتَمِي ؟ وَقَدْ جِئْتُ لِلدُّنَى
يَا وَحِيدًا إِلَّا مِنَ الْأَحْزَانِ

أَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ يُدَانَ بَرِيءٌ
مُسْتَضَامٌ وَلَا يُدَانَ الْجَانِي ؟
قَدِيرِي أَنْ أَكُونَ مَنْ يَحْمِلُ الْعِبْرَ
ءَ الَّذِي لَا تَقْوَى عَلَيْهِ الْيَدَانِ
مَا لِمَثْلِي أَنْ يَرْفَعَ الرَّأْسَ فِي النَّاسِ
سِ وَلَا أَنْ تَرْنُو لَهُ عَيْنَانِ !
لَيْسَ يَكْفِي فِي كَسْبِ قُوتِي جِدِّي
وَأَنَا لَسْتُ فِيهِمْ ابْنُ فُلَانِ !
سَوْفَ أَنْمُو كَمَا الطَّحَالِبُ تَنْمُو
فِي مَجَارِي الْمِيَاهِ وَالْغُدْرَانِ
وَكَأَنِّي فِي النَّاسِ شِبْهُ كِتَابٍ
تَرْكُوهُ عَمْدًا بِلَا عُذْوَانِ !



أَيُّ مُسْتَنْقَعٍ أَعِيشُ بِهِ عُضْوًا
غَرِيبًا مُحَطَّمِ الْأَرْكَانِ ؟
لَيْسَ فِيهِ مِنْ كَافِلٍ لِيَتِيمٍ
هُوَ مِنْ صُنْعِهِ، وَلَا مِنْ مَكَانِ !
ذَنْبُهُ أَنَّهُ ضَحِيَّةٌ إِثْمٍ
لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَآثِلًا لِلْعَيَانِ !

أَكْثِيرُ أَنْ يَمْنَحُونِي اسْمًا
مُسْتَعَارًا لِيَرْفَعُوا مِن شَانِي ؟
أَصَحِيحُ أَنِي أَخُوهُمْ وَمَوْلَا
هُمْ كَمَا فِي أَوَامِرِ الْقُرْآنِ ؟
فَلَمَّاذَا يَنْسَى الْجَنَازَةَ حَقُّوْقِي
وَلَمَّاذَا لَمْ يَسْأَلُوا غُفْرَانِي ؟
قَدَرِي هَكَذَا ! وَسِرُّ وَجُودِي
أَنْ أَرَى فِيهِ قَمَّةَ الْحِرْمَانِ !
قَسَمًا أَنْ أَشُقَّ فِيهِمْ طَرِيقِي
وَأُبَارِي الْأَبْطَالَ فِي الْمِيدَانِ
بِعَصَامِيَّةٍ سَتُعْلِنُ أَنِي
رَغَمَ مَنْ زَلَّ، كَاثِنٌ إِنْسَانِي !

دَمْعَةٌ عَلَى الْقَمَرِ

وَطِئْتِكَ أَقْدَامُ الْغُرَاةِ الْعَادِيَةِ
وَرَمَوْكَ - يَاقَمَرِي - بِشُهْبٍ نَارِيَةٍ
طَارُوا إِلَيْكَ عَلَى صَوَاعِقَ نَارُهَا
فِي الْأَرْضِ وَالْأَجْوَاءِ نَارٌ عَاتِيَةٍ
نَهَضَتْ تُمَزَّقُ فِي عُيُونِكَ مَجَاهِلًا
وَتَشَقُّ أَسْتَارَ الْفَضَاءِ الْعَالِيَةِ
وَتَذُوبُ مِنْ حَرِّ اللَّظَى أَحْشَاؤُهَا
فَتَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِنَا فِي ثَانِيَةٍ !
لَا الْبَرْقُ عِنْدَ مُرُوقِهَا بَرْقٌ وَلَا
شَمُّ الْجِبَالِ إِذَا أَثِيرَتْ رَاسِيَةٍ
وَتَظَلُّ تَسْبَحُ فِي الْفَضَاءِ دَوَامَةً
لَا تَسْتَرِيحُ وَلَا تَرَاهَا وَإِنِّي
مَنْ كَانَ يَحْسِبُ أَنَّ أَقْمَارَ السَّمَاءِ
سَتُصَابُ يَوْمًا فِي الْحَيَاةِ بِدَاهِيَةٍ !
فَنَدُورُ فِي هَالَاتِهَا وَكَأَنَّنَا
فِي نُزْهَةٍ أَوْ رِحْلَةٍ سِنْدَابِيَةٍ !
ذَلَّتْ وَجُجُوهُ النَّيِّرَاتِ وَلَمْ تَعُدْ
فِي مَأْمَنِ تِلْكَ الشُّمُوسِ النَّائِيَةِ

وَتَخْشَاءُ لَتِ أَبْعَادُهَا فِي لَمَحَةٍ
وَتَفْتَحُ أَبْوَابَهَا الْمُتَعَالِيَهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ غَزْوَةً وَإِغَارَةً
وَمَرَاجِبَ وَقَذَائِفَ بُرْكَانِيَهُ
قَدْ هُنْتُ.. يَاقَمَرِي فَلَمْ تُبْعِدْكَ عَنْ
أَطْمَاعِنَا أَبْعَادَكَ الْمُتَرَامِيَهُ

* ● *

يَا وَجْهَهُ لَيْلَى فِي الْبَرَاءَةِ وَالسَّنَا
وَنَجِيَّ قَيْسٍ فِي اللَّيَالِي الْخَالِيَهُ !
يَا مُلْهِمَ الشَّعْرَاءِ مِنْ عُلْيَائِهِ
وَحَيَاً يَسِيلُ سَبَائِكاً فِي قَافِيَهُ
أَيُرِيدُ طَاغِي الْأَرْضِ أَنْ يَطَأَ السَّمَاءَ
إِسْكَندَرِيّاً كَالْعُصُورِ الْبَالِيَهُ ؟
لَيْبَتْ فِيهَا عَادَلُهُ وَسَلَامُهُ
وَالْأَرْضُ مُتَخَذَةً بِظُلْمِ الطَّاغِيَهُ
أَيُرِيدُ سَفَّاحُ الدِّمَاءِ مَسَارِحاً
أُخْرَى لِيُبْحَثَ عَنْ ضَحَايَا سَامِيَهُ ؟
ضَاقَتْ فِجَاجُ الْأَرْضِ عَنْ نَزَوَاتِهِ
وَتَفَجَّرَتْ مِنْهُ دِمَاءُ قَانِيَهُ !

* ● *

يَا غَازِي الْأَقْمَارِ هَذِي أَرْضُنَا
عَطَشَى وَجَوْعَى فِي مَآسٍ ضَارِيَةٍ
مَا زَالَ صَدْرُ الْأَرْضِ رَحْباً لَمْ يَضِقْ
وَكُنُوزُهَا بِالْخَيْرِ تَطْفَحُ جَارِيَةٍ
فِي الْأَرْضِ طَائِفَاتٌ وَخَيْرٌ طَافِحٌ
وَتَمُوتُ حِرْمَاناً شُعُوبٌ طَاوِيَةٌ !
فِي الْأَرْضِ جَهْلٌ ضَارِبٌ أَطْنَابَهُ
وَمَجَازِرٌ فِي كُلِّ رُكْنٍ دَامِيَةٌ
وَجَّهَهُ جُهِودَكَ لِلسَّلَامِ وَلِلْبِنَا
وَارْفَعِ صُرُوحَ الْعَدْلِ فِيهَا عَالِيَةً
حَوْلَ صَحَارِيهَا جِنَاناً تُشْتَهَى
وَجِبَالَهَا مُدُنّاً شَوَامِخَ هَادِيَةٍ
عَارٌّ عَلَى دُنْيَا الْحَضَارَةِ أَنْ تُرَى
فِيهَا جُسُومٌ جَائِعَاتٌ عَارِيَةٌ !
إِنِّي أَخَافُ عَلَى ثَرَاكِ وَقْدِ سِه
مَنْ أَنْ تُدْنِسَهُ الْخَطَايَا الْفَاشِيَةُ
وَأَخَافُ أَنْ يَغْدُو ضِيَاؤُكَ ظِلْمَةً
تُضْفِي عَلَى الدُّنْيَا مُسُوحاً بَالِيَةً

* ● *

خَلُّوا حَبِيبَ الشَّمْسِ فِي أَبْرَاجِهِ
وَدَعُوهُ يَذْلُقُ فِي سَمَاءِ الْعَالِيَةِ
خَلُّوا يَغْمُرُ أَرْضَنَا بِضِيَائِهِ
وَيُزِيحُ أَحْزَانَ النُّفُوسِ الصَّادِيَةِ
فَلْبَعْدِ عَنْهَا تَذَقُّ نُورُهُ
لَا تَطْفُئُوا فِيْنَا الْحَيَاةَ السَّارِيَةَ
لَا تَطْلُبُوا فَوْقَ النُّجُومِ سَعَادَةً
دَمَّرْتُمُوهَا فَوْقَ أَرْضِ بَاكِئِهِ !

السَّمْسَار

عَزَّتْ عَلَى هَيْمَانَ يَجْرِي خَافَهَا
يَخْدُوهُ شَوْقُ عَارِمِ التَّيَّارِ
تَبْدُو لَهُ كَالنَّجْمِ فِي عَلَيَّائِهِ
مُتَرَفَعاً وَسَنَاهُ فِي الْأَغْوَارِ
قَصُورَتْ يَدَاهُ فَلَمْ يَنْلَهَا وَهِيَ فِي
دُنْيَاهُ مِنْهُ عَلَى مَدَى أُمْتَارِ!



هِيَ حَاجَةٌ تَهْفُو لَهَا نَفْسِي وَقَدْ
أَفْنَيْتُ فِيهَا غَالِي الْأَعْمَارِ
زَجَّتْ بِهَا الْأَقْدَارُ فِي سِجْنٍ بِلَا
بَابٍ وَلَا قُفْلٍ وَلَا أَسْـوَارِ
نَسَجَتْ عَلَيْهَا الْعَنْكَبُوتُ خِيُوطَهَا
وَرَمَوْا بِهَا فِي سَلَّةِ الْإِقْبَارِ
قَبَّلْتُ أَيْدِي مَنْ تَوَلَّوْا حَاجَتِي
وَعَسَلْتُ مَكْتَبَهُمْ بِدَمْعِي الْجَارِي
وَمَضَى الزَّمَانُ فَهَلْهَاتُ أَوْرَاقَهَا
يَدُهُ وَأَضَحَتْ طُعْمَةً لِلْفَارِ!
نَامَتْ كَأَهْلِ الْكَهْفِ نَوْمًا حَالِمًا

وَتَعَفَّنَتْ فِي السُّدُوجِ وَالْأَوَكِ
لَمْ يَقْرَأُوا مِنْ حَاجَتِي أَلْفَاً وَلَا
وَاوَاً وَلَا سَطْطَراً مِنَ الْأُسْطُطَارِ !
وَطَفَقْتُ أَقْتَحِمُ الْمَكَاتِبَ هَائِماً
وَأُخَاطِبُ الْمَوْتَى مِنَ النَّظَّارِ
وَيَسْتُ مِنْهَا حِينَ قَالُوا : إِنَّهَا
وَصَلَتْ لِأَيْدِي خَازِنَاتِ النَّارِ !
الْأَلْهِيَّاتِ الْمُلهِيَّاتِ بِحُسْنِهَا
وَالْعَابِثَاتِ بِكُلِّ مَنْ فِي الدَّارِ !



تَرْجُوا الْفِدَاءَ أَسِيرَتِي وَفِدَاؤَهَا
وَاضِيعَتِي ! سِرٌّ مِنَ الْأُسُورِ
وَوَجَدْتُ مِفْتَاحِي الَّذِي ضَيَّعْتُهُ
زَمَناً، غَفَلْتُ بِهِ عَنِ السَّمْسَرِ !
نَادَيْتُهُ فَوَجَدْتُ أَطْوَعَ سَامِعٍ
وَأَمَرْتُهُ فَمَضَى بِلاَ أَعْذَارِ !
وَسَعَى فَجَاءَ الْخَيْرُ فِي خَطَوَاتِهِ
يَسْعَى فَبُورِكَ مِنْ شَفِيعِ سَارِي
كَشَفَ الْهُمُومَ وَفَكَ مُعْضِلَتِي الَّتِي

ظَلَّتْ سَجِينَةً عَابِدِي الدِّينَارِ !
لَوْلَاهُ مَاتَتْ حَاجَتِي فِي مَهْدِهَا
وَتَحَوَّلَتْ خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ !
لَوْلَاهُ مَا قُضِيَتْ لِسَاعٍ حَاجَةٌ
لَأَبَدٍ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ سَمْسَارِ !

غَرِيبُ الْحَيِّ

وَاقِيَ الشِّتَاءَ وَكُوخِي لِأَحْيَاةٍ بِهِ...
كَالْقَبْرِ لَيْسَ بِهِ نَارٌ وَلَا نُورٌ !
إِنْ جَادَهُ الْغَيْثُ أَوْدَى بِي فَأَغْرَقَنِي
وَإِنْ عَتَا الرِّيحُ هَدَّتْهُ الْأَعَاصِيرُ
شَيَّدَتْهُ بِيَدِي وَالْحَرُّ يَلْفَحُنِي
قَصُراً مِنَ الطُّوبَى لَمْ تَسْكُنْ بِهِ حُورُ
قَدْ كَانَ لِي جَنَّةٌ لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا
لَمْ تَنْتَزِعْ مِنْهُ مَنْ يَهْوَى الْمَقَادِيرُ
كَمْ ضَمَّ مَقْرُورَةً جَوْعَى مُعَذِّبَةً
وَبَاتَ فِي حِضْنِهَا الْمَقْلُوجِ مَقْرُورُ !
أَحْبَبْتُهَا وَهِيَ شَمَطَاءٌ يُؤَنِّسُنِي
أَنِينُهَا إِنْ نَأَتْ عَنَّا الْمَرَامِيرُ
تَسِيرُ خَلْفِي كَخَلْفِي لَا تُفَارِقُنِي
وَمِلْءُ أَنْفَاسِهَا حَمْدٌ وَتَكْبِيرُ
كَأَنَّ عَيْنِي تَرَاهَا وَهِيَ مُثْقَلَةٌ
وَوَضَعَتْهَا مِنْ أَدَى الْأَحْمَالِ مَهْصُورُ !
مُذْ أَغْمَضْتُ عَيْنَهَا أَعْدَدْتُ مَقْبَرَتِي
وَرُبَّ حَيٍّ طَلِيقٍ وَهُوَ مَقْبُورُ !

وَارَيْتُهَا وَعُيُونِي فَوْقَ تُرْبَتِهَا
تَهْمِي وَقَلْبِي دَامِي الْجُرْحِ مَعْصُورُ
كَسَّرْتُ نَائِي الَّذِي كَانَتْ تَحِنُّ إِلَى
لُحُونِهِ وَتَنَاقِيهِ الْعَصَافِيرُ



وَأَفَى الشِّتَاءَ وَمَا فِي مَوْقِدِي حَطْبُ
وَلَا طَعَامٌ بِهِ فِي الْقَدْرِ مَقْدُورُ
وَلَا ذُبَالَةٌ مِصْبَاحٍ تُضِيءُ بِهِ
وَلَا عَجُوزٌ أَحَاجِيهَا أَسَاطِيرُ
أَخْشَى مِنَ الْحَرِمَا أَخْشَاهُ مِنْ غَرَقِي
وَمِنْ غَدٍ قَاتِمٍ، وَالْغَيْبُ مُحْذُورُ
فَكَيْفَ تَحُلُو حَيَاةً بَعْدَ غَيْبَتِهَا
وَكَيْفَ يَمْلَأُ عَيْنِي بَعْدَهَا نُورُ ؟
قَدْ كُنْتُ أَمْنَحُ أَرْضِي جَاهِداً عَرَقِي
وَتُسْبِعُ الْغَيْرَ مِنْ كَدِي الْقَنَاطِيرُ !
أَعْطِي بِكُلِّ سَخَاءٍ مَا تَجُودُ بِهِ
أَرْضِي وَلَمْ يُغْنِنِي مَالٌ وَلَا دُورُ
كَأَنَّي لَمْ أَكُنْ فِي الْحَيِّ سَيِّدَهُ
يَوْمًا وَلَا عَرَفْتُ سَبْقِي الْمَضَامِيرُ

أَحْبَبْتُ أَرْضِي فَأَعْطَتْنِي ذَخَائِرَهَا
وَالْحُبُّ لِلأَرْضِ إِنْشَاءٌ وَتَعْمِيرُ
وَعِشْتُ لِلْغَيْرِ مَجْبُولاً عَلَى خُلُقٍ
فِي عَالَمٍ فَسَدَتْ فِيهِ الْمَعَايِيرُ !
وَالْيَوْمَ أَقْبَعُ فِي كُوْخِي وَبِي لَهْفٌ
إِلَى رَغِيفٍ وَمَاءِ الْوَجْهِ مَوْفُورُ !
حَسْبِي مِنَ الْقُوتِ مَا أَحْيَى بِهِ رَمَقِي
وَمِنْ مَبَاهِجِ دُنْيَاكُمْ أَزَاهِيرُ !
فَمَنْ لِشَيْخٍ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي تَعَبٍ
وَعَاشَ وَهُوَ بِحُبِّ الْغَيْرِ مَغْرُورُ ؟
لَمْ يَصُحْ مِنْ نَوْمِهِ حَتَّى دَنَا أَجَلُ
وَعَاشَ وَهُوَ غَرِيبُ الْحَيِّ مَهْجُورُ !
يَا عَاشِقَ الأَرْضِ هَا قَدْ عُدْتَ ثَانِيَةً
إِلَى الثَّرَى وَخَدِيمِ الأَرْضِ مَاجُورُ
فَنَمَ بِهَا مُسْتَرِيحاً لَا يَضُرُّكَ مِنْ
أَهْلِ عُقُوقٍ وَلَا غَبْنٍ وَتَقْصِيرُ !

ماء .. ماء

نَدِيرٌ مِّنَ السُّحُبِ قَطْرَةَ مَاءٍ ؟
مُعَلَّقَةً بِغُيُومِ السَّمَاءِ
وَتَغْرُبُ عَائِدَةً فِي الْمَسَاءِ !
عَلَى كُلِّ وَجْهِهِ وَمِيْضَ رَجَاءِ
لِنَفْتَحَ قَسْرًا سُدُودَ الْفَضَاءِ ؟
وَضَاعَ بَنُوهَا ؟ وَمَا الْكِيمِيَاءِ ؟
جِيَاعًا رَحِيْلُهُمُو لِلْغَذَاءِ ؟

*

وَشَاهَتِ رُؤَاهُ وَجَفَّ الرُّوَاهُ
مَنَاجِمَ نَابِعَةٍ بِالْعَطَاءِ
وَكَسَّرَتِ النَّايَ أَيْدِي الرِّعَاءِ
فَلَا صَوْتَ يُسْمَعُ إِلَّا الثَّغَاءِ
يُخَيِّمُ فِيهَا الْأَسَى وَالشَّقَاءِ
وَمَحْرَأَتُهَا مَيَتْ فِي الْعِرَاءِ
تَنَادَتْ إِلَيْهَا الذِّتَابُ الظَّمَاءِ
عَرَائِسَ تَشْمَخُ فِي كِبَرِيَاءِ
عَلَى الزَّهْرِ فِي مَوْكِبٍ مِّنْ ضِيَاءِ ؟
وَدُنْيَا الْعَبَاقِرِ وَالشَّعْرَاءِ ؟
مَزَاهِرَ تَشْدُو بِعَذْبِ الْغِنَاءِ ؟
لِيَلْبَحَثَ عَنْ قُوتِهِ فِي الْخَلَاءِ

بِأَيِّ لِسَانٍ وَأَيِّ دُعَاءِ
تَظَلُّ مِنَ الشُّوقِ أَبْصَارُنَا
تَظَلُّ أَفَاقُنَا فِي الصَّبَاحِ
وَتَرَبَّدُ أَفَاقُهَا فَتَرَى
وَأَيُّ الْمَرَائِبِ نَرَقَى بِهَا
وَمَا الْعِلْمُ ؟ إِنَّ أَجْدَبَتْ أَرْضُنَا
وَهَلْ أَسْعَدَتْ رِحْلَةً لِلْفَضَا

*

خَلَا الْحَقْلُ وَالرَّوْضُ مِنْ أَنْسِهِ
وَغَاضَتْ مَنَابِعُ كَانَتْ بِهِ
وَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا كُلِّ شَاةٍ
وَعَطَّى الْوُجُومُ عَلَى كُلِّ حَيٍّ
كَأَنَّ الْقَرَى أَصْبَحَتْ مَأْتَمًا
مَنَاجِلُهَا لُعْبٌ صَدِئَاتُ
وَوَدَيَانُهَا الْخُضْرُ مُغْبَرَّةُ
عَهْدَتْ السَّنَابِلُ فِي بُسْطِهَا
فَأَيْنَ الْفَرَاشَاتُ حَائِمَةً
وَأَيْنَ الرَّبِيعُ وَأَضْوَاؤُهُ
وَأَيْنَ الْحَمَائِمُ فِي دَوْحِهَا
نَأَى الطَّيْرُ عَنْ عُشِّهِ وَهُوَ بَا

فَلَمْ يَلْقَ فِي الْحَقْلِ سُنْبُلَةً
تَعُجُّ الْبَحَارُ بِأَمْوَاجِهَا
وَمِنْ حَوْلِهَا الْأَرْضُ مُجَهَّدَةٌ
وَلَمْ يَلْقَ فِي النَّهْرِ ذَاكَ الثَّرَاءَ !
وَتَمْنَحُ أَحْيَاءَهَا بِسَخَاءٍ
تُعَانِي مِنَ الْجَدْبِ شَرَّ بَلَاءٍ

* *

فَيَا فَالِقَ الْحَبِّ تَحْتَ الثَّرَى
دَعْوُونَكَ وَالْأَرْضُ لَاهِثَةٌ
دَعَتِكَ الْوَلَايِدُ وَالْمُرْضِعَاتُ
دَعَتِكَ شُيُوخٌ مُصَايِرَةٌ
خَزَائِنُ مُلْكِكَ أَكْبَرُ أَنْ
وَفِيضُ عَطَائِكَ مَا إِنْ يَغِي
فَأَلْبَسَ جَلَالَكَ أَرْدِيَّةً
وَيَا مَنْ يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ
وَقَدْ جَفَّ فِي الْحُلُقِ كُلِّ نِدَاءٍ
دَعَتِكَ الْيَتَامَى دَعَتِكَ النِّسَاءُ
تُنَاجِيكَ فِي خَشْيَةٍ وَبُكَاءٍ
تَشِحُّ عَلَيْنَا بِقَطْرَةِ مَاءٍ
حُضْ وَلَيْسَ لَهُ فِي الْوُجُودِ انْتِهَاءُ
جَمَالِيَّةٌ وَاسْتَجِبَ لِلدُّعَاءِ

دبى .. دبى (*)

مُتَجَوِّلٌ بِالمَوْتِ فِي الأَقْطَارِ
لَا يَشْتَكِي لَغَباً مِنْ الأسْفَارِ
وَمُطَارِدٌ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ حَلَّهَا
فِي رِحَالَةِ التَّجْوِيعِ وَالْإِفْقَارِ
مِنْ أَيْنَ جَاءَ ؟ وَكَيْفَ جَاءَ هَدِيَّةً
مَحْمُولَةً تَسْرِي مَعَ التِّيَّارِ ؟
أَرْجَاهُ سَحْبٌ تُحِيلُ نَهَارَنَا
لَيْلاً وَتَغْزُو شَاسِعَ الأَمْصَارِ
مَاحِلٌ فِي أَرْضٍ وَكَانَتْ جَنَّةً
إِلَّا اسْتَحَالَتْ بِالْخَرَابِ صَحَارِي
مَا بَيْنَ رُؤْيَيْكَ الغُصُونِ زَوَاهِيَا
خُضْرًا وَرُؤْيَيْكَ الغُصُونِ عَوَارِي
إِلَّا بَقْدَرٍ نَزُولِهِ فِي لَحْظَةٍ
وَشُرُوعِهِ فِي القَضْمِ بِالمِنْشَارِ !
تَزْهُو السَّنَابِلُ فِي الحُقُولِ وَتَزْدْهِي
بِرَبِيعِهَا الْمُتَمَوِّجِ المِعْطَارِ

(*) الدبى : صغار الجراد.

لِيَبْيِضَ فِيهَا الْمَوْتُ أَسْرَابَ الدَّبَى
وَيَهْبُ فِي مَسْرَاهُ كَالْإِعْصَارِ
يَطْوِي الْمَفَاوِزَ وَالْقِفَارَ مُهَاجِرًا
بِالْمَوْتِ يَزْحَفُ وَالْقَضَاءُ السَّارِي
وَيَكَادُ يَأْكُلُ نَفْسَهُ مِنْ شَوْقِهِ
لِبَرَاعِمِ الْأَشْجَارِ وَالْأَزْهَارِ
وَكَأَنَّ كُلَّ جَرَادَةٍ طَاحُونَةٌ
بِالْمَوْتِ دَائِرَةٌ وَبِاسْتِمْرَارِ
وَيَهْبُ أَبْنَاءُ الْقُرَى لِلْقَائِهِ
بِالنَّارِ لَا بِالطَّبْلِ وَالْمِزْمَارِ !
تَعِبَتْ يَدُ الْفَالَّاحِ وَهِيَ تَصُدُّهُ
فِي الْأَرْضِ أَوْ بِقَذَائِفِ الطَّيَّارِ
يَقْضِي سَخَابَةَ عَامِهِ مُتَوَجِّسًا
عُقْمَ الْحُقُولِ وَغَيْبَةَ الْأَمْطَارِ
حَتَّى إِذَا اكْتَسَتِ الْحُقُولُ وَاتَّمَرَتِ
حَصَدَتْ سَنَابِلَهَا يَدُ الْأَقْدَارِ
حَرْبٌ تُوَاكِفُهَا الشُّعُوبُ كَرِيهَةً
مِنْ غَيْرِ إِعْدَادٍ وَلَا إِشْعَارِ
يَغْتَالُ جُهْدَ الْكَادِحِينَ فَيَخْتَفِي
فِي لَحْظَةٍ مَا كَانَ لِلْأَعْمَارِ !

يَخْشَاهُ مَنْ (مَنْحُوا الْقُرُوضُ) وَمَنْ طَغُوا
بَعْلُوهُمْ وَبَصُولَةَ الدُّوَلَارِ !
آيَاتُ رَبِّكَ فِي نِظَامِ وُجُودِهِ
لِلْفِكْرِ يُرْسِلُهَا وَلِلْإِنذَارِ !
فَمَتَى سَيَرْحَلُ زَائِرٌ لَا يُشْتَهَى
وَمَتَى سَيُعْلَنُ سَاعَةُ الْإِبْحَارِ ؟
أَحَرَى بِمَنْ طَرَدُوهُ أَنْ لَا يَغْفُلُوا
فَيَعُودَ ثَانِيَةً لِأَخْذِ الثَّأْرِ !

الزلال

هَكَذَا الْأَرْضُ بِالْفَجَائِعِ حُبْلَى
وَالْمَآسِي، وَبِالرَّزَايَا الْجِسَامِ
كُلَّمَا ضَاقَ صَدْرُهَا عَنْ حَبَايَا
نَفَثَتْهَا زَلَزِلًا كُلَّ عَامٍ !
فِي حَشَاهَا الْأَضْدَادُ مَاءٌ وَنَارٌ
لَمْ تَزَلْ مُنْذُ أُجِثَتْ فِي اضْطِرَامٍ
وَكُنُوزٌ دَفَّاقَةٌ فَجَّرَتْهَا
فِي سَخَاءٍ مَوْصُولَةٍ الْإِنْعَامِ
وَحَبَايَا مِلءَ الثَّرَى تَتَحَدَّى
أَعْيُنَ الْعِلْمِ فِي تَخُومِ الظَّلَامِ
هِيَ عِنْدَ الرِّضَى مَنَابِعُ خَيْرٍ
لِبَنِيهَا وَمَصْدَرُ الْإِلَهَامِ
تَمْنَحُ الْحُبَّ وَالْحَيَاةَ وَتَسْقِي—
نَا الْمَنَايَا مَشُوبَةً بِالسَّلَامِ
مَنْ يَعِشْ فَوْقَهَا يَعِشْ فَوْقَ بُرٍ
كَانَ رَهيبَ اللَّظَى بِغَيْرِ صَمَامِ !



كَمْ أَطَاحَتْ هَزَاتُهَا بِقُصُورٍ
وَمَغَانٍ وَخَلَفَتْ مِنْ رُكَامٍ !
وَلَكُمْ رَوَّعَتْ شُيُوخاً وَأَطْفَالاً
لَا ضِعَافاً تَعِيشُ تَحْتَ الْخِيَامِ
وَطَوَى هَوْلَهَا شُعُوبَ حَضَارَا
تٍ تَوَالَتْ مِنْ عَهْدِ سَامٍ وَحَامِ
زُلْزَلَتْ تَحْتَهُمْ فَعَادُوا إِلَيْهَا
وَاحْتَبَسَتْهُمْ كَأَوْسَعِ الْأَرْحَامِ
كَمْ مَشَوْا فَوْقَهَا طَوَاوِيسَ تَخْتَا
لُ وَعَاشُوا فِي الْأَرْضِ كَالْأَصْنَامِ !
رُبَّ طِفْلٍ قَدْ كَانَ قُرَّةَ عَيْنِي
وَالِدَيْهِ أَضْحَى مِنَ الْإِيْتَامِ
مَا رَأَى الْأَرْضَ وَهِيَ تَرْقُصُ يَوْماً
فِي جُنُونٍ تَهْدُ كُلَّ مُقَامِ
مَا رَأَى النَّاطِحَاتِ وَهِيَ كَأُورَا
قٍ خَرِيفٍ تَخِرُّ لِأَقْدَامِ !
مَا رَأَى الْحَشَرَ قَبْلَ مَوْعِدِ حَشَرِ
وَابْتِلَاعِ التُّرَابِ لِأَقْوَامِ
فِي ثَوَانٍ بَدَا بِهَِا كُلُّ شَيْءٍ
غَيْرَ شَيْءٍ، وَاخْتَلَّ كُلُّ نِظَامِ !

أُخْرِسَتْهُ الْمَاسَاةُ وَانْهَارَ حُزْنًا
مُنْذُ رَأَى مَنْ يُحِبُّ تَحْتَ الْحُطَامِ
أُخْرِجُوا أُمَّهُ وَلَوْ رَحِمُوهُ
تَرَكَوْهَا فِي ظِلْمَةِ الْأَكْوَامِ !
وَحَبِيبَيْنِ شَيْدَا عُشٍّ حُبٍ
دَافَى الْحِضْنَ رَائِعَ الْأَحْسَامِ
خُسِفَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَا عَلَى مَهْ—
سِدِّ وَمَاتَا وَالْحُبِّ فِي الْأَكْمَامِ !
وَمُسْنٍ مَشَى بِهِ الْعُمُرُ أَحْقَا
بَاءَ وَقَاسَى فَجَائِعَ الْأَيَّامِ
لَمْ يَمُتْ فِي حَرْبٍ، وَلَا مَاتَ مَهْمُو
مَا وَلَمْ يَشْكُ جِسْمُهُ مِنْ سَقَامِ
قَدْرًا كَانَ أَنْ يَمُوتَ بِلَا أَهْ—
لِ وَيَمْشِي لِلْقَبْرِ دُونَ احْتِرَامِ !
كَمْ غَنِي طَوْتُهُ فِي لَحْظَةِ الْعَيْ—
نِ وَمَا شَادَهُ مِنَ الْأَهْرَامِ
مَرَّ طَيْفًا وَلَمْ يَعُدْ غَيْرَ رَقْمٍ
فِي الضَّحَايَا كَسَائِرِ الْأَرْقَامِ !
وَأَخِي كِبْرِيَاءَ شَامِخِ أَنْفٍ
مَرَّغَتْ كِبَرَ نَفْسِهِ فِي الرِّغَامِ !

وَنَوَادِ لِلْأُنْسِ عَادَتِ قُبُوراً
لَيْسَ فِيهَا مِنْ عَادَةٍ أَوْ مُدَامِ
نَعَبَ الْبُومِ فِي مَقَاصِيرِهَا الْحُمِ
رِ وَحَلَّتْ بِهَا نُسُورُ الْحِمَامِ !



أَهُوَ الْخَسَفُ ؟ قَدْ تَوَالَى نَذِيرًا
وَعَقَابًا لِعَالَمِ الْإِجْرَامِ
أَمْ تَرَاهُ الدَّوَاءَ مِمَّا تَعَانِي
هَذِهِ الْأَرْضُ مِنْ أَذَى وَازْدِحَامِ ؟
لَكَأَنِّي بِهَا وَقَدْ عَاثَ مَنْ فِيهِ
— هَا فَسَادًا أَوْ غَاصَ فِي الْآثَامِ
فَقَدْتُ صَبْرَهَا ! وَلَمْ تَتَحَكَّمْ
وَهِيَ غَضَبِي - أَعْصَابُهَا فِي الزِمَامِ
رُبَّ دَاءٍ يَكُونُ فِيهِ دَوَاءٌ
وَوُجُودٍ يُتَّاحُ بَعْدَ انْعِدَامِ
وَلَقَدْ تَقَرَّعُ الطُّبُّوْلُ فَتَضَحُّو
عِنْدَ دَقَّاتِهَا عُقُولُ النِّيَامِ !
وَلَقَدْ تُنْذِرُ السَّمَاءُ فَيُصْغِي
لِنِدَاهَا مَنْ ظَلَّ كَالْأَنْعَامِ !

حَضَارَةٌ

نَزَعَرْدُ لِلْأَهْلَةِ فِي ابْتِسَامِ
وَفِي الْفَمِ مِنْ تَبَسُّمِهَا ابْتِسَامُ !
وَمِلءُ النَّفْسِ أَحْلَامٌ عِذَابُ
وَأَمَالُ تَجِيشُ بِهَا عِظَامُ
تَغِيبُ أَهْلًا وَتُطِلُّ أَخْرَى
وَأَعْيَادُ تُودِعُ أَوْ تُقَامُ
وَلَمْ يَعْرِفْ بَنُو الدُّنْيَا هَذَا
يُـرَاوِدُهُمْ، وَلَمْ يَهْبِطْ سَلَامُ !
وَقَالُوا : الْعِلْمُ قُلْتُ أَجَلَ وَلَكِنْ
سِيَاجُ الْعِلْمِ أَخْلَاقُ كِرَامُ
فَمَا تُجِدِي الْحَضَارَةَ صَانِعِيهَا
إِذَا هَدَمْتَ قُورَاهَا مَا أَقَامُوا
وَلَا تُجِدِي الْعُلُومُ شُعُوبَ أَرْضِ
إِذَا اقْتَتَلُوا بِعِلْمِهِمْ وَهَامُوا
مَلَائِكَةُ الشُّعُوبِ مُشَرَّدَاتُ
تَعُجُّ بِهَا الْمَلَاجِيءُ وَالْخِيَامُ
وَتَنْطَلِقُ الْمَرَكَبُ فِي جُنُونِ
إِلَى الْأَجْوَاءِ يَرْهَبُهَا الْغَمَامُ

لِتَحْمِلَ لِلْكَوَاعِبِ كُلِّ شَرِّ
 عَلَيْهِ فَوْقَ كَوَكِبْنَا اَزْدِحَامُ
 كَانَ الْأَرْضُ ضَاقَتْ عَنْ بَنِيهَا
 وَسَادَ الْعَدْلُ فِيهَا وَالنِّظَامُ !
 وَعَمَّ الْأَمْنُ وَأَنْطَفَأَتْ حُرُوبُ
 وَعَادَ لِعَمْدٍ عَنَتَرَهَا الْحُسَامُ !



فَيَا دُنْيَا الْحَضَارَةَ لَسْتَ إِلَّا
 نَعِيمًا طَعْمُهُ الْمَوْتُ الزُّوَامُ
 وَلَسْتَ سِوَى سَرَابٍ فِي رِمَالِ
 وَمَعْرَكَةٍ نَهَايَتُهَا انْهِزَامُ
 وَبَرَقِكَ خَلْبٌ لَاغِيثَ فِيهِ
 وَنُورُكَ فِي مَوَاكِبِنَا ظِلَامُ
 جِرَاحُ بَنِيكَ تَنْزِفُ كُلَّ يَوْمٍ
 يُعْرِبِدُ فِي مَصَارِعِهَا الْحِمَامُ
 عُرَاةٌ لَا يُدْتَرَهُمْ كِسَاءُ
 جِيَاعٌ لَا يُتِيحُ لَهُمْ طَعَامُ
 يَعِيشُ مَعَذَّبُوكَ بِأَلَا غِذَاءُ
 وَيَقْتُلُ مُتَخَمِّيكَ الْإِلْتِهَامُ !

وَتَنْتَفِخُ الْجُيُوبُ بِإِلَاجِهِ وَدِ

لَتَنْسَحِقَ السَّوَادُ وَالْعِظَامُ !

وَلَيْسَ لِأُمَّةٍ تَرْجُو نُهْوضاً

إِذَا فَسَدَتْ ضَمَائِرُهَا - قِيَامُ !

يُقْتَلُ فَوْقَ أَرْضِهِمْ وَبَنُوهَا

وَمَنْ صَنَعُوا خَضَارَتَهَا نِيَامُ !

وَيَبْكِي خَلْفَ أَمْوَاجِ الضَّحَايَا

بِدَمْعِ الْفَاجِرَاتِ الْعَمَّ سَامُ !

حَيَاةٌ كُلُّهَا قَلَقٌ وَرُعْبٌ

وَمَأْسَاءٌ وَلَيْسَ لَهَا خِتَامُ

لَهَا ثَلَاثُ لَايْمَلُ وَرَاءَ مَالٍ

بِهِ جُنُّوا وَحَوْلَ دُمَاهُ حَامُوا

كَأَنَّكَ مُوَمِّسٌ شَوْهَاءٌ يُخْفِي

مَعَايِبَهَا عَنِ النَّاسِ اللَّثَامُ !

مَسَاوٍ لَا تَرَاهَا عَيْنُ صَبٍ

بِلَايِلَاهُ مُعْنَى مُسْتَهَامُ

أَحَالَتْ وَجْهَهَا الْوَضَاءَ وَجْهًا

يُجَلِّلُ حُسْنَ طُلَعَتِهِ قَتَامُ

سَيُخْطِي مَنْ يَرَاكَ بِغَيْرِ عَيْنِي

وَيَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلَ النَّعَامُ !

إِذَا مَا اخْتَرْتُ عَنْ عِلْمٍ بَدِيلاً
فَإِنَّ بَدِيلَهُ عِنْدِي السَّلَامُ
وَحَسْبِي أَنْ يَغْمَّ الْأَرْضَ حُبٌّ
وَيَجْمَعَ كُلَّ أَهْلِيهِ _____ وَثَامُ

* ● *

فَيَا الْحَضَارَةَ شَقِيتَ بَنُوهَا
وَلَمْ يَسْعُدْ بِطَلْعَتِهَا نِظَامُ !
مَصِيرُ الْكَوْنِ فِي لَمَسَاتِ زُرِّ
وَقَدْ يَأْتِي إِذَا انْفَلَتَ الصِّمَامُ !
مَفَاعِلُ بِالْدمَارِ مُعَبَّئَاتُ
يَهْدِيهَا انصِهَارٌ وَاخْتِدَامُ
وَمِلْءُ الْبَحْرِ تَخْتَالُ الْمَنَايَا
لِتَنْسِفَنَا إِذَا حُمَّ اضْطِدَامُ
عَفَارِيثُ مُسَخَّرَةٌ لِـيَوْمِ
يُجِنُّ الْعَقْلُ فِيهِ أَوْ يَنَامُ !
وَمِنْ خَطَا الطَّبِيبِ يَمُوتُ شَيْخٌ
وَمِنْ إِهْمَالِهِ يَقْضِي غُلَامُ

* ● *

مَضَتْ فِي الذَّاهِبِينَ وَلَمْ تُعْمَرْ
حَضَارَاتٌ وَلَمْ يَطُلْ الْمُقَامُ
تَفَشَّى الْمَسْخُ فِيهَا وَاسْتَبَاحَتْ
مَحَارِمَهَا وَوَجَّهَهَا الطَّغَامُ
فَتَلَّكَ بَيُّوتُهُمْ أُمْسَتْ خَرَاباً
وَمَا شَادُوهُ مِنْ مَجْدٍ حُطَامُ !
كَأَنَّ لَمْ تُذْبَحِ الْأَخْلَاقُ فِيهَا
وَلَمْ يُسْفَحِ بَحَانَاتٍ مُدَامُ !
وَلَمْ يُسَلَبِ ضَعِيفٌ مِنْ حُقُوقِ
وَلَمْ يُنْهَبْ بِهَا مَالٌ حَرَامُ !
وَاللِّشَّهَوَاتِ إِنْ تُرِكَتْ جَمَاحُ
كَخَيْلٍ لَا يُوجِّهَهَا لِجَامُ
تَقُومُ حَضَارَةٌ وَتَزُولُ أُخْرَى
وَلَيْسَ لِفَاسِدٍ مِنْهَا دَوَامُ !

العرافُ

خَطَّ فِي الرَّمْلِ وَأَلْقَى وَدَعَاهُ
وَارْتَدَى ثَوْباً غَرِيْباً رَقَعَهُ
وَدَعَا شَيْطَانَهُ مُسْتَلْهِمًا
فَأَبَى شَيْطَانُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ !
وَرَمَى الْأَعْشَابَ فِي مَجْمَرِهِ
فَأَثَارَتْ فِي فُضَاهُ زَوْبَعَهُ
مُوحِشًا كَالْغُولِ يُرْغِي مُزْبَدًا
نَاشِرًا فِي غَيْرِ وَعِي أُنْزَعَهُ
يَتَلَقَّى زَاعِمًا إِلَهَامَهُ
مِنْ عَفَارِيْتِ تُلْبِي مُسْرِعَهُ
يَسْجُنُ الْمَارِدَ إِنْ خَالَفَهُ
وَإِذَا مَا غَابَ عَنْهُ صَرَعَهُ !
وَتَدَلَّتْ سَبْحَةً مِنْ عِنْقِهِ
لَيْسَ لِلذِّكْرِ، وَلَكِنْ خُدَعَةُ !
نَزَلَ الْحَيِّ فَمَا أَسْرَعَ مَا
أَمِنَ الْحَيُّ بِهِ وَاتَّبَعَهُ !
وَرَأَى أَوْهَامَهُ مُعْجِزَةً
وَدِلَالَاتِ غُيُوبٍ مُقْنَعَةً

كَسَدَ الطَّبِّ بِهِ يَوْمَ بَنَى

بَاطِلَ الْعَرِافِ فِيهِ مَصْنَعُهُ !

وَأَحَسَّ الدِّينُ فِيهِ غُرْبَةً

وَضَلَالَاتٍ تُغْشِي مَهْيَعَهُ

وَتَوَارَى الْعَقْلُ فِي غَيْبِوْبَةٍ

كُلُّ مَنْ فِيهَا غَيْبٌ إِمَّعَهُ

عَاشَ كَالْتَّعَلَبِ فِي أُنْبَاءِهِ

لَيْسَ شَيْءٌ فِيهِ يُطْفِئُ جَشَعَهُ !

هُوَ فِي الْحَيِّ وَلَيٌّْ صَالِحٌ

وَهُوَ كَالْتِمْسَاحِ يُجْرِي أَدْمَعَهُ !

كَمْ جُيُوبٍ غَاصَ فِي أَعْمَاقِهَا

بِدَهَاءٍ وَاسْتَحَالَتْ مَنَبَعُهُ !

وَبُيُوتٍ دَبَّ فِي بُنْيَانِهَا

ثُمَّ لَمْ يَتْرُكْهُ حَتَّى صَدَعَهُ !

* ● *

سَأَلَ الْحَسَنَاءَ عَنْ عُقْدَتِهَا

نَاسِيًا شَيْطَانَهُ كَيْ يُطْلِعَهُ

قَالَ : مُدِيَ يَدِكَ الْيُمْنَى أَرَى

حَظَّ حَسَنَائِي : أَلَا مَا أُبْنِعُهُ

حَرَّكَ الرَّمْلَ وَأَوْرَى نَارَهُ
 ثُمَّ سَوَّاهُ وَأَجْرَى أَصْبَعَهُ
 وَطَوَى بَعْدَ ثَوَانٍ يَدَهُ
 مُبْدِيًا مِمَّا رَأَى هَلَعَهُ
 سَأَلَتْ عَنْ غَائِبٍ تَعَشَّقُهُ
 هَلْ لَهُ مِنْ حَيَاةٍ كَيْ يُرْجِعَهُ ؟
 قَالَ : مَا أَبْصَرَهُ يُخْبِرُنِي
 أَنَّ بَعْدَ الضِّيقِ تَأْتِيكَ السَّعَةُ
 وَحَبِيبُ الْقَلْبِ يَأْتِيكَ بِسَلَا
 مَوْعِدٍ بَعْدَ شُهُورٍ أَرْبَعَهُ !
 طَارَتِ الْحَسَنَاءُ مِنْ فَرْحَتِهَا
 وَرَأَتْ مِفْتَاحَ مَنْ تَهْوَى مَعَهُ !
 كُلُّ مَا يَطْلُبُ مِنْهَا ثَمَنًا
 وَجَزَاءً تَرْتَضِي أَنْ تَدْفَعَهُ !



قَالَ لِأَبَاسٍ خُذِي هَذِي الرُّقَى
 وَادْفَنِيهَا فِي تُرَابِ الْمَزْرَعَةِ !
 وَأَرْبُطِي هَذِي بِخَيْطٍ أَسْوَدٍ
 فِي مَهَبِّ الرِّيحِ تُؤْذِي مَضْجَعَهُ !

سَوْفَ يَأْتِيكَ وَيَحْظَى بِالْمُنَى
كُلُّ قَلْبٍ وَيُـلَاقِي مَطْمَعَهُ !

* ● *

وَمَضَى عَامٌ وَعَامٌ بَعْدَهُ
وَهِيَ تَحِيًّا بِالْأَمَانِي الْمُتَرَعَّةِ

لَمْ يَعُدْ مَحَبُّوْبَهَا إِلَّا عَلَى
ظَهْرِ نَعَشٍ هِيَ مِمَّنْ شَيَّعَهُ !

ضَيَّعَ الْحُزْنَ عَلَيْهِ عُمْرَهَا
مِثْلَمَا الْحُزْنَ عَلَيْهَا ضَيَّعَهُ !

وَاخْتَفَى الْعَرَّافُ لَيْلًا عِنْدَمَا
غَضِبَ الْحَيُّ عَلَى مَنْ خَدَعَهُ !

تَارِكاً فِيهِ ضَحَايَاهُ الَّتِي
مِنْ شَقَا أَيَّامَهَا مَا جَمَعَهُ !

وَقُلُّوباً دَامِيَّاتٍ لَمْ يَكُنْ
جُرْحُهَا يَوْمًا لِيَنْسَى مَبْضَعَهُ !

* ● *

لَوْ دَرَى الْعَرَّافُ مَايُخْبِيهِ
غَدُهُ مِنْ نَكَبَاتٍ مُفْجِعَةٍ

لَرَمَى الْفَنُجَانُ وَالرَّمْلَ الَّذِي
غَاصَ فِيهِ، وَلَأُلْقَى وَدَعَاهُ !

وَإِذَا لَمْ يَجِدِ الدَّجْلُ قُوًى
تَتَحَدَّى وَتُعَرِّي بِدَعَاهُ

عَشَّشَ الْجَهْلُ وَأَلْقَى ظُلْمَهُ
وَاسْتَطَابَ الدَّجْلُ فِيهَا مَرْتَعَهُ !

النَّازِح

تَائِهَ الْخَطْوَةِ وَانِي خَذَلْتُهُ الْقَدَمَانِ
مُطَرِّقُ فَوْقَ عَصَى لَمْ تَتَعَوَّذْهَا الْيَدَانِ
يَسْكُبُ الدَّمَعَ وَلَا تَنْضُبُ مِنْهُ الْمُقْلَتَانِ
كَانَ صُلْبَ الْعُودِ لَا يَضْعُفُ مِنْ عَصْفِ الزَّمَانِ
يَحْرُثُ الْأَرْضَ وَيَسْقِيهَا وَيَشْدُو بِالْأَغَانِي
عَاشِقٌ لَيْسَ لَهُ فِي حُبِّهِ لِلْأَرْضِ ثَانِي !
عَاشَ مِنْ فَيْضِ ثَرَاهَا فِي نَعِيمٍ كَالْجِنَانِ
حَوْلَهُ الْقُطْعَانُ وَالزَّهْرُ وَأَسْرَابُ الْحِسَانِ
وَسَوَاقِي الْمَاءِ تَنْسَابُ رَحِيقاً كَالْجُمَانِ
هُوَ وَالْفَجْرُ عَلَى تِلْكَ الرَّوَابِي عَاشِقَانِ !
يَرْقُبُ الْفَجْرَ مَعَ الدِّيكِ وَيَهْفُو لِلْأَذَانِ



وَدَّعَ الْقَرْيَةَ وَالْحَقْلَ وَأَعْرَاسَ الْمَغَانِي
وَبَكَى زَوْجَتَهُ فِيهَا وَمَاتَ الْوَلَدَانِ
سَامَهُ الشَّيْخُ الْعَذَابَاتِ وَالْوَانَ الْهَوَانِ
وَعَدَا الْمَوْتُ الَّذِي يَكْرَهُ مِنْ أَعْلَى الْأَمَانِي !
حَسِبَ الْهَجْرَةَ مِنْهَا مُبْلِغاً شَطَّ الْأَمَانِ

وَأَتَى يَرْحَفُ فِي شَوْقٍ إِلَى دُنْيَا الْحَنَانِ !
فَرَأَى الْأَقْوَامَ فِيهَا وَهِيَ فِي حَرْبٍ عَوَانِ
غَابَةً ! أَغْرَبُ مَا فِيهَا افْتِرَاسُ بِالْبَنَانِ !
جَفَّ فِيهَا كُلُّ حُبٍّ وَالتَّوْتُ كُلُّ الْمَعَانِي
يَغْرُقُ النَّازِحُ فِيهَا بَيْنَ غَازٍ وَدُخَانِ
لَيْسَ يَلْقَى جَحْرَ ضَبٍّ بَيْنَ آلَافِ الْمَبَانِي
كُرَّةٌ تَقْدِفُهَا الْأَيْدِي إِلَى أَقْصَى مَكَانِ !



أَيُّهَا النَّازِحُ عَنْ دُنْيَاهُ مَكْلُومَ الْجَنَانِ
غَرَّ عَيْنَيْكَ سَرَابٌ لَمْ يَدُم إِلَّا ثَوَانِي
خُصَّتْ بَحْرًا لَيْسَ يُجْدِي فِي دُجَاهُ الْمَجْدَفَانِ
فَإِذَا الْحَسْرَةُ بِالْهَجْرَةِ فِيهَا حَسْرَتَانِ !
أَيْنَ مِنْ عَيْنَيْكَ أَطْيَافُ الْعَشَايَا فِي السَّوَانِي ؟
وَتَغَاءُ الشَّاءُ أَحْلَى مِنْ رَصِيدِ الْإِصْبَهَانِ !
وَالرُّبَى عِطْرٌ وَحِنَاءٌ وَزَهْرٌ أَرْجَوَانِي
وَزَعَارِيدُ الصَّبَايَا فِي الْمَرَاعِي كَالْمَثَانِي
أَيْنَ مِنْ عَيْنَيْكَ يَوْمَ فُزْتُ فِيهِ بِالرَّهَانِ ؟
كُنْتُ فِي الْمِضْمَارِ سَبَاقًا عَلَى خَيْرِ حِصَانِ
قَبْلَةَ الْأَنْظَارِ فِي الْقَرْيَةِ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ

أَيُّهَا النَّازِحُ لَا عَيْشَ لِحُرِّ فِي امْتِهَانِ
عُدْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي غَذَّتْكَ مِنْ خَيْرِ لَبَانِ
أَنْتَ لِلْمَغْرِبِ فِيهَا إِنْ تَصْنُهَا خَيْرُ بَانِي
وَعَدًا تَسْتَقْبِلُ الْفَجْرَ وَتَنْسَى مَا تُعَانِي
عُدْ إِلَى الْعُشِّ فَفِي عُشِّكَ أَطْيَافُ الْأَمَانِي
سَوْفَ يَلْقَوْنَكَ بِالْأَحْضَانِ فِيهَا وَالتَّهَانِي !

العَابِثُونَ

إِذَا عَبَثَ الْكِبَارُ وَلَمْ يُدَانُوا
بِمَا فَعَلُوهُ وَامْتَحَنَ الصِّغَارُ !
فَلَا تَعْجَب إِذَا مَاحَلَ مَسْخٌ
بِأَقْوَامٍ وَحَلَ بِهِمْ دَمَارُ !
وَأَيُّدِي الْعَابِثِينَ وَإِنْ أَطَالَتْ
أَظَافِرُهَا فَأَذْرَعُهَا قِصَارُ
وَمَا فِي صَوْلَةِ الْقَانُونَ عَيْبٌ
وَلَا فِي قِسْوَةِ الْأَحْكَامِ عَارُ !
وَلَا كَالْعَدْلِ فِي الدُّنْيَا أَسَاسٌ
لِمُنْشَأَةٍ يُرَادُ لَهَا قَرَارُ !
إِذَا تُرِكَتْ ذِنَابُ الشَّرِّ تَعْتُو
كَمَا شَاءَتْ وَكَانَ لَهَا الْقَرَارُ
فَلَنْ تَجْرِيَ الرِّيحُ بِمَا اشْتَهَيْنَا
وَلَنْ يَجْرِيَ بِأُمَّتِنَا قِطَارُ !
وَمَا تَرْجُونَ مِنْ أَمْنَاءٍ سُوءٍ
إِذَا سَنَحْتَ لَهُمْ فُرْصَ اغْوَارُوا ؟
جِيَاعٌ لَيْسَ يُتَخَمُّهُمْ طَعَامٌ
ظَمَاءٌ لَا تُرْوِيهِمْ بَحَارُ !

مَخَازِيهِمْ رَوَائِحُ مَنْتِنَاتُ
وَمَأْسَاءُ يُمِثِّلُهَا شِرَارُ
فَضَائِحُ لَا يُبْرِئُ صَانِعِيهَا
يَمِينٌ فِي الْبِلَادِ وَلَا يَسَارُ
بِلَادِي جَنَّةٌ لَاحِظٌ فِيهَا
لِمَنْ عَقُّوا أُمُومَتَهَا وَجَارُوا
تَكْرُمُ كُلِّ شَهْمٍ مِنْ بَيْنِهَا
وَتَضَهَّرُ مَنْ يَقُومُهُ انْصِهَارُ !
غَدَا تَغْدُو صَحَارِيهَا رِيَاضاً
وَيَصْدَحُ فِي خَمَائِلِهَا الْهَزَارُ
وَيَطْفَحُ بِالشَّائِرِ كُلِّ قَلْبٍ
وَيَغْمُرُهَا النَّمَاءُ وَالْأَزْدِهَارُ
هَوَاهَا فِي الْفُؤَادِ هَوَى أَصِيلُ
وَكُلُّ هَوَى سِوَاهَا مُسْتَعَارُ !
أَبُوحُ بِحُبِّهَا وَالْغَيْرُ يُومِي
كَخُرْسٍ إِنْ هُمُ نَطَقُوا أَشَارُوا !



أَرَى بَاكِينَ حَوْلِي فِي سَخَاءِ
دُمُوعِهِمْ عَلَى غَيْرِي غَزَارُ

وَفِي أَرْضِي هُمُومٌ لَمْ يَرَوْهَا
 وَأَحْدَاثٌ تَمُرُّ بِهَا كِبَارُ !
 كَأَنَّهُمْ — أَرَامِلٌ فِي حِجْدَادِ
 وَأَغْرَابٌ نَبَتَ بِهِمُ الدِّيَارُ !
 وَقَالُوا : الشَّعْرُ بَوُحٌ وَالتِّزَامُ
 فَقُلْتُ نَعَمْ، إِذَا صَدَقَ الشَّعَارُ !
 وَمَا ذَنْبِي إِذَا أَحْبَبْتُ أَرْضِي
 وَكُنْتُ عَلَى مَسِيرَتِهَا أَغَارُ ؟
 يَقُودُ سَفِينَهَا مَلِكٌ غَيُورٌ
 لَهَا مِنْ فِكْرِهِ الْهَادِي مَنَارُ
 فَلَا زَالَتْ عُيُونٌ مِنْ عِدَاهُ
 تُورِقُهَا مَوَاقِفُهُ الْكِبَارُ !

التائه

هَائِمًا لَمْ يَدُنْ مِنْهُ مَرْقَاً !
وَتَخَلَّى عَنْهُ مَوْتُ مُبْطِئٍ
لَيْسَ لِلتَّائِهَةِ فِيهَا مَلْجَأٌ
وَهُوَ كَالْبَحْرِ الَّذِي لَا يَهْدَأُ !
قَارِئاً فِيهِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ !
حَدَّثُوا عَنْهُ وَلَا مَنْ يُنْبِئُ !
فَاجِصاً مِنْ حَوْلِهِ يَسْتَقْرِئُ !
وَبَصِيصاً فِي الدُّجَى يَنْطَفِئُ !
عَنْ حَيَاةٍ قَدْ عَلَاهَا الصَّدَأُ !
أَوْ يُصَنُّ بَيْنَ بَنِيهَا مَبْدَأُ !
كَانَ رَقَافاً وَجَفَّ الْكَلَأُ !

أُيْهِيَ التَّائِهَةُ فِي زُورِقِهِ
لَفَّهَ اللَّيْلُ وَأَضْنَاهُ السُّرَى
وَحَدَهُ يَجْدِفُ فِي عَاصِفَةٍ
يَأْلَفُ الْغُرْبَةَ فِي وَحْدَتِهِ
سَابِحاً فِي الْكَوْنِ يَجْلُو سِرَّهُ
يَسْأَلُ النَّاسَ عَنِ الْخَيْرِ الَّذِي
أَوْقَدَ الْفَانُوسَ فِي رَأْدِ الضُّحَى
لَمْ يَجِدْ مَنْ حَوْلِهِ إِلَّا دُمَى
وَبَقَايَا مِنْ جَمَالِ رَاحِلٍ
لَمْ تَعُدْ تُرْفَعُ فِيهَا قِيمٌ
شَاهَ مِنْ حَوْلِهِ الرُّوضُ الَّذِي

* *

هَائِمًا لَمْ يَدُنْ مِنْهُ مَرْقَاً !
ظَلَّ فِي غَيْهِبِهِ يَخْتَبِئُ
وَعَدَا يَبْدُو النَّهَارُ الْأَضْوَا
لَمْ يُمِثَّهُ فِي الصَّحَارِي الظَّمَا !
شَيْءٌ لِأَحْرَارٍ أَنْ لَا يَهْنَأُوا
وَضُنُونِي أَبَدًا لَا تُخْطِئُ !

أُيْهِيَ التَّائِهَةُ فِي زُورِقِهِ
سَوْفَ تَرُسُو وَتَرَى النُّورَ الَّذِي
وَعَدَا تُزْهِرُ أَغْصَانُ الْمُنَى
رُبَّمَا مَاتَ بِيَّاسٍ يَأْسُ
مَا عَلَى الْحُرِّ إِذَا عَانَى فَقْدُ
إِنَّ ظَنِّي أَنْ فَجْراً طَالِعُ

الأنطاف (*)

وَقَالُوا : فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ خَيْرٌ
فَقُلْتُ نَعَمْ، وَلَكِنْ فِي السَّبَاقِ
وَأَيْنَ الْخَيْرُ فِيهَا وَهِيَ كَادَتْ
تَطِيرُ بِمُهْجَتِي بَيْنَ الرِّفَاقِ ؟
فَيَا فَرَسًا جَمُوحًا كَانَ أُحَرَى
بِمِثْلِهِ أَنْ يُقَيَّدَ فِي وَثَاقِ !
تَهْجَمُ كَالْقَضَاءِ وَلَيْسَ يَدْرِي
مَغْبَلَةٌ طَيْشِهِ عِنْدَ انْطِلَاقِ
أَغَارَ مِنَ الْمَرَاقِبِ فِي جُنُودِ
يُيَارِيهَا فَيَعْجِزُ عَنْ لَحَاقِ ؟
كَأَنَّ لَهُ مَعَ الْأَقْدَارِ وَعُدَا
لَيْلَتَقِيَا وَنَفَجَ بَالَتَّلَاقِي !
نَجُونَا مِنْ حَمَاقَتِهِ بِلُطْفِ
وَكَانَ عِقَابُهُ تَكْسِيرَ سَاقِ !
لَمَحَتْ الْحُزْنَ مِنْ عَيْنَيْهِ يَبْدُو
وَأِنْ لَمْ يَبْكْ بِالدَّمْعِ الْمُرَاقِ !

(*) ارتجلت هذه الأبيات وأنا عائد من حفل المولد كان برفقتي الشاعر عبد الواحد أخريف حين تعرضنا لحادث سير مروّع من فرس جامح اقتحم السيارة وحطم واجهتها خرجنا منها بلطف وفارقنا الفرس وقد كسرت إحدى قوائمه.

شَجَانِي أَنْ أُغَادِرَهُ مَهِيضاً
يَدِبُّ عَلَى قَوَائِمِهِ الْبَوَاقِي !
وَلَوْ لَا لُطْفُهُ انْطَفَأَتْ بَقَايَا
شُمُوعٍ مِنْ حَيَاةٍ فِي السِّيَاقِ !
زَهَبْنَا لِلرِّبَاطِ لِمَدْحِ طَهْ
فَحَاشَا أَنْ نُجَازِيَ بِالْفِرَاقِ
إِذَا لَمْ يَحْمِكَ الرَّحْمَانُ مِمَّا
تُحَاذِرُهُ فَمَالِكَ أَيَّ وَاقِي !
وَمَا لِلْمَرْءِ مِنْ قَدَرٍ مَحِيدٌ
وَلَا هُوَ دُونَ كُلِّ النَّاسِ بَاقِي

حَالَةٌ

بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّعْرِ وَأَسْفَاهُ مَا يَحْكِي الْقَطِيعَةُ
قَدْ كُنْتُ أَكْتُبُهُ فَتَاتَنِي قَوَافِيهِ مُطِيعُهُ
أَكْذَا خَرِيفُ الْعُمْرِ يُقْصِينَا وَيُنْسِينَا رَبِيعُهُ ؟
فَإِذَا خَمَائِلُهُ ذَوَابِلُ بَعْدَمَا كَانَتْ مَرِيعُهُ
تَمْشِي الْحَيَاةُ بِنَا إِلَى غَايَاتِنَا بِخُطَى سَرِيعُهُ
سَيَّانٍ فِيهَا مَنْ تَشَاءَمُ أَوْ تَفَاءَلُ فِي الْفَجِيعُهُ !
سَيَّانٍ مَنْ سَارَ الْهُوَيْنَى أَوْ تَقَدَّمَ فِي الطَّلِيعُهُ !
فَوَرَاءَنَا قَدَرٌ يَسُوقُ كَمَا يَطِيبُ لَهُ قَطِيعُهُ !
مَا الْعُمْرُ أَجْمَعُهُ إِذَا عُرِفَتْ نَهَائَتُهُ الْفُضِيعُهُ ؟
يَاشَاعِرِي لَا تَبْتَنِّسْ وَانْعَمَ بِعِيشَتِكَ الْوُدِيعُهُ
وَأَنْسَ الْحَقِيقَةَ فَهِيَ سِرٌّ لَيْسَ يَحْسُنُ أَنْ نُذِيعُهُ
دَعْنَا نُمَارِسُ لُغْبَةً فِيهَا التَّخَادُعُ وَالْخَدِيعُهُ !
فَالْخَيْرُ فِي أَنْ لَا نَرَى مِنْ كَوْنِنَا إِلَّا شُمُوعَهُ !!
أَنْ لَا نَرَى وَيَلَاتِهِ وَشَقَاءَ كَادِحِهِ وَجُوعَهُ !
وَمَقَامِعَ الظُّلْمِ الَّتِي تُؤْذِي بِقَسْوَتِهَا ضُلُوعَهُ !
يَآمَنْ رَأَتْ عَيْنَاهُ بَذْرًا مَا رَأَتْ عَيْنِي طُلُوعَهُ !
فِي عَالَمٍ مُتَمَرِّدٍ لَمْ تُخْتَرَمْ فِيهِ شَرِيعُهُ !
خُذْ مَرَّةً عَيْنِي لِتُبْصِرَ عَبْرَهَا الصُّورَ الْمُرِيعَهُ !
لَتَرَى بِعَيْنَيْكَ التَّنَاسُقَ وَالتَّنَاقُضَ فِي الطَّبِيعَهُ !

اوریکه

فَجِيعَتِكَ الْهَوَجَاءُ أَفْقَدَتِ الصَّبْرَا
وَمَأْسَاءُ مَنْ وَدَّعَتْ ضِقْنًا بِهَا صَدْرَا
عَجِبْنَا لِفَرْدَوْسٍ يَرَوْعُ أَهْلُهُ
وَلَمْ يَأْمَنُوا فِيهِ مِنَ الزَّمَنِ الْغَدْرَا !
جَبَالُكَ أَهْرَامٌ تَتَوَجَّ هَامَهَا
أَكَالِيلُ ثَلَجٍ تَفْضَحُ الْأَنْجُمُ الزُّهْرَا
شَوَامِخُ تَحْكِي مِنْ نِضَالٍ أَسْوَدَهَا
مَلَا حِمَاهَا الْكُبْرَى وَأَيَّامَهَا الْغُرَا
تَقَجَّرَ فِيهَا كَوُثْرٌ فَوْقَ كَوُثْرٍ
وَنَهْرٌ يُجَارِي فِي تَدْفُقِهِ نَهْرَا !
يَسِيلُ زُلَالًا مُسْتَطَابًا وَخَمْرَةً
إِلَهِيَّةً تُنْسِي أَخَا الْخَمْرَةِ الْخَمْرَا !
وَيَجْرِي إِلَى الْوَادِي الْحَبِيبِ صَبِيبُهُ
لِيَبْدَأَ فِي الْوَادِي مَسِيرَتَهُ الْكُبْرَى
رَبِيعُكَ نَيْرُوزٌ وَصَيْفُكَ وَاحِشَةٌ
وَمُمْتَنِعٌ لَابَرْدٍ فِيهِ وَلَا حَرًّا !
تُطِلُّ عَلَى وَادِيكَ مِنْ كُلِّ رُبُوعَةٍ
خَمَائِلٌ فَاحَتْ فِي جَوَانِبِهِ عِطْرَا

فَمَا أَبْصَرْتَ عَيْنِي فَضَاءً وَلَا سَنَى
وَلَا طُلْعَةً ضَاءَتْ مَلَامِحُهَا بِشُراً
كَمَا أَنْتِ إِشْرَاقاً وَفَيْضٌ وَضَاءَةٌ
وَمُنْطَلَقاً لِلرُّوحِ تَسْلُو بِهِ الْأَسْرَا

* ● *

فَكَيْفَ اسْتَحَالَتْ جَنَّتِي بَعْدَ أَنْسَهَا
خَرَاباً وَعَادَتْ بَعْدَ بَهْجَتِهَا قَبْراً ؟
وَأَيَّةُ رِيحٍ صَرَصَرٍ عَصَفَتْ بِهَا
وَسَيْلٍ أَتَى جَاءَ يَقْتَلِعُ الصَّخْرَا ؟
وَرَعْدٍ تَمِيدُ الْأَرْضُ مِنْ صَعَقَاتِهِ
وَمَوْتٍ يُذِيقُ النَّاسَ مِنْ كَأْسِهِ الْمُرَا !
وَيَعْلُو هَدِيرُ السَّيْلِ حَتَّى تَخَالُهُ
زَلَزَلٌ فِي الْأَذَانِ تَمْلَأُهَا وَقْراً
كَصِيحَةِ عَادٍ دَمَّرَتْ كُلَّ عَامِرٍ
فَلَمْ يَنْجُ مِنْهَا مَنْ أَقَامَ وَمَنْ فَرَا !
تَهَاوَتْ مَبَانِيهَا الْعِجَافُ كَأَنَّهَا
هَشِيمٌ وَقَدْ كَانَتْ لِسَاكِنِهَا قَصْراً !
وَمِنْ لَمْ يَمُتْ فِيهَا غَرِيقاً فَقَدْ قَضَى
بِمَا شَاهَدَتْ عَيْنَاهُ مِنْ هَوْلِهَا دُعْراً !

وَلَوْ لَا رِجَالٌ مِنْ بَيْنِهَا بِوَأْسِلْ

تَحْدُوا هَوَادِي السَّيْلِ وَاقْتَحَمُوا الْوَعْرَا

لَمَّا سَلِمَ النَّاجُونَ مِنْ قَبْضَةِ الرَّدَى

وَإِعْصَارِهِ الْمَجْنُونِ وَالتَّهْمُوا طُمْرَا !

فَكَمْ مِنْ غَرِيقٍ لَمْ يَجِدْ يَدَ مُنْجِدٍ

هَوَى فِي مَجَارِي الْمَوْتِ وَاسْتَقْبَلَ الْقَعْرَا

وَأُمِّ حَنْوْنٍ حَاصَرَ السَّيْلُ طِفْلَهَا

وَهَبَّتْ لِتُنْجِيهِ فَضَاعَتْ هِيَ الْآخَرَى !

وَشَيْخٌ عَلَى جِسْرِ تَرَنَّحَ فَوْقَهُ

أَطَاحَ بِهِ الْإِعْصَارُ فَافْتَقَدَ الْجِسْرَا !

مَيَادِينُ جَالِ الْمَوْتِ فِي حَلَبَاتِهَا

وَحَلَّفَهَا مِنْ بَعْدِ جَوْلَتِهِ صِفْرَا !

كَانَ لَمْ تَكُنْ فِيهَا مَجَالِسُ لِلْهُوَى

وَلَا كَانَ لِلْعُشَاقِ فِي ظِلِّهَا ذِكْرَى !

وَلَا كَانَ فِيهَا لِالْأَرَاجِيحِ وَالصِّبَا

مَلَاعِبُ تُنْسِي الشَّيْخَ فِي لَهْوِهَا الْعُمْرَا !

فَكَيْفَ اسْتَحَالَ الْعُرْسُ فِيهَا مَاتِمًا

وَعَادَتْ وَفُودُ الْأُنْسِ مِنْ عُرْسِهَا حَسْرَى ؟

أَتَوْهَا عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ ثَلَاثَةَ

فَطَابَ لَهُمْ حَتَّى أَقَامُوا بِهَا عَشْرَا !

وَلَوْ دَفَنُوا أَكْبَادَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهَا
 لَخَفَّ الْأَسَى لِكِنَّهُمْ دَفَنُوا الصَّبْرَا !
 فَمَا كَانَ مَنْ مَاتُوا ضَحَايَا فَجِيعَةٍ
 وَلَكِنَّهُ الْهَوْلُ الَّذِي قَسَمَ الظُّهْرَا !
 وَقَالَ مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ لَهَا : اقْلَعِي
 وَلِلْمَاءِ : غَضٌ مِنْ بَعْدَمَا أَنْجَزَ الْأُمْرَا !
 وَأَسْفَرَ ضَوْءُ الْفَجْرِ عَنْ شَرِّ مَشْهَدٍ
 فَظِيْعٌ فَلَيْتَ اللَّهَ لَمْ يُطْلِعِ الْفَجْرَا !



سَقَى اللَّهَ أَغْمَاتًا سَحَابٌ غِيْثُهُ
 وَكَفَّتْ يَدَاهُ عَنْ مَزَارِعِنَا الْقَطْرَا !
 مَشِيئَتُهُ رَبِّ لَا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ
 وَشَرٌّ سَنَجْنِي مِنْهُ فِي غَدِنَا خَيْرَا !
 فَكَمْ نِقْمَةٍ فِي طَيْهَا أَلْفُ نِعْمَةٍ
 وَعُسْرٍ رَأَيْنَا بَعْدَ شِدَّتِهِ الْعُسْرَا !
 وَلَيْسَ لِمَخْأُوقٍ قَرَارٌ وَلَا هَوًى
 وَإِنْ كَانَ يَبْدُو فِي تَصَرُّفِهِ حُرَا !
 وَلَا نُكِبْتُ يَوْمًا بِلَاذِي بَعْدَهَا
 وَلَا لَقِيتُ فِي ظِلِّ عَاهِلِهَا شَرًّا !

شاعر الحربة

وَالنَّجْمُ شَعَّ بِتُونُسَ الْخَضِرَاءِ
عَذْبُ الْمَثَانِي سَاحِرُ الْأَصْدَاءِ
وَشَدَا بِرَوْضَةِ تُونُسَ الْغَنَاءِ
مُتَحَدِيًّا فِي ثَوْرَةِ بَيْضَاءِ
كَأَسُّ تُدَارُ بِلَيْلَةٍ حَمْرَاءِ !
مِنْ شَعْرِهِ سَيْفًا عَلَى الْأَعْدَاءِ
وَالرَّعْدُ يَقْصِفُهُمْ مِنَ الْأَجْوَاءِ
وَأَسْمُ تَأَلَّقَ فِي دُنَى الْأَسْمَاءِ
سَحَرًا وَحَنًّا إِلَيْهِ فِي الْأَمْسَاءِ
وَالْيَاسَمِينُ قِلَادَةُ الْعِذْرَاءِ !

كَالنَّسْرِ حَلَقَ فِي عَنَانِ سَمَاءِ
صَوْتُ تَرَدَّدَ فِي قَضَاءِ عُرُوبَتِي
وَهَزَارُ شَعْرِ أَطْرَبَتْ أَلْحَانُهُ
صَاغَ الْقَرِيضُ مَشَاعِلًا وَمَشَى بِهَا
لَمْ تَلْهِهِ حَسَنَاءُ فَاتِنَةٌ وَلَا
قَدْ أَرَقَّتْهُ هُمُومُ تُونُسَ فَاِنْتَضَى
كَالنَّارِ كَانَ تَوَقَّدًا وَتَأَجَّجًا
قَيْثَارَةً لَمْ تَنْقُطْ أَوْتَارُهَا
أَصْغَى إِلَيْهِ الْبَحْرُ فِي صَلَوَاتِهِ
وَعَرَائِشُ الزَّيْتُونِ فِي رَبَوَاتِهَا

* *

هَذَا الْوُجُودَ لَعَّاشَ فِي صَحْرَاءِ !
وَشُمُوعُ عُرْسٍ أَوْ دُمُوعُ رِثَاءِ
وَالْمَوْتُ يَخْطِفُ أَنْفُسَ النَّبْغَاءِ
بِالنَّصْرِ تَشْهَدُهُ وَبِالْأَجْلَاءِ ؟
وَحَبِيبَهَا فِي الْقِمَّةِ الشَّمَاءِ

مَا الشَّعْرُ إِلَّا شُعْلَةٌ لَوْ لَمْ تُضَيَّ
نَبْضَاتُ قَلْبٍ وَالتَّهَابُ مَشَاعِرِ
يَاشَاعِرًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرُهُ
هَلَا تَرَخَى الْمَوْتُ حَتَّى تَحْتَفِي
وَتَرَى مَوَاكِبَ تُونُسَ فِي عُرْسِهَا

مَنْ لَقَّنَ الْأَجْيَالَ حُبَّ بِلَادِهَا
إِنْ غَابَ فَهُوَ الزَّهْرُ يَتْرُكُ بَعْدَمَا
يَهْنِيهِ شَعْبٌ عَاشَ مِلْءَ عُيُونِهِ
يَهْنِيهِ أَنَّ الشَّعْبَ كَسَّرَ قَيْدَهُ
قَرَّتْ عُيُونُكَ فَاسْتَرَحَ يَا شَاعِرِي
وَأَسْجُدْ لِرَبِّكَ فِي فَنَانِكَ رَافِلًا

وَفِدَاءَهَا بِالرُّوحِ وَالْأَبْنَاءِ
يَذْوِي ذِكِّي الْعِطْرِ وَالْأَشْدَاءِ
وَقَلِّ لِقَائِهِ أَجَلَ وَفَاءِ
لَمَّا أَرَادَ وَهَبَ لِلْإِنْشَاءِ
فِي رَوْضَةٍ غَنَّا مَعَ الشُّهَدَاءِ
مَنْ حُبَّنَا فِي حُلَّةٍ خَضِرَاءِ

أَسِيرُ أَعْمَاتِ

يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ فِي وَاحَاتِ أَعْمَاتِ
أَرَاكَ حَيًّا نَزِيلاً بَيْنَ أُمُوتِ !
أَلَمْ يَضِقْ عَنْكَ قَبْرٌ جِئْتَ تَسْكُنُهُ
وَأَنْتَ كَالنَّجْمِ فِي رَحْبِ السَّمَاوَاتِ ؟
وَيَا ضَجِيعَ الثَّرَى فِي لَيْلٍ وَحَدَّتِهِ
أَأَنْتَ مَنْ كَانَ فِي أَعْلَى الْمَقَامَاتِ ؟
تَعِيشُ فِي رَدَاهَاتِ الْمُلْكِ نَاصِحَةً
بِالْمَسْكِ بَيْنَ أَبَارِيقٍ وَكَاسَاتِ
تَخْتَالُ نَشْوَانَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا
بَيْنَ النِّعَمَيْنِ مِنْ حُورٍ وَجَنَّاتِ
تَصْحُو عَلَى نَعَمِ الْأَوْتَارِ حَالِمَةً
وَتُغْمِضُ الْجَفْنَ فِي أَحْضَانِ غَادَاتِ !
وَأَعْيُنُ الدَّهْرِ وَالْأَحْدَاثِ نَائِمَةً
وَأَنْتَ تَسْبَحُ فِي دُنْيَا الْمَسَرَّاتِ !
كَهَائِمِ نَسِي الْمَاضِي وَوَدَّعَاهُ
وَأَغْمَضُ الْعَيْنَ لَا يَرُنُّو إِلَى الْآتِي !
غَفُوتَ وَالِدَّهْرُ لَا يَغْفُو فَجَائِعُهُ
مَرُصُودَةٌ لِتُؤَافِقَنَا بِمِيقَاتِ

كَمْ فَارَّقْتَ مِنْ أَحِبَّاءٍ وَكَمْ جَمَعْتَ
عَلَى التَّبَاعِدِ أَشْتَاتاً لِأَشْتَاتِ !
مَا كُنْتَ تَدْرِي بِمَا يُلْقَاكَ مِنْ نُوبٍ
وَمَا يُصِيبُكَ مِنْ ظُلْمِ الْقَرَابَاتِ !
حَتَّى تَغْشَاكَ لَيْلٌ لَأَنْهَارَ لَهُ
وَجَاءَكَ الْمَوْتُ مِنْ أَقْصَى الْمَسَافَاتِ !
أَلْقَى الْمَجَازُ بِجُنْدٍ لَا يُصَدُّ وَلَا
يَخْشَى لِقَاءَ الْعِدَى عِنْدَ الْمُلَاقَاةِ
فَرَوَّعُوكَ كَمَا لَوْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ
عَلَى مَرَاكِبٍ مِنْ صُنْعِ الْخَيَالَاتِ !
وَفَارَقْتَ يَدَكَ الْكَأْسَ الَّتِي أَلْفَتْ
وَأَسْتَلَّتِ السَّيْفَ دَفْعاً لِلْمَعْرَاتِ !
وَحُضَّتْهَا لُجَّةٌ مَا كَانَ أَقْصَرُهَا
عُمُراً وَلَمْ تَكْ إِلَّا بِضْعَ سَاعَاتِ !
فَأَسْلَمْتَكَ جُمُوعٌ كُنْتَ تَحْسِبُهَا
دُرُوعَكَ الْبَيْضَ فِي سُودِ الْإِغَارَاتِ !
نَهَضَتْ وَحْدَكَ جَيْشاً فِي مُوَاجَهَةٍ
لَمْ تَجِنِ مِنْ خَوْضِهَا إِلَّا الْجَرَاحَاتِ !
وَأَقْتِيدَ مَنْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ مُعْتَمِداً
فِي الْقَيْدِ وَالْأَسْرِ فِي أَصْقَاعِ أَغْمَاتِ !

وَأَسْتَلَّ مِنْ عِزِّهِ أَسْوَانَ مُنْتَكِسًا
مَنْ كَانَ كَاللَّيْثِ فِي أَدْغَالِ غَابَاتِ
لَمْ يَمْشِ فِي مَوَكِبٍ تَزْهُو الْخِيُولُ بِهِ
وَلَا أَحَاطَ بِهِ جُنْدٌ بِرَايَاتِ
وَلَا انْحَنَى عِلْمٌ عَالٍ لِنُكْبَتِهِ
وَلَا بَكَتُهُ عَيُونٌ فِي مَنَاحَاتِ !
لَمْ يَبْكِهِ غَيْرُ شَعْرِ كَانَ يُبْدِعُهُ
فَنَأَى يُوجِجُ مَكْنُونِ الصَّبَابَاتِ !
غَنَى بِهِ فِي رَبِيعِ ضَاحِكٍ وَشَدَا
بِهِ مَوَاوِيلَ فِي أَكْنَافِ أَيْكَاتِ
فَمَا عَلَى الْحُرْبَاسِ إِنْ قَسَا زَمَنُ
فَنَابَهُ مِنْهُ مَذْمُومُ الْإِسَاءَاتِ
رَعَى الْخَنَازِيرَ لِلْأَعْلَاجِ أَحْقَرُ مِنْ
رَعَى الْجَمَالِ بِأَعْمَاقِ الْمَفَازَاتِ !
مَا كَانَ ضَرًّا بَنَ تَاشِفِينَ وَقَدْ خَفَقَتْ
رَايَاتُهُ فَوْقَ هَاتِيكَ الدُّوَيَّاتِ !
لَوْ اسْتَعَادَ تُرَاثَ الْعُرْبِ أَجْمَعَهُ
وَخَلَّصَ الْأَرْضَ مِنْ شَرِّ الْعِصَابَاتِ
لَكِنَّهُ الْمَوْتُ لَمْ يُمَهِّلْ قَبَادِيرَهُ
وَعَالَجَ الْحُكْمُ مَأْسَاءَ بِمَأْسَاءِ !

يَاسَاكِنَ الْقَبْرِ مَا أَبْهَاكَ مُتَضِعاً
بِلَا قَبَابٍ تُعْلَى فِي الْمَزَارَاتِ !
الْمُلْكُ وَالشَّعْرُ فِي أَعْمَاقِكَ اجْتَمَعَا
وَالشَّعْرُ فِي الْمُلْكِ مِنْ إِحْدَى الْكَمَالَاتِ !
لَوْ كَرَّمُوا الشَّعْرَ شَادُوا فَوْقَ تَرْبَتِهِ
نَصَباً يَتَوَّجُ مَبْنَاهُ بِبَاقَاتِ
بِالْأَمْسِ كَانَتْ بَنَاتُ الْمُلْكِ فِي تَرْفٍ
بَيْنَ الْوَصَائِفِ فِي زِيِ الْأَمِيرَاتِ !
فَمَادَهَا هُنَّ حَتَّى صِرْنَ فِي شَظَفٍ
يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ مِنْ أَجْلِ اللَّقِيمَاتِ !
تَمْضِي الْمَوَاسِمُ وَالْأَعْيَادُ طَافِحَةً
بِالْبِشْرِ وَهُوَ غَرِيقٌ فِي الْمَذَلَّاتِ
وَاللَّيْلُ كَالدَّهْرِ فِي أَغْمَاتٍ يَقْطَعُهُ
مَا بَيْنَ شَجْوٍ يُعْنِيهِ وَأَهَاتِ
يَرَى بَنَاتِهِ فِي الْأَطْمَارِ حَافِيَةً
أَقْدَامُهُنَّ أَسِيفَاتٍ عَلِيْلَاتِ
غَابَتْ مَشَاهِدُ أَنْسٍ كَانَ يَشْهَدُهَا
وَعَابَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ مَلَذَّاتِ
فَلَا نَدَامَى وَلَا كَأْساً وَلَا وَتْراً
وَلَا وَجُوهَ حِسَانٍ مِثْلَ هَالَاتِ !

تَبْكِي السُّمُوعُ عَلَى مَنْ كَانَ يُوقِدُهَا
بَيْنَ الْمَبَاخِرِ فِي أَيْدِي الْوَصِيفَاتِ
قَدْ أَخْرَسَ الْحُزْنَ فِي قَصْرِ مَثَانِيهِ
فَلَسْتَ تَسْمَعُ إِلَّا شِبْهَهُ أَنْثَاتِ !
إِذَا تَذَكَّرَهَا فَاضَتْ مَحَاجِرُهُ
حُزْنًا عَلَى صُورِ الْعُمَرِ الْوَضِئَاتِ !
كَمْ وَدَّ لَوْ كَانَ أَعْمَى لَا يَرَى أَحَدًا
وَلَا تَرَى عَيْنَهُ تِلْكَ الْإِهَانَاتِ !
مَا كَانَ إِذْ لَالُ مَأْسُورٍ لَهُ نَسَبٌ
بِلُحْمَةِ الْبِدِينِ مِنْ فِعْلِ الْمُرُوءَاتِ !
لَاتَبِكَ شَيْئًا فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو خُلُقٍ
يُغَيِّرُ النَّاسَ مِنْ حَالٍ لِحَالَاتٍ
وَمَا رَأَى بَعْدَكَ الْبَاقِي بِأَنْدَلُسٍ
إِلَّا هُمُومًا وَأَزْمَانًا رِدْنَاتِ !
وَالنَّاسُ كَالدَّرِّ فِي الْأَعْمَاقِ مُنْسَفِلٌ
وَالْبَعْضُ يَطْفُو شَبِيهَاً بِالنُّفَايَاتِ !
كُلُّ يَسِيرٍ وَإِنْ طَالَتْ مَسِيرَتُهُ
إِلَى مَصِيرٍ رَهِيْبٍ فِي النِّهَايَاتِ
وَإِنْ فِي خُلُقِ الدُّنْيَا لِذِي نَظَرٍ
وَفِي ضَحَايَا عَوَادِيهَا لآيَاتِ !

المراتي

عَلَّمَ هَوَى

عَلَّمَ هَوَى وَكَأَنَّهُ أَعْلَامُ
وَحَسَارَةٌ يُمْنَى بِهَا الْإِسْلَامُ
وَفَجِيعَةٌ تُنْسِي الْفَجَائِعَ قَبْلَهَا
مَامِثْلَهَا جُزْخٌ وَلَا إِيْلَامُ
كَذَّبَتْ نَاعِيَهُ وَكَذَّبَ مَسْمَعِي
هَمَسَاتِهِ حَتَّى فَشَا الْإِعْلَامُ
فَصُعِقْتُ مِنْ هَوْلِ الْمُصَابِ وَهَالِنِي
مَا فَاجَأَتْ بِصَنِيعِهِ الْأَيَّامُ
قَدَّرَ تَرَصُّدَهُ وَلَمْ تَكُ عَيْنُهُ
يَوْمًا عَنِ الْقَدَرِ الرَّهِيْبِ تَنَامُ
يَحْدُو مَوَاكِبَنَا إِلَى غَايَاتِهَا
وَمَصِيرَهَا وَكَأَنَّهَُا أَغْنَامُ !
وَلِرَحْلَةِ الْأَحْيَاءِ دَوْمًا مَوْقِفُ
وَلِكُلِّ بَدْءٍ مَسِيرَةٌ إِنْ تَمَامُ
قَالُوا : قَضَى كُنُونُ قُلْتُ نَعَمْ قَضَى
عُمَرَا لَهُ فِي الْخَالِدِينَ مَقَامُ
مَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا كَوَكْبًا
قَدْ لَاحَ فِي أَفْقٍ بِهِ إِظْلَامُ

وَعَلَامَةٌ وَضَاءَةٌ فِي مَغْرِبِي
لَمْ تَنْطَفِئْ أَوْ يَعْزُهَا إِعْتَامُ
وَرِيَّادَةٌ فِي الْفِكْرِ وَالْعِلْمِ ارْتَقَى
عَلِيَاءُهَا لَمْ يَرْقُهَا مِقْدَامُ
وَشَمَائِلًا نَبَوِيَّةً أَنْفَاسُهَا
طِيبٌ وَلُطْفٌ صَفَائِهَا أَنْسَامُ
وَتَرَاهُ حِينَ تَرَاهُ مُؤْتَلِقَ السَّنَا
يَسْعَى إِلَيْكَ وَتَغْرُهُ بَسَامُ
يَنْسَى مُحَدَّثُهُ الزَّمَانَ وَيَشْتَهِي
لَوْ أَنَّ كُلَّ دَقِيقَةٍ أَغْوَامُ !
وَيَهْزُهُ الْمَعْنَى الْجَمِيلَ كَأَنَّمَا
نَبْرَاتُهُ وَحُرُوفُهُ أَنْغَامُ !
رَجُلُ الْمَخَافِلِ وَالْمَوَاقِفِ لَمْ يَشِبْ
أَخْلَاقُهُ جُبْنٌ وَلَا إِحْجَامُ



عَرَفْتُهُ أَنْدِيَّةَ الْعُلُومِ مُبَرَّرًا
وَلِسَانَ صِدْقٍ نَصَحْتُهُ إِلْزَامُ
وَمُجَدِّدًا يَأْبَى الْجُمُودَ شَرِيعَةً
أَسْلُوبُهُ الْإِقْنَاعُ وَالْإِفْحَامُ

من كان يرقص للقرىض

مَنْ كَانَ يَرْقُصُ لِلْقَرِيضِ وَيَنْتَشِي
وَكَأَنَّمَا غَرَّرُ الْقَرِيضِ مُدَامُ !
حُرٌّ وَيَكْرَهُ فِي الْقَرِيضِ تَمَرُّدًا
وَيَسُوءُهُ أَنْ يُسْتَبَاحَ نِظَامُ
أَفَّاقُ عِلْمٍ لَا يَقَرُّ قَرَارُهُ
فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ لَهُ إِسْهَامُ
فِي كُلِّ نَادٍ حَاضِرٍ مُتَأَلِّقُ
وَبِكُلِّ مُعْضِلَةٍ لَهُ الْإِمَامُ
يَجْرِي بِمِلءِ عَنَانِهِ لَمْ يَنْبُهِرْ
فِي حَابَةِ كَلَّتْ بِهَا الْأَقْدَامُ
يَلْقَاكَ فِي الْجَلْبَابِ شَيْخًا وَهُوَ فِي
دُنْيَا الشُّيُوخِ مُرَاهِقٌ هَمَامُ !
أَغْنَى بِوَافِرِ عِلْمِهِ أَجْيَالَنَا
وَالْخَالِدُونَ حَيَاتُهُمْ إِنْعَامُ
وَأَنْكَبَ فِي نَهْمٍ يُسَوِّدُ نَفْسَهُ
حَتَّى تَأَلَّقَ كَالصَّبَّاحِ عَصَامُ !
وَهَبَ الطَّرِيفَ أَصَالََةً وَحَدَاثَةً
كَالرَّوْضِ فِيهِ بَلَابِلٌ وَحَمَامُ

وَحَبَا الْعُرُوبَةَ حُبُّهُ وَمَضَىٰ وَفِي
 أَعْمَاقِهِ مِنْ جُرْجِهَا أَلَا - مُ
 وَنَفَىٰ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلَّ تَصَوُّرٍ
 مِنْ حَاقِدِينَ فَهُومُهُمْ أَوْهَامُ
 قَدْ بَوَّأَتْهُ يَدُ الْمَعَالِي قِمَّةً
 مَامِثْلَهَا لِلْخَالِدِينَ وَسَامُ



فَارَقَتْ وَالْأَهْوَالَ تَرْكِبُ عَالِمًا
 جَمَعَتْ بِهِ النَّزَوَاتُ وَالْأَحْلَامُ
 وَتَنَكَّرَ الْإِنْسَانُ لِلْقِيَمِ الَّتِي
 يَسْمُو بِهَا وَتَعْمَلُ الْأَقْرَامُ
 وَفَشَا بِهِ الْإِلْحَادُ عَبْرَ خَضَارَةٍ
 رَفَعَتْ بِهَا هَامَاتِهَا الْأَصْنَامُ !
 وَدَعَتْ أَحْوَجَ مَا نَكُونُ لِصَالِحٍ
 فِي عَالَمٍ صَلَحَ أَوُّهُ نِيَامُ !
 وَخَسَارَةُ الْعُلَمَاءِ رُزْءٌ فَادِحٌ
 وَجِرَاحَةٌ فِي الْقَلْبِ لَا تَلْتَامُ
 يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الشُّمُوسِ إِذَا هَوَتْ
 وَكَسَا الْوُجُودَ جَهَامَةٌ وَقَتَامُ

هَلْ مِنْ بَدِيلٍ عَنْ سَنَاهَا يُرْتَجَى
أَمْ مِنْ ضِيَاءِ بَعْدَ ذَاكَ يُشَامُ ؟
كَمْ مِنْ أَزَاهِرٍ فِي الرِّيَاضِ بِلاَ شَذَا
وَكَذَا السَّحَابُ مُغْدِقٌ وَجَهَا مُ
قَدْ مَاتَ قَبْلَكَ مَعْشَرٌ لَمْ يُذْكَرُوا
وَكَأَنَّهُمْ فِي الْهَالِكِينَ سَوَامُ
وَالذِّكْرُ بَعْدَ الْمَوْتِ عُمَرٌ لَاحِقُ
وَالْخَامِلُونَ مَمَاتُهُمْ إِعْدَامُ
وَمِنَ النَّجُومِ ثَوَابِتٌ لَا تَخْتَفِي
وَإِنْ اخْتَفَتْ وَتَوَارَتْ الْأَجْرَامُ
وَالنَّاسُ أَشْبَاهٌ وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ
بَنَانٌ، وَآخِرُ مِقْوَلٍ هَدَّامُ !
وَالْمَاءُ مَاءٌ عَذْبُهُ يُرْوِي الظَّمَا
وَأَجَاجُهُ لِلْوَارِدِينَ زَوَامُ
لَوْ كَانَ يُنْتَدَبُ الْجَدَادُ لِعَالِمِ
نُكِسَتْ لَكَ الْهَامَاتُ وَالْأَعْلَامُ !



خَلُّوا خَيَالِي جَامِحاً فِي وَصْفِهِ
لَا تُكْبِحُوهُ فَإِنَّهُ إِلَهٌ هَامُ

مَا الْعِلْمُ مَنْ نَبِيٍّ فِي أَوْطَانِنَا

خَيْرٌ وَفِي أُنْبَائِنَا أَعْلَامُ

لَكِنَّا نَبِيَّ التَّقَى وَنَزَاهَةً

يَزُهِو بِهَا التَّارِيخُ وَالْإِسْلَامُ

حَلَفَ الزَّمَانُ لِيَاتَيْنِ بِمِثْلِهِ

هَيْهَاتَ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ أَرْحَامُ !

أَعَزَّ عَلَيَّ بِأَنْ يُوسَّدَ فِي الثَّرَى

رَجُلٌ لَهُ فِي نَفْسِنَا إِعْظَامُ

لَمْ يُسَلِّمُواكَ إِلَى التُّرَابِ سَمَاحَةً

وَقُلُوبُهُمْ لَكَ مَرَّتَعٌ وَمَقَامُ

حَفُّوا بِنَعَشِكَ مِثْلَمَا عَوَّدَتْهُمْ

وَكَمَا أَحَاطَ بِدَرْسِكَ الْأَقْوَامُ

وَصَغَوْا كَأَنَّكَ فَوْقَ نَعَشِكَ وَاعِظُ

لَمْ يَعْرِهُ مِنْ مَوْتِهِ إِقْحَامُ

وَمَشَوْا ثِقَالًا خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ

وَلِنَارٍ فَقْدِكَ فِي الْقُلُوبِ ضِرَامُ

صَلُّوا عَلَيْكَ وَلَوْ تَخَطَّوْا دِينَهُمْ

صَلَّتْ جُمُوعُهُمْو عَلَيْكَ وَصَامُوا !

إِنْ يَرْفَعُوكَ أَبَا عَلَى هَامَاتِهِمْ

فَكَذَاكَ تَصْنَعُ بِالْأَبِ الْإِيْتَامُ !

لَا تَسْتَرُوا بِثِيَابِكُمْ جُثْمَانَهُ
فَطُرُوسُهُ تُغْنِيهِ وَالْأَقْلَامُ
قَدْ كَانَ يَعْشَقُهَا وَكَانَ لَهُ بِهَا
كَفٌّ يُورِّقُ جَفْنَهُ وَهَيَامُ
مُذْ كَانَ وَهُوَ يَعِيشُ فِي مِحْرَابِهَا
وَسِوَاهُ مَلَالٌ لَهَا سَامُ
وَأَسْقُوا ثَرَاهُ بِحُبِّكُمْ لَا تَذْرِفُوا
دَمْعاً وَلَا يَعْصِفُ بِكُمْ تَهَمَامُ
فَالدَّمْعُ فِي فَقْدِ الرِّجَالِ نَقِيصَةٌ
وَالزَّهْدُ فِي آثَارِهِمْ إَجْرَامُ
يَا حَامِلاً جُثْمَانَهُ قِفْ سَاعَةً
فَوَرَاءَهُ أَرْوَاحُنَا حُورَامُ
قُلْ لِلْحَوَادِثِ أَفْجِعِي أَوْ رَوِّعِي
إِنْ كَانَ خَاتِمَةُ الْمَطَافِ حِمَامُ !
هَٰذِي قَوَافِي شَاعِرٍ مَقْرُوحَةٍ
فِيهَا الْأَسَى وَالِدَّمْعُ وَالْأَنْغَامُ
يُهْدِيكَهَا وَالشِّعْرُ أَنْتَ مُجِيدُهُ
وَالنُّثْرُ أَنْتَ يَرَاعُهُ الرَّسَّامُ
فَعَلَيْكَ مِمَّنْ مَجَّدُوكَ تَحِيَّةً
وَعَلَيْكَ فِي غُرَفِ الْجِنَانِ سَلَامُ

أَعِدْ ذِكْرَهُ

أَعِدْ ذِكْرَهُ ! فَهُوَ الصَّدَى يَتَجَدَّدُ
وَعُمُرٌ لَهُ، فِي مُلْتَقَى الْحُبِّ يُوَلَّدُ
وَعَطَرٌ بِهِ أَجْوَاءَنَا فَهُوَ كَالشَّذَا
وَنَوْرٌ بِهِ ظِلْمَاءَنَا فَهُوَ فَرَقْدُ !
تَمُرُّ اللَّيَالِي وَهُوَ كَالطُّودِ شَامِخٌ
لَهُ فَوْقَ هَامِ الْعَبْقَرِيَّةِ مَقْعَدُ
مَنَارَةِ إِشْعَاعٍ وَنَهْرٍ عَطَاوُهُ
تَوَاصَلَ فَيُضَا لَمْ يَغُضْ مِنْهُ مَوْرِدُ
سَمَا لِلْمَعَالِي وَالْمَنَابِرِ يَافِعَا
وَحَلَقَ فِي آفَاقِهَا وَهُوَ أَمْرَدُ !
تَشَدُّ لَهُ الْأَنْظَارُ فَهِيَ شَوَاحِصُ
وَتُصْنَعِي لَهُ الْأَسْمَاعُ وَهُوَ مُغَرَّدُ
تَفْتَقُ فِي أَوْجِ الصَّبَا عَنْ مَوَاهِبِ
كِبَارٍ وَعَزَمِ كَاللَّظَى يَتَوَقَّدُ
إِذَا قَالَ : أَمَّا بَعْدُ أَنْسَاكَ دُرُّهُ
لَالِي فِي جِيدِ الْكَوَاعِبِ تَعْقَدُ !

وَهَـزَّكَ قُسٌّ وَاسْتَمَعْتَ ابْنَ ثَابِتٍ
يَصُوغُ الْقَوَافِي فِي عُكَازٍ وَيُنْشِدُ !
سَجَايَا عَظِيمٍ لَمْ يَنْلُهَا تَخْلُقَا
وَلَكِنَّهَا خُلِقَ أَصِيلٌ وَمَحْتَدُ
وَفِكْرٌ رَحِيبُ الْأَفْقِ فَاضٌ مَعِينُهُ
فَاعْطَى مِنَ الْإِبْدَاعِ مَا لَيْسَ يَنْقُذُ
تُرَاثٌ سَيَبْقَى فِي الْحَيَاةِ مَنَارَةٌ
بِمَا شَادَ لِلْعِرْفَانِ وَالْفِكْرِ تَشْهَدُ
تَمَلُّ رَحِيقَ الْعِلْمِ فِي خَيْرِ مَعْهَدٍ
وَعُمُرُهُ كَالْغُصْنِ الَّذِي يَتَأَوَّدُ
وَكَانَتْ بِهِ أَيَّامُهُ الْغُرُّ شُعْلَةً
وَصِيحَاتٍ بَعَثَ عَبْرَهُ تَتَجَدَّدُ
أَقْصَى بِهَا جَنْبَ الْغُرَاةِ وَزُلْزَلَتْ
دُمَاهُ فَأَضْحَى خَائِفًا يَتَرَصَّدُ
وَأَيْقَظَ شَعْبًا كَانَ فِي الْقَيْدِ رَاسِفًا
يَعِيشُ عَلَى الْمَاضِي وَلَيْسَ لَهُ غَدُ
فَتَّارَ عَلَى أَعْدَائِهِ مُتَمَرِّدًا
وَمَنْ دِيسَ فِي أَوْطَانِهِ يَتَمَرَّدُ !



وَيَوْمَ نَفَاكَ الْغَاصِبُونَ تَوَهَّمُوا
بِأَنِ انتَفَاضَ الشَّعْبِ بَعْدَكَ يُخْمَدُ
فَمَا اسْتَقْبَلَ (الكَابُونَ) إِلَّا مُجَاهِدًا
لَهُ حَيْثُمَا أَلْقُوا بِهِ مُتَعَبِّدُ !
وَلَا انْطَفَأَتْ نَارٌ وَخَلَقَكَ أُمَّةٌ
لَهَا مَعَ نَصْرِ اللَّهِ لِلْحَقِّ مَوْعِدُ !
أَرَادَتْ فَكَانَ اللَّهُ خَلْفَ مُرَادِهَا
وَقَرَّبَ مِنْهَا مَطْمَحًا كَانَ يَبْعُدُ
نِدَاؤُكَ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ لَمْ يَزَلْ
يُدَوِّي صَدَاهُ فِي الْقُلُوبِ وَيُرْعَدُ
تَعَبًا فِيهِ الشَّعْبُ وَانْقُضَ غَاضِبًا
عَلَى دُمِيَّةِ الْمُحْتَلِّ يُرْغِي وَيُزِيدُ
مَلَا حِمْ خُضْنَاهَا وَسُقْنَا مُهُورَهَا
ضَحَايَا عَلَى بَابِ الْكَرَامَةِ تَسْجُدُ
وَمَا رَاعَنَّا إِلَّا رِفَاقٌ تَنَكَّرُوا
وَجَارٌ لَنَا بَعْدَ الْمَسِيرَةِ يَحْقِدُ !
تَنَاسَى دِمَانًا فِي خَنَاقِ أَرْضِنَا
وَنَحْنُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي حَرْبِهِمْ يَدُ !



ذَكَرْتُكَ وَالْأَهْوََالَ تَعْصِفُ أُمَّتِي
 وَصَهْيُونَ فِي الْقُدْسِ السَّلِيبِ تُعْرِبِدُ !
 تُحَاصِرُ أَهْلِينَآ، وَتَقْتُلُ طِفْلَنَا
 وَتُعْدِمُ مِنْهُمْ مَنْ تَشَاءُ وَتَطْرُدُ !
 تَمُدُّ يَدَيْهَا وَهِيَ فِي عُقْرِ دَارِنَا
 إِلَى كُلِّ قُطْرٍ فِيهِ مَا تَتَصَيَّدُ
 وَتَقْتُلُ مَنْ أَبْطَأَ الْإِنَّا كُلَّ مَعْلَمٍ
 تَذُوبُ لَهُ أَكْبَادُنَا حِينَ يُفْقَدُ
 تَقُومُ لَهَا الدُّنْيَا وَتَلْعَنُ مَكْرَهَا
 وَلَكِنَّهَا فِي آخِرِ الْأَمْرِ تَقْعُدُ !
 وَأَنْتَ الَّذِي كَرَسْتَ عُمْرَكَ وَاهِبًا
 فِلِسْطِينَ مَالَمَ يُعْطِهَا مُتَجَنِّدُ
 وَكَافَحْتَ فِي أَسْمَى الْقَضَايَا مُودِعًا
 وَشَعْبُ فِلِسْطِينَ بِهِ تَتَشَهَّدُ !
 وَوَدَّعْتَ دُنْيَا الْعَرَبِ وَهِيَ شَرَاذِمُ
 وَفِي الْقَلْبِ جُرْحٌ مِنْهُمْو لَيْسَ يُضْمَدُ !
 لَقَدْ تَعَبَ الْبَاكُونَ بَعْدَكَ وَانْتَهَوْا
 إِلَى الْيَاسِ مِنْ قَوْمٍ أَبَوَا أَنْ يُوَحِّدُوا
 ضِعَافٌ أَمَامَ الْغَاصِبِينَ أَعِزَّةٌ
 عَلَى قَوْمِهِمْ، أَسَيَافُهُمْ لَيْسَ تُغْمَدُ !

تَوَالَتْ مَآسِي الْعُرْبِ حَتَّى كَانَهَا
مَلَاهِ عَلَى أَوْجَاعِهَا قَدْ تَعَوَّدُوا



دَعَانِي وَفَائِي لِلرِّثَاءِ وَلَمْ أَكُنْ
بِغَيْرِ وَفَائِي شَاعِراً قَدْ أَجُودُ
وَمَا كَانَ مَا أَنْشَدْتُ فِيكَ قَوَافِياً
وَلَكِنَّهَا أَجْرَاسُ حُبٍّ تُزْغِرُ
مَضَيْتَ لِمَا نَمَضِي، وَكُلُّ مُسَافِرٍ
سَيَبْلُغُ لِلْمُسَرِّى وَإِنْ كَلَّ مُجْهَدُ
وَمَا هِيَ إِلَّا رِحْلَةٌ ثُمَّ تَنْتَهِي
وَنَرُقُدُ يَوْماً فِي الثَّرَى حَيْثُ تَرُقُدُ
لِرُوحِكَ مِنْ كُلِّ الْمُحِبِّينَ دَعْوَةٌ
تُعْرَجُ فِي الذِّكْرِى إِلَيْكَ وَتَصْعَدُ
وَنَحْنُ كَمَا قَالَ السَّمَوَالُ أُمَّةٌ
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدُ !

وَطَنِي قَضَى
دمعة على فقيد الوطنية
الحاج أحمد مكوار

أرثيه ؟ لو يُجدي الفَقيدَ رثائي
أو تَسْتَجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ نَدَائِي
نَأْسَى عَلَى أَحِبَّائِنَا وَكَأَنَّنَا
سَنَظِلُّ بَعْدَهُمْ وَمِنَ الْأَحْيَاءِ
يَمْضِي الْكَثِيرُ وَلَيْسَ يَحْظَى مِنْهُمْ
بِالْحُبِّ إِلَّا طَيِّبُوا الْأَصْدَاءَ
وَأَرَى الْمَنِيَّةَ صَائِدًا لَا تَنْتَقِي
يُمْنَاهُ غَيْرَ الدُّرَةِ الْعُصْمَاءِ
يَسْتَلُّهَا كَالْعَيْنِ مِنْ أَهْدَابِهَا
وَالْقَلْبَ يَنْزِعُهُ مِنَ الْأَحْشَاءِ
وَمُصَابِنَا فِيمَنْ نُحِبُّ رَزِيَّةً
وَطَنِيَّةً مِنْ أَفْـدَحِ الْأَرْزَاءِ
لَمْ تَطُوفِ فِيهِ الْمَوْتُ غَيْرَ صَحَائِفِ
حُبْلَى بِكُلِّ جَلِيَّةٍ غَرَاءِ
وَمَجَاهِدًا وَهَبَ الْقَضِيَّةَ عُمُرَهُ
مُتَخَلِّيًا عَنْ تَالِدِ النَّعْمَاءِ

وَمَنَارَةٌ وَهَّاجَةٌ لَا تَنْطَفِي
أَضْوَاؤُهَا فِي اللَّيْلِ الظَّمَاءِ
عَرَفَ الْغِنَى فِي حُبِّهِ لِإِلَادِهِ
لَا فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ وَالْإِثْرَاءِ !
فَاخْتَارَهَا وَطَنِيَّةً صُوفِيَّةً
لَمْ تَنْدَفِعَ يَوْمًا مَعَ الْأَهْوَاءِ
عَرَفْتُهُ فَاسٌّ فِي الطَّلِيعَةِ يَوْمَ أَنْ
عَزَمَ الدَّخِيلَ عَلَى ابْتِرَازِ الْمَاءِ
عَرَفْتُهُ فِي كُلِّ الْمَوَاقِفِ فَارِسًا
وَابْنِنًا لَهَا مِنْ أَنْجَبِ الْأَنْبَاءِ
عَرَفْتَ (أَبَا عَقْلَيْنِ) يَوْمَ تَفَجَّرَتْ
كَالسَّيْلِ غَضَبَتُهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ
أَعْطَى فَوْقَى فِي الْعَطَاءِ لِأُمَّةٍ
مُحْتَاجَةٍ لِمُجَاهِدٍ مِعْطَاءِ
أَعْطَى الْمَثَالَ لِشَبِيبِهَا وَشَبَابِهَا
بِصُّمُودِهِ كَالْقَلْعَةِ الشَّمَاءِ
(بُودُنِيبُ) تَعْرِفُ أَيَّ ضَيْفٍ حَلَّهَا
وَأَتَى إِلَيْهَا مِنْ مَكَانٍ نَائِي
عَلِمْتُ (فَرَنْسَا) أَنَّهُ مِنْ مَعْدِنٍ
لَا يُشْتَرَى بِالْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ !

ظَنُّوا الْقَضَاءَ عَلَيْهِ فِي إِقْصَائِهِ
وَالْمَجْدُ لِلْأَحْرَارِ فِي الْإِقْصَاءِ !
لَوْلَا ظَلَامُ السِّجْنِ لَمْ تَعْرِفْ لَنَا
عَيْنُ جَمَالِ الْعَيْشِ فِي الْأَصْوَاءِ !



قَالُوا : طَوَاهُ الْمَوْتُ قُلْتُ لَعَلَّهُ
يُيَدِي لَكُمْ مَا غَابَ مِنْ أَشْيَاءِ
إِنْ كَانَ فِي مَوْتِ الْكِبَارِ فَجِيعَةٌ
يُمْنَى بِهَا الْأَبْنَاءُ بِالْآبَاءِ
فَلَقَدْ تَضَاءَ حَيَاتُنَا بِتُرَاثِهِمْ
كَالنَّجْمِ يَهْدِي وَهُوَ فِي الْأَجْوَاءِ
حَبَّتْ إِلَيْهِ وُفُودُنَا وَقُلُوبُنَا
فَذَكَرْتُ حَجَّ الشَّعْبِ لِلْبَطْحَاءِ !
وَرِحَابَ دَارٍ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا
لِلشَّعْبِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
كَأَنْتَ مَثَابَتُهُ وَكَأَنْتَ لِلْعَدَى
مِثْلُ الْقَذَى فِي الْأَعْيُنِ الرَّمْدَاءِ
مَا مَاتَ مَنْ تَرَكَ الْحَيَاةَ وَذَكَرُهُ
فِي كُلِّ قَلْبٍ طَيِّبٍ الْأَشْيَاءِ ذَا

أَغْنَى مَلَا حِمَّ شَعْبَنَا بِنِضَالِهِ
مُتَحِمِلًا فِيهِ أَشَدَّ بَلَاءِ
وَرَأَى جُهُودَ نِضَالِهِ قَدْ أَثْمَرَتْ
وَرَأَى مَسِيرَةَ شَعْبَنَا الْبِنَاءِ
مَاضِرًا لَوْ أَنَّ الْمَنِيَّةَ أَمْهَلَتْ
حَتَّى يَرَانَا فِي ذُرَى الْعُلْيَاءِ
وَيَرَى مَسِيرَتَنَا اسْتَقَامَتْ وَاسْتَوَتْ
وَاسْتَصْلَحَتْ مَالَا حٍ مِنْ أَخْطَاءِ
إِنَّا وَرَاءَكَ إِلَّا اخْتِيَارَ لَكَائِنِ
فِي رِحْلَةٍ تُقْضَى بِإِلَّا إِرْجَاءِ
فَالْعَيْشُ فِي دُنْيَا بِإِلَّا مِثْلٍ كَمَنْ
يَحْيَا بِأَرْضٍ جَدْبَةٍ صَحْرَاءِ
وَكَأَنَّي بِكَ ضِيقَتْ فِي دُنْيَا بِإِلَّا
قِيمَ تَمْوُجٍ بِقَاتِمِ الْأَسْوَاءِ
وَدَّعَتْ عَالَمَنَا الَّذِي عَصَفَتْ بِهِ
رِيحُ الطُّغَاةِ وَنَزْوَةُ الْغَوَغَاءِ
قَادُوا سَفِينَتَهُ إِلَى دَوَامَةٍ
لَا تَسْتَقِرُّ بِهِ عَلَى مِينَاءِ !

فَارْتَحَ قَرِيرَ الْعَيْنِ بَعْدَ مَسِيرَةٍ

جَلَّتْ مَكَارِمُهَا عَنِ الْإِحْصَاءِ

وَتَحِيَّةٌ لَكَ مِنْ رِفَاقٍ لَمْ تَزَلْ

فِي الدَّرْبِ سَائِرَةً بِلَا إِعْيَاءِ

وَلِمَنْ أَحَبَّكَ صَامِداً وَمُنَاضِلاً

وَأَسَلْتَ أَدْمُعَهُ جَمِيلُ عَزَائِي

منارة نضال

في تكريم المجاهد أحمد بلا فريج

كَرِيمُ الشَّعْرِ يَحْتَضِنُ الْكَرَامَا
وَيَقْبِسُ مِنْ مَشَاعِلِهَا شُمُوعاً
وَيَنْشُرُ مِنْ صَحَائِفِهَا كُنُوزاً
وَفِي تَارِيخِ أُمَّتِنَا رِجَالٌ
رُؤَادٌ قَدْ رَوَى دُمُهُمْ ثَرَاهَا
حَبُوهَا الْعُمَرُ وَهُوَ أَعَزُّ شَيْءٍ
وَأَحْمَدُ فِي مَوَاكِبِنَا مَنْارٌ
وَنَجْمٌ شَعَّ فِي لَيْلٍ بِهِيمٍ
تَرَوَى مِنْ حِيَاضِ الْعِلْمِ غُضّاً
يُورِقُ فِي قَضَايَاهُ جُفُوناً
سَلُّوا عَنْهُ الْمَدَارِسَ مَنْ أَبُوهَا
وَمَنْ رَبِّي وَكَانَ لِمَنْ تَرَبَّى
بِرَوْضٍ كَمْ تَفْتَحُ عَنْ زُهُورٍ
رَأَى فِي الْعِلْمِ يَنْشُرُهُ سِلَاحاً
فَأَمَّت رَوْضُهُ أَكْبَادُ شَعْبٍ
وَمَا مِنْ آفَةٍ كَالْجَهْلِ تُفْضِي
وَمَنْ ذَكَرَ السِّيَاسَةَ فَهُوَ رَمْزٌ
وَلَمْ يَصْعَدْ مَنَابِرَهَا احْتِرَافاً

وَيَعْشَقُ فِي مَلَا حِمِّهَا الْعِظَامَا
مُضْنَاتٍ يُزِيحُ بِهَا الظُّلَامَا
وَيَكْشِفُ عَنْ مَجَاهِلِهَا اللَّثَامَا
إِذَا ذُكِرُوا نُحْيِيهِمْ قِيَامَا
وَهَامُوا فِي مَحَبَّتِهَا هِيَامَا
وَذَاقُوا الْمُرَّ وَالْمَوْتَ الزُّوَامَا
وَمَعْلَمَةٌ ذَرَاهَا لَا يُسَامَى
وَقَارِسُ حَلْبَةٍ مَلَكَ الزِمَامَا
وَكَانَ بِهِ شُغُوفاً مُسْتَهَامَا
يُطَارِدُ حُبُّهُ عَنْهَا الْمَنَامَا
وَمَنْ بَلَغَتْ بِهِمَّتِهِ مَقَامَا ؟
أَبَاً بَرّاً عَلَى يَدِهِ اسْتَقَامَا ؟
وَكَمْ بَدَّرَ بِهِ بَلَغَ التَّمَامَا !
لِمَعْرَكَةٍ تُبْلِغُنَا الْمَرَامَا
وَطَافَ عَلَى مَنَاهِلِهِ وَحَامَا
إِلَى مَوْتِ الشُّعُوبِ إِذَا تَنَامَا !
وَقَيْدُومٌ تَقَلَّدَهَا التَّزَامَا
وَلَمْ يَجْرَعْ مَرَارَتَهَا اغْتِنَامَا

* *

وَفِي وَطَنِيَّةِ الصُّوفِي تَرَاءَتْ
وَقَادَ مَعَ الرِّفَاقِ نَضَالَ شَعْبِ
يَبْنُ وَيَشْتَكِي مِنْ غَاصِبِيهِ
وَفِي أَبْنَائِهِ أُسْدٌ إِذَا مَا
مَضَتْ حِقَبٌ عَلَيْهِ وَفِي يَدِيهِ
وَيَوْمَ دَعَوْتُهُ انْصَبَّ نَاراً
وَجَاءَ النُّصْرُ تَحْمِلُهُ الضَّحَايَا

* *

مَوَاقِفُهُ وَقَدْ بَهَرَتْ جِسَامَا !
أَبِي مَا تَعَوَّدَ أَنْ يُضَامَا
وَقَدْ حُرِمَ التَّظَلُّمَ وَالْكَلامَا
تَحَدَّوْا أَحْفَلُ الْأَعْدَا نَعَامَا !
قِيُودٌ لَمْ يُطَقْ مَعَهَا قِيَامَا
عَلَى الْمُحْتَلِّ وَأَمْتَشَقَ الْحُسَامَا !
وَجَرَعْنَا فَرَنْسَا الْإِنْهَزَامَا

وَمَنْ نَزَلَ الْمَنَافِي خَيْرَ ضَيْفٍ
بِعَزْمٍ لَمْ يَهْنِ يَوْمًا لِحَطْبٍ
فَمَا تَكْرِيمُ أَحْمَدٍ غَيْرَ دَيْنٍ
عَزِيزٌ أَنْ نُكْرِمَ فِي فِرَاشٍ
وَلَوْ يُفْدَى بِغَالٍ كَانَ أَغْلَى
سَتَبَقَى فِي ضَمِيرِ الشَّعْبِ رَمْزاً

أَقَامَ بِهَا وَكَانَ أَعَزَّهَا مَا !
وَلَمْ يَزِدْ بِهِ إِلَّا احْتِدَامَا
نُؤْدِيهِ لِمَنْ صَانَ الذِّمَامَا
عَزِيزاً، أَوْ نُبْلَغُهُ السَّلَامَا !
فِدَاءً، مَلءَ دُنْيَانَا احْتِرَامَا !
وَتَبَقَى ذَلِكَ الْبَطْلَ الْهُمَامَا !

أديب يُودع

دمعة على فقيد الأدب
الأستاذ الحاج محمد اباحيني

وَمَنْ نَثَرَ الْجَوَاهِرَ وَالْجَمَانَا
وَأُطْلِقَ فِي مَرَاثِكَ الْعِنَانَا
وَقَدْ عَقَدَ الْأَسَى مِنْهُ اللِّسَانَا ؟
جُرُوحاً يَشْتَكِي مِنْهَا الْحَزَانَا
وَلَمْ تَخْلُقْ لِتُعْطِنَا أَمَانَا !
بِنَا لِلْمَوْتِ - مُكْرَهَةً - خُطَانَا !
عِصَامِيّاً وَلَمْ نَفْقِدْ أَسَانَا !
الْفَنَاءُ تَوَهَّجَ فِي سَمَانَا
أَبُو حَيَّانَ يَمْتَعِنَا بَيَانَا !
مِنَ الْإِبْدَاعِ تَبْعُدُ عَنْ دُنَانَا
وَتَمْلَأُ مِنْ عُصَارَتِهِ دَنَانَا
نَقَائِسُ تُشَبِّهُ الْغَيْدَ الْحَسَانَا !
(ونيروز) سَبَقْتَ بِهِ الزَّمَانَا

*

*

وَعِطْراً فَاحَ صَمَخَ مُنْتَدَانَا
وَجَاحِظِيَّ الْمَعَانِي فِيهِ أَنَا
وَشُحْرُوراً يُغْرِدُ فِي رُبَانَا
كَمَا نَبْنِي وَيُجْهِدُنَا بِنَانَا

وَكُنْتَ صَدَى لَأَعْصُرِنَا الزَّوَاهِي
وَكُنْتَ حَرِيرِيَّ الْأَسْلُوبِ حِينَا
وَعِطْراً هَبَّ مِنْ بَغْدَادَ يَسْرِي
وَلَمْ تَكْ شَاعِراً يَبْنِي الْقَوَافِي

وَلَكِنْ كُنْتَ نَقَّاداً بَصِيراً
تَهِيمُ بِهَا قَصِيداً أَوْ نَشِيداً
وَتَطْرِبُكَ الْمَعَانِي وَالْمَثَانِي
بِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ قَهْرَمَانَا !
وَتَعْشَقُهَا رَبَاباً أَوْ كَمَانَا !
إِذَا مَا دَاعَبَ الْوَتْرُ الْبَنَانَا !

* *

وَكَمْ أَسْهَرْتَ جَفْنَكَ فِي كِتَابٍ
جَرَيْتَ مَعَ الْمَعَالِي فِي سَبَاقٍ
هُوَ الْإِبْدَاعُ مَوْهَبَةٌ وَطَبْعُ
وَلَيْسَ بِضَاعَةً بِالْمَالِ يُشْرَى
وَمَالِي وَالرِّثَاءُ وَلِي شُجُونٌ
وَلَكِنِّي طَرُوبٌ بِالْمَعَالِي
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيكَ فَيْضاً
مَلَأَتْ بِهِ الْمَشَاعِرَ وَالْجَنَانَا !
فَأَكْسَبَكَ الْوَفَاءَ لَهَا الرِّهَانَا !
إِذَا لَمْ يَتَّسِمَ بِالصِّدْقِ هَانَا
وَلَكِنْ جَوْهَرٌ إِنْ صِينَ صَانَا
دَعَوْتُ لَهَا الْقَرِيضَ فَمَا أَعَانَا
شَغُوفٌ بِالْكَمَالِ وَحَيْثُ كَانَا
مِنْ الرَّحْمَى وَيُسْكُنُكَ الْجِنَانَا

وداع

تحية لروح شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمن العراقي

عَوَادِي الدَّهْرِ خَلَّتْنِي جَزُوعًا
وَلَمْ تَتْرُكْ بِأَجْفَانِي دُمُوعًا
خَضَعْتُ لَهَا وَلَوْلَا مَا أَعَانِي
مِنَ الْأَحْدَاثِ لَمْ أَعْرِفْ خُضُوعًا
نَعَى النَّاعُونَ فِي فَاسٍ فَتَاهَا
وَكَوَّكَبَهَا وَعَالِمَهَا الضَّالِّعَا
فَأَخْرَسَنِي الْأَسَى وَأَذَابَ قَلْبِي
وَأَمْسَكْتُ الْحَنَائِيَا وَالضُّلُوعَا
وَلَمْ تَسْلَسْ لِهَيْبَتِهِ الْقَوَافِي
وَعَهْدِي بِالْقَوَافِي أَنْ تُطِيعَا !
كَأَنِّي لَمْ أَعِشْ إِلَّا لِأُبْكِي
وَأُرْثِي كُلَّ آوْنَةٍ صَارِيَعَا !
مَوَاكِبُ بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ
تُزَلْزَلُ صَرْحَ عِزَّتِنَا الْمَنِيعَا
نُكْفِكُفُ أَدْمُعَاً فَتَفِيضُ أُخْرَى
وَنَرَابُ صَدْعُنَا فَنَرَى صُدُوعَا !

كَأَنَّ لِدَهْرِنَا فِينَا تِرَاتِ
وَجُرْمًا لَا يَرَى فِيهِ شَفِيعَا !
ذَكَرْتُ فَقَيْدَنَا فَذَكَرْتُ دُنْيَا
مِنَ الْأَمْجَادِ تُوشِكُ أَنْ تَضِيعَا !
ذَكَرْتُ بِهِ شَبَابِي فِي رِيَاضِ
مِنَ الْعِرْفَانِ أُنَسْتَنِي الرَّبِيعَا
عَرَفْتُ فَقَيْدَنَا فِيهَا مَنَارًا
وَشَمْسًا تَمْلَأُ الدُّنْيَا سَطُوعَا
يَشَعُّ بِشَاشَةٍ وَيَفِيضُ بِشَرَا
وَيَنْشُرُ فِي مَجَالِسِهِ الْبَدِيعَا
وَيُضْغِي سَيِّوِيَهُ إِذَا حَكَاهُ
وَيُحْسِنُ فِي أَحَاجِيهِ الصَّنِيعَا !
سَتَذْكُرُهُ مَوَاقِفُ خَالِدَاتٍ
تُبْوِي رُوحَهُ نُزُلًا رَفِيعَا
عَرَفْتُ فَقَيْدَنَا فِيهَا جَسُورًا
رَبِيطَ الْجَاشِ يَقْتَحِمُ الْجُمُوعَا
يُنَاضِلُ فِي تَحَدٍ وَهُوَ شَيْخٌ
يُبَارِي النَّشْءَ طَمَاحًا نَزُوعَا
وَلَمْ يُقْبَلْ عَلَى دُنْيَاهُ يَحْنِي
لَذَائِذَهَا وَيَحْتَلِبُ الضُّرُوعَا !

وَمَا زَكَّى سِيَاسَةً مُسْتَبِيدٍ
بِأَمَّتِهِ وَلَا أَلْفَ الرُّكُوعَا !
وَلَا اتَّخَذَ الذُّقَى وَالْعِلْمَ كَسْبِيًّا
وَلَكِنْ كَانَ مُحْتَسِبًا قَنُوعَا
وَأَعْطَى مِنْ مَعَارِفِهِ فَأَغْنَى
وَأَشْبَعَ مَنْ شَكَا فِي الْعِلْمِ جُوعَا
شَمَائِلُ زَانَهَا خُلُقٌ وَدِينٌ
وَرُوحٌ مَا تَعَوَّدَتِ الْخُنُوعَا
وَمَا كَانَتْ جُهُودٌ مُخْلِصَاتٌ
لِوَجْهِ اللَّهِ يَوْمًا أَنْ تَضِيعَا !
فَيَانْجَمًا تَهَاوَى مِنْ عُلاهِ
وَلَمْ أَرِ فِي الثَّرَى نَجْمًا صَرِيعَا !
مَتَى اهْتَدَتْ الشُّعُوبُ بِلَا عُقُولٍ
تُجَنَّبُهَا الْمَخَاطِرَ وَالْوُقُوعَا ؟
وَهَلْ يَسْتَنْشِقُ السَّارِي بَلِيلٍ
عَبِيرَ الْأَمْنِ إِنْ فَقَدَ الشُّمُوعَا ؟
وَلَكِنَّ الْأُصُولَ وَإِنْ تَوَارَتْ
تُخَلَّفُ فِي مَنَابِتِهَا الْفُرُوعَا !
وَمَا أَرْزَاءُ فَاسٍ فِي بَيْنِهَا
تُودِعُهُمْ كَمَا تُزْجِي الْقَطِيعَا

بِحَطْبٍ يُسْتَسَاغُ الشَّعْرُ فِيهِ
وَيَسْهُلُ أَنْ نَرِيقَ بِهِ الدَّمُوعَا
عَزَاءُ الْعِلْمِ أَنَّكَ فِيهِ حَيٌّ
وَإِنْ أَوْرَثْتَنَا حُزْنًا مُرِيْعَا
وَفِي أَغْرَاسِكَ الْخَضِرَاءُ عُمُرٌ
مَدِيدٌ يَفْضُلُ الْعُمُرَ السَّرِيعَا
عَلَيْكَ سَحَائِبُ الرَّحْمَانِ تَتَرَى
وَتَغْمُرُ قَبْرَكَ الرَّحْبَ الْوَسِيعَا

وداعاً.. أيها الرفيق

إلى روح رفيق العمر الوفي محمد الإدريسي

أُخْرَسَ الْمَوْتُ يَا عَزِيزِي لِسَانِي
وَتَحَدَّيْتُهُ فَخَانَ بَيَانِي
مِثْلَ حُزْنِي عَلَيْكَ مَا حَزَنْتُ نَفْسَ—
سُ حَبِيبٍ وَلَا بَكَتْ عَيْنَانِ !
أَنَا فِي مَوْقِفٍ تَوَارَيْتَ فِيهِ
عَنْ عُيُونِي وَأَنْتَ حَيْثُ تَرَانِي !
أُنَادِي مَنْ كَانَ يَسْمَعُ هَمْسِي
وَارْتَعَاشَاتِ نَبْضَتِي فِي جَنَانِي ؟
أُنَاجِي مَنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ مَثْوَا
هُ وَفِي قَلْبِهِ الْكَبِيرِ مَكَانِي ؟
قَدَرِي الْيَوْمَ أَنْ أَرَكَ مُسَجًى
وَصَارِعاً مُحَنَّطَ الْجُثْمَانِ
أُسَكَّتَ الْمَوْتُ بُلْبُلًا كَانَ فِي الرُّوْ
ضِ شَجِيَّ التَّغْرِيدِ وَالْأَلْحَانِ
جُلْتُ فِي رَوْضِهِ وَقَدْ خَيَّمِ الصَّمْ—
تُ عَلَيْهِ وَغَاصَ فِي الْأَشْجَانِ

وَرَأَيْتُ الْوُرُودَ فِيهِ بِلَا عَطُ
 — رٍ، وَبَاقَاتِهَا بِلَا أَلْوَانِ
 وَرَأَيْتُ الشُّحُوبَ فِي كُلِّ وَجْهِهِ
 وَسَوَاقِي الدُّمُوعِ فِي الْأَجْفَانِ

* ● *

جَفَّ فِي رَوْضِهِ الرُّوَاءَ وَغَاصَ الـ
 — بَشْرُ وَأَنْهَدَ رَافِعُ الْبُنْيَانِ
 وَأَنْطَفَأَ مَشْعَلُ تَوَهَّجٍ فِيهِ
 وَاخْتَفَى أَنْسُ عُرْسِهِ فِي ثَوَانِي
 غَابَ عَنَّا إِلَّا صَدَاهُ فَمَا زَالَ
 قَوِيًّا يَنْسَابُ فِي الْأَذَانِ
 خَيَّمَ الصَّمْتُ فِي مَقَاصِيرِهِ الْفِي—
 — ح، وَأَقْوَتَ مَجَالِسُ الْخِلَآنِ !
 كُنْتُ أَرْتَادُهُ بِشَوْقٍ فَلِيقَا
 نِي مَشُوقًا إِلَيَّ بِالْأَحْضَانِ !

* ● *

وَهَبَ الْحَرْفَ عُمَرَهُ وَرَعَى النَّشْ
 عَ، وَوَالَى نَضَّالَهُ الْإِنْسَانِي

وَأَبَا كَانَ حَانِيَا وَعَظُوفَا
وَأَدِيْبَا يَمْتَحُ مِنْ جَبْرَانِ
أَتَعَبَتْ نَفْسُهُ اللَّيَالِي وَوَلَّى
غَيْرَ رَاضٍ مَا كَانَ فِي الْإِمْكَانِ !
وَتَحَدَّى الصِّعَابَ فِي قِمَّةِ الْعُمَمِ
رِ، كَمَا كَانَ وَهُوَ فِي الرِّيعَانِ
ذِكْرِيَاتِي بِهِ صَحَائِفُ مِنْ نُورِ
رِ، وَدُنْيَا وَضِيئَةُ الْأَلْوَانِ
أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْعَزِيْزُ تَلَفَّتْ
لِتَرَى الحُبَّ وَالْأَسَى فِي آنِ
لِتَرَى مَوْكِبَا وَرَاءَكَ يَبْكِي
وَأَخَا لَمْ يَمْنَحْكَهُ الْإِبْوَانِ
حَمَلَتْ نَعَشَهُ رُؤُوسُ بَنِيهِ
فَاعْتَلَاهَا كَأَشْرَفِ التِّجَانِ
مَاعِهْدُنَا الْأَشْجَارَ مِنْ قَبْلُ تَمْشِي
وَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْأَغْصَانِ !
لَوْ تَفَدَّى قُدَيْتَ بِالرُّوحِ لَكِنَّ
الْمَنَايَا مُغْتَالَةٌ كُلُّ فَانِي
لَيْسَ يَشْفِي جِرَاحَ قَلْبِي دُنْيَا
مِنْ مَرَاثٍ تُصَاغُ فِي دِيْوَانِ
أُسْكَنَ اللَّهُ رُوحَهُ غُرُفَاتِ
وَارِفَاتِ فِي جَنَّةِ الرِّضْوَانِ

رَمَزُ أُمَّةٍ

لَا تُذَكِّرُ فَمَا نَسِيتُ مَجِيدًا
 لَيْسَ عَنَّا وَإِنْ تَوَارَى بَعِيدًا !
 لَا تُذَكِّرُ ! فَمَا يُذَكِّرُ إِلَّا
 مَنْ تَنَاسَى أَوْ مَنْ أَضَاعَ الْعُهُودَا
 أَفَيْنَسَى عِلَالٌ ؟ مَنْ عَبَّ الشَّعْوَ
 سَبَّ فَفَكَّتْ بَنُوهُ عَنْهَا الْقِيُودَا
 شُعْلَةٌ بَارَكْتَ سَنَاهَا يَدُ اللَّهِ
 هِ فَلَمْ تَخْبُ أَوْ تُعَانِ خُمُودَا
 وَنَشِيدٌ قَدْ رَدَّدَتْهُ رَوَابِي—
 نَا عَلَى مَسْمَعِ الدُّنَى تَرْدِيدَا
 عَرَفْتَهُ مَنَابِرُ الْعِلْمِ شَلًّا
 لَأَسْخِيَاءَ وَبُلْبُلًا غَرِيدَا
 وَأَصِيلًا يَرَى الْأَصَالَهَ إِبْدَا
 عَاً وَخَلْقَاً لَارِدَّةً وَجُمُودَا
 كَانَ فِي الْقَادَةِ الْعَبَاقِرِ بِدْعَاً
 وَطِرَازًا مِنَ الرَّجَالِ فَرِيدَا
 كَانَ كَالطُّودِ شَامِخًا يَتَخَدَّى
 كُلَّ صَعْبٍ وَكَانَ أَصْلَبَ عُودَا

وَصَدَى مُرْعَباً يَهْزُ الْأَعَادِي
وَيُدَوِي فِي الْغَاصِبِينَ رُعُوداً
وَأَبْنُ فَاسٍ مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ مَجِيدٍ
وَرِثَ الْمَاجِدُونَ فِيهِ الْجُدُودَ
عَاشَ مُذْ شَبَّ سَابِحاً فِي هَوَاهَا
قَيْسَ لَيْلَى وَصَبَّهَا الْمَعْمُودَ
سَلَّ سَحِيقَ السُّجُونِ مَنْ عَاشَ فِيهَا
مُبْعَداً عَنْ بِلَادِهِ مَفْقُوداً ؟
بَاعَ لِلَّهِ نَفْسَهُ فِي هَوَاهَا
لِيَرَى فَجَرَ يَوْمِهَا الْمَوْعُودَ
قَالَ لِلْغَاصِبِينَ : لَا لَا فَكَانَتْ
لَاؤُهُ مُنْذُ قَالَهَا التَّوْحِيدَ !
لَكَانِي أَرَاهُ فَوْقَ الْكَرَاسِي
وَهُوَ يُحْيِي جَلَالَهَا الْمَعْهُودَ
وَحُشُّوداً مِنْ حَوْلِهِ تَمْلَأُ الرَّحَى
سَبَّ وَتَغْشَى مَعِينَهُ الْمَوْرُودَ
حَلَّ كَالْغَيْثِ فِي جَدِيبِ مِنَ الرُّو
ضِ فَأَحْيَا رَبِيعَهُ الْمَوْعُودَ
سَاءَهُ أَنْ يَرَى الْجَهَالََةَ قَدْ أَلَى
قَتَّ عَلَى الشَّعْبِ ظِلَّهَا الْمَمْدُودَ

فَحَبَّأَ الشَّعْبَ عُمَرَهُ لِيَرَاهُ
سَيِّدًا فَوْقَ أَرْضِهِ لَأَمْسُودَا !
لَمْ يَزَلْ يَنْشُدُ الْكَمَالَ وَيَخْدُو
هُ إِلَيْهِ وَيَيْذُلُ الْمَجْهُودَا
وَيَرَى فِي الْعَذَابِ رَاحَةً نَفْسٍ
لَمْ تُرِدْ مِنْ حَيَاتِهَا مَا أُرِيدَا !
قَدَّمَ فِي الثَّرَى وَفَوْقَ الثُّرَيَّا
هِمَّةً فِي الْكَمَالِ تَبْغِي الْمَزِيدَا
مَنْ يُكَابِرُ فِي الشَّمْسِ وَهُوَ يَرَاهَا
رَأَى عَيْنٍ فَلَيْسَ إِلَّا جَحُودَا !



يَوْمَ نَادَى عَالَالُ أَجْجَهَا نَا
رَأَى وَكَانَ الْمُسْتَعْمِرُونَ الْوَقُودَا
زَلَزَلُ الْأَرْضِ تَحْتَهُمْ وَهِيَ أَرْضُ
لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِمْ أَنْ تَمِيدَا !
عَاشَ أَبْنَاؤُهَا صَنَائِدَ أَحْرَا
رَأَى أَبَاةً يُحَرِّرُونَ الْعَبِيدَا !
نَحْنُ مَنْ لَقَّنُوا الشُّعُوبَ وَأَعْطُوا
لِبَنِيهَا دَرَسَ النِّضَالِ الْمُفِيدَا !

كَلَّمَا وَدَّعَ الْحَيَاةَ شَهِيدٌ
قَدَّمَ الشَّعْبُ لِلْفِدَاءِ شَهِيدًا !
قَدْ طَرَدْنَا مُحْتَلِّينَا وَانْتَفَضْنَا
حُمَمًا فَوْقَ رَأْسِهِ وَأَسْوَدَا
وَأَقَمْنَا الْأَعْرَاسَ فِي كُلِّ وَادٍ
وَرَفَعْنَا عَلَى الرَّوَابِي الْبُنُودَا
وَأَنْجَلَى اللَّيْلُ عَنْ صَبَاحٍ وَهَلَتْ
بُشْرِيَّاتٌ تَخْذُو الْوَلِيدَ الْجَدِيدَا



يَافَقِيدَ النِّضَالِ رُوحَكَ مَا زَا
لَتِ لَهِيْبًا مُقَدَّسًا وَرَصِيدَا
وَدُرُوسًا عَلَى الطَّرِيقِ مُشْعَا
تٌ وَعَهْدًا عَلَى الْوَفَا مَعْقُودَا
مَا عَرَفْنَا الزَّمَانَ بَعْدَكَ إِلَّا
مُكْفَهَرًا عَلَى الْوَفَى شَدِيدَا
قَدْ مَشَيْنَا عَلَى الطَّرِيقِ وَمَا زَا
لَ مَحَطُّ الْقُلُوبِ مِنَّا بَعِيدَا !

كُلِّ ذِكْرِي تَمُرُّ عُمْرُ جَدِيدُ

يَمْنَحُ الرَّاحِلَ الْعَظِيمَ الْخُودَا

فَلْتَنَمَّ فِي جِوَارِ رَبِّكَ مُرْتَا

حَاً فَقَدْ كُنْتَ عَبْدَهُ الْمَحْمُودَا

وَتَنَسَّمْ مِنْ رَوْضِهِ نَسَمَاتِ

وَأَطْلِ فِي خُضْرِ الْجَنَانِ السُّجُودَا

وقفاً

إلى روح فقيد الفكر والأدب د. عزيز الحبابي

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ أَوْفَى ذِمَّةٍ عِلْمٌ
قَالُوا طَوَى الْمَوْتُ مَنْ لَمْ يَطْوِهِ حَـ
فَأَرْسَلَ الدَّمْعُ مَنْ لَمْ تَجْرِ أَدْمُعُهُ
قَدْ كَانَ فِكْرًا رَحِيبَ الْأَفْقِ مُبْتَدِعًا
وَرَوْضَ عِلْمٍ زَكَ نُورًا وَفَاحَ شَذَا
مَا كَانَ رُزْءٌ وَلَكِنْ كَانَ فَاجِعَةً
لَمَّا رَأَى الْعَقْلُ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
رَأَى مَظَاهِرَ هَذَا الْكَوْنِ غَامِضَةً
دَعَا إِلَى الْحُبِّ وَالتَّغْيِيرِ عَالَمَهُ
وَصَارَ غَابَ ضَوَارٍ لَا أَمَانَ بِهَا

هَوَى وَكَوْكَبُ فِكْرٍ بَيْنَنَا افْتِقَادًا
دَثَّ وَالْمَوْتُ لَيْسَ بِنَاسٍ بَيْنَنَا أَحَدًا!
وَأَمْسَكَ الْقَلْبَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ جَلْدًا!
وَكَانَ صَوْتًا لَهُ فِي الْخَافِقِينَ صَدَى
وُبُلْبُلًا كَانَ فِي أَدْوَانَا غَرْدًا
فِي عَبْقَرِي أَحَبَّ الْفِكْرَ مَذْ وَلِدًا!
صَلَّى إِلَيْهِ وَفِي مُحَرَّابِهِ سَجْدًا!
فَغَاصَ فِي عُمُقِهَا بِالْعَقْلِ مُنْتَقِدًا
وَقَدْ رَأَى كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ فَسَدًا!
إِلَّا لِمَنْ كَانَ فِي آجَامِهَا أَسَدًا!

* *

كَالنَّبْعِ كَانَ عَطَاءً لَا يُكْدِرُهُ
ذَكَرَتْهُ وَظِلَامُ السِّجْنِ يَجْمَعُنَا
فَكَانَ قَلْبًا بِحُبِّ الْأَرْضِ مُمْتَلِيًا
كَمْ حَاوَرَ الْغَرْبَ بِالْعَقْلِ الَّذِي زَعَمُوا
فَكَانَ يُصْغِي لِمَا يُمْلِي وَيَعْقِلُ مَا
مَضَى فَأَوْحَشَ رَوْضَ الْفِكْرِ وَاكْتَأَبَتْ
وَمَا أَرَانَا افْتَقَدْنَا يَوْمَ غَيْبَتِهِ

رَنَقٌ وَلَا يَتَسَلَّى عَنْهُ مَنْ وَرَدَا
وَالدَّمْعُ فِي أَعْيُنِ الْأَحْرَارِ قَدْ جَمَدَا!
وَكَوْكَبًا فِي دِيَارِجِهَا قَدْ انْتَقَدَا
بِأَنَّهُ فِي دِيَارِ الشَّرْقِ قَدْ وَثِدَا!
يُنْبِي بِهِ مِنْ هُمُومٍ قَدْ تَجِيءُ غَدَا
مَنَابِرُ طَالَمَا فِي أَوْجِهَا افْتَقَدَا
عَنِ الْأَحِبَّةِ إِلَّا الظِّلَّ وَالْجَسَدَا!

وَفَا

إلى فقيه العلم الشيخ

عبد الكريم الداودي

هَلْ غَادَرَ الْمَوْتُ دَمْعاً فِي مَاقِينَا
لَا يُشَبِّهُهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَاطِطاً يَدُهُ
وَنَاقِداً يَنْتَقِي مِنْ كُلِّ جَوْهَرَةٍ
فِي الْقَلْبِ أَكْثَرَ مِنْ جُرْحٍ نُضْمِدُهُ
وَفَقْدُ مَنْ يَحْتَوِيهِ الْقَلْبُ فَاجِعَةٌ
وَمَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا إِذَا افْتَقَدَتْ
قَالُوا طَوَى الْمَوْتُ فِي أَسْنَى مَكَارِمِهِ
وَكَذَبَتْ أَدْنَى نَعِيّاً صُعِقَتْ بِهِ
مَا كَانَ أَفْطَحَ أَنْ يَمْضِيَ لِغَايَتِهِ
بَاهَتْ بِهِ حَلَقَاتُ الْعِلْمِ وَازْدَحَمَتْ
وَزَانَهُ وَهُوَ ذُو عِلْمٍ تَوَاضَعُهُ
قَدْ كَانَ فِي النَّاسِ إِنْسَاناً عَلَى خُلُقٍ
مَضَى وَفِي كُلِّ بَيْتٍ مَا يَزَالُ لَهُ
فَارْتَحَ قَرِيرًا بِمَا قَوِّمَتْ مِنْ عَوَجٍ
جُزِيتَ خَيْرَ جَزَاءٍ لَا يُضَاعَفُهُ
مِنْ اصْطِفَائِهِمْ لِنَصْرِ الْحَقِّ فَاحْتَمَلُوا
إِنْ تَمَضَى عَنَّا فَمَا فَارَقَتْ فِي وَطَنِي

تَفِيضُ حُزْنًا عَلَى فَقْدَانِ أَهْلِينَا ؟
تُخْطِي الْقَتَادَ وَلَا تُخْطِي الرِّيَاحِينَ !
مَا كَانَ بَيْنَ زَوَايَا الْقَلْبِ مَكْنُونًا !
وَفِي أَسَى النَّفْسِ مَا يُعْيِي الْمَوَاسِنَا !
لَيْسَتْ تَهُونَ وَإِنْ عَزَى الْمَعزُونَا !
فِيهَا مَصَابِيحُ تَهْدِي مِنْ يَضْلُونَا !
عَبْدَ الْكَرِيمِ فَأَدْمَى الْقَلْبُ نَاعِينَا !
وَلَمْ أَصْدَقْ وَحَوْلِي الْقَوْمَ يَبْكُونَا !
مَنْ عَاشَ لِلْعِلْمِ تَبْلِيغاً وَتَلْقِينَا !
عَلَى مَنَاهِلِهِ الْوَرَادُ حَافِينَا !
وَكَمْ رَأَيْنَا ذَوِي عِلْمٍ فَرَاعِينَا !
وَفِي الشَّدَائِدِ لَمْ نَعْرِفْ لَهُ لِينَا
صَدَى حَمِيدٌ يُقِيمُ الْخُلُقَ وَالِدِينَا !
وَأَسْبَحَ بِرُوحِكَ فِي أَعْلَى عَلِينَا !
رَبُّ الْخَلِيقَةِ إِلَّا لِلْمُرَبِّينَا !
وَقَرَّبُوا نَفْسَهُمْ فِيهِ قَرَابِينَا !
إِلَّا رِفَاقًا وَإِنْ عَاشُوا سَيَمُضُونَا !

صَوْتُ شَاعِرٍ

إلى كل جُندي مجهول مات شهيد الشعر

أَشْدُّو النَّايِ أَمْ صَوْتُ النَّعِيِّ
تَرَدَّدَ هَوْلُهُ فِي كُلِّ حَيٍّ ؟
أَفَاقَ الْكَوْنِ مِنْهُ عَلَى نَشَازٍ
وَعَطَّى الْحُزْنَ فِيهِ كُلَّ شَيْ
وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْأُحْزَانَ يَوْمًا
بَكَتْ عَيْنَاهُ بِالدَّمْعِ الْعَصِي !
وَعَهْدِي بِالْبَلَابِلِ صَادِحَاتٍ
تَغْرُدُ بِالْغُدُوِّ وَبِالْعَشِيِّ
عَلَى نَهْرٍ وَرِيفِ الظِّلِّ سَاجٍ
وَبَيْنَ الزَّهْرِ فِي رَوْضٍ نَدِي
خَرَسْنَ مِنَ الْآسَى وَشَدَوْنَ لَحْنًا
جَنَائِزِي الْمَقَاطِعِ وَالرَّوِي !
تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ فِي حِدَادٍ
مِنَ الدُّنْيَا عَلَى شَبِّهِ النَّبِيِّ !
دَعَا لِلْحُبِّ فِيهَا مَنْ تَعَادَا
وَضَلُّوا السَّيْرَ فِي النَّهْجِ السَّوِيِّ

وَعَنَى لِأَيَّامِي وَالْيَتَامَى
وَاللَّشِيخَ الْمُعَمَّرَ — وَالصَّبِي
وَشَنَفَ مَسْمَعَ الدُّنْيَا بِشَعْرِ
أَرْقَ مِنَ الرَّحِيقِ الْبَابِلِي
تَحَدَّى بِالْعَزِيمَةِ كُلَّ خَطْبٍ
وَقَاوَمَ كُلَّ إِعْصَارٍ قَوِي
وَعَاشَ كَخَزَرَةٍ لَمْ تَشْكُ ضَعْفًا
وَلَا وَهْنًا — مِنَ السَّيْلِ الْآتِي
وَلَمْ يَكْ شُعْلَةً يَخْبُو ضِيَاهَا
وَلَكِنْ كَانَ كَالصُّبْحِ الْبَهِي
تَغْلَغَلَ لَحْنُهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ
وَأَنَسَ كُلَّ مَحْ — رُومٍ شَقِي
وَنَبَعًا كَانَ ثَرًّا فِي أَنْسِيَابٍ
يُ — رَوِي كُلُّ مُنْتَجِعٍ قَصِي !
كَهَامِي الْغَيْثِ يُمِطُّرُ كُلَّ مَحَلٍ
وَيَغْمُرُهُ بِإِمْدَادٍ سَخِي



رَأَى مِنْ حَوْلِهِ أَشْبَاهَ نَاسٍ
بِ — لَا مُثْلٍ وَلَا خُلُقٍ رَضِي

حَرَابِي فِي مَظَاهِرَ زَائِفَاتٍ

تَعِيشُ عَلَى النِّفَاقِ بِأَلْفِ زِي !

رَأَاهَا وَهِيَ تَخْبِطُ فِي سُورَاهَا

وَتَمْشِي مِشْيَةَ الثَّمَلِ الْغَوِي

فَأَحْرَقَ نَفْسَهُ لِضِيءِ دُنْيَا

لِعُمَيَّانٍ تَسِيرُ بِلا عَصِي !

وَأَعْرَضَ عَنِ لَذَائِذِ مُغْرِيَاتٍ

عُزُوفَ الْحُرِّ ذِي الْخُلُقِ الْأَبِي

بِمَنْ يَشْكُو ؟ وَمَنْ يَشْكُو إِلَيْهِ

وَيَاوَيْلَ الشَّجِي مِنْ الْخَلِي !

مَضَى كَالطَّيْفِ فِي غَمَضَاتٍ عَيْنٍ

يُرَاوِدُهَا لِئُسْرِعَ فِي الْمَضَى !

وَأَغْمَضَ عَيْنَهُ وَالنَّفْسُ حَسْرَى

وَأَبْحَرَ نَحْوَ عَالَمِهِ الْخَفِيِّ !

وَخَلَّفَ بَعْدَهُ رُفَقَاءَ دَرْبٍ

سَتَرَكَبُ إِثْرَهُ نَفْسَ الْمَطِيِّ !

وَمَا مَوْتُ الْمَوَاهِبِ غَيْرَ مَوْتٍ

لِمَوْطِنِهَا وَمَاتُمْ كُلُّ حَي ؟

نَوَادِي الشَّعْرِ بَعْدَكَ فِي وُجُومٍ

وَبَلْبَاهَا اعْتَرَاهُ شَرُّعِي

مَلَأَتْ بِهِ الْحَيَاةَ هَوًى وَعِشْقاً
نَسِيتَ بِهِ هَوًى لَيْلَى وَمَيَّ !
سَتُنْسَى مِثْلَمَا نُسِيتَ رُمُوزَ
وَتَبْلَى ذِكْرِيَّاتُ الْعَبَقْرِ !
كَمَا تَبْلَى زُهُورٌ فِي رِيَاضِ
وَتَفْنَى نَفْحَةُ الْعِطْرِ الزَّكِيِّ !
سُقِيتَ - وَقَدْ ظَمِئْتَ هُنَا - بَوْبِلِ
مِنَ الرَّحِمَاتِ يُنْسِي كُلَّ رِي

(*) إلى كل جندي مجهول مات شهيد الشعر.

إخوانيات

سَلُّوا مَنْ غَابَ عَنَّا...

سَلُّوا مَنْ غَابَ عَنَّا كَيْفَ غَابَا
وَكَيْفَ سَلَّا الْأَجْبَةَ وَالصَّحَابَا
سَلَّا عَنَّا وَلَمَّا نَسَلَ عَنْهُ
فَمَنْ يُذَرِّيهِ أَنَّ الْقَلْبَ ذَابَا !
وَمَالِي غَيْرُ قَلْبٍ يَحْتَوِيهِ
فَكَيْفَ يُذِيقُهُ هَذَا الْعَذَابَا ؟
يُعَلِّلَنِي بِأَمَّالٍ عِذَابِ
وَأَذْلَفُ نَحْوَهَا فَأَرَى سَرَابَا !
وَيَحْمِلَنِي الْهَوَى فَأُطِيرُ شَوْقَا
بِغَيْرِ جَوَانِحٍ أَطَأَ السَّحَابَا
وَتَصَحُّوْا أَعْيِنِي فَأَرَى حَبِيبَا
جَمِيلُ الظَّنِّ فِيهِ خَبَا وَخَابَا
وَهَبْتُ لَهُ الْحَيَاةَ وَكُلَّ عُمْرِي
فَلَمْ يَمْنَحْ لِوَاهِبِهِ ثَوَابَا
وَكَانَ لَطِيفِهِ بُشْرَى لِقَاءِ
يُرَاوِدُنِي إِذَا النَّوْمُ اسْتَجَابَا
فَلَمَّا أَنْ جَفَا نَوْمِي عُيُونِي
جَمَعْتُ لَطِيفِهِ وَلَهُ الْعِتَابَا

فَمَالِي بِالْهَوَى شَاغَلْتُ نَفْسِي
وَحُضْتُ بِهَا عَلَى رَغْمِي عِبَابَا !..
وَأَرْخَيْتُ الْعِنَانَ لَهَا فَجُنْتُ
وَجَابَتْ بِي الْمَجَاهِلُ وَالشَّعَابَا
غَرِيقُ الْحُبِّ لَا يُنْجِيهِ طَوْقُ
تَمَادَى فِي الْغَوَايَةِ أَوْ أَنْابَا
رَأَيْتُ الْحَقَّ يُحْيِي كُلَّ قَلْبٍ
وَيَكْشِفُ عَنْ بَصِيرَتِي النُّقَابَا
رَأَيْتُ اللَّهَ فِيمَا بَثَّ حَوْلِي
رَأَيْتُ الْبُسْطَ خُضْرًا وَالْهَضَابَا
وَنُورَ الشَّمْسِ يَكْسُو الْأَرْضَ تَبْرًا
وَمَاءَ النَّهْرِ يَنْسَابُ انْسِيَابَا
رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ
وَمَا لَمْ يَبْدُ كَانَ هُوَ الْعَجَابَا !
بَكَيْتُ لِحَنَّةٍ قَدْ حَوْلَتْهَا
مَسَاوِي النَّاسِ مُعْتَرِكًا وَغَابَا !
بَنُو الْإِنْسَانِ فِيهَا كَالضُّوَارِي
وَإِنْ لَمْ تَبْدُ عِنْدَ الْفَتْكِ نَابَا
يَمُوتُ الْكَادِحُونَ بِهَا وَيَبْنِي
بُنَاةُ السُّوءِ مِنْ دَمِهِمْ قَبَابَا !

وَيَدْعُو لِّلسَّلَامِ دُعَاةُ حَرْبٍ
حَمَاقَتَهُمْ سَتَتْ رُكُهَا خَرَابَا
حُمَاةٌ غَيْرَ أَنَّهُمْ وَجُنَاةٌ
يَرُونَ سِيَاسَةَ الْأُمَمِ اسْتِلَابَا
يُذَبِّحُ مُسَلِّمُو الْبُوسْنَا جَهَارًا
وَيُغْتَصَبُ النِّسَاءُ بِهَا اغْتِصَابَا !
وَمَجْلِسُ أَمْنِهِمْ يُعْطِي الْوَصَايَا
لِمَنْ عَقُّوهُ أَوْ يُلْقِي خَطَابَا !
فَكَيْفَ تَرَى الْحَيَاةَ بِغَيْرِ عَدْلٍ
وَعَيْشَ الْحُرِّ فِيهَا مُسْتَطَابَا ؟
وَكَيْفَ يَعُمُّ سَلَامٌ فِي حَيَاةٍ
إِذَا لَمْ تَأْمَنِ الْغَنَمُ الذِّئَابَا ؟
نَبِيُّ اللَّهِ يَا غَوْثَ الْبَرَايَا
وَمَنْ يُرْجَى إِذَا مَا الْخَطْبُ نَابَا
إِلَيْكَ نَلُودُ مِنْ كُرْبٍ تَوَالَتْ
عَلَى الْإِسْلَامِ لَمْ تُشْبِهْهُ مُصَابَا
وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ طَوْقٌ
وَهُمْ غَرَقَى يُعَانُونَ الصِّعَابَا
نَاوَا عَنْ مَنْهَجٍ قَدْ كَانَ أَهْدَى
وَأَخْطَا مَنْ يَقُودُهُمُ الصَّوَابَا

وَعَشَّشَ بَيْنَهُمْ خُفَّ عَقِيمٍ

وَصَاحَ عَلَى مَأْذِنِهِمْ غُرَابًا !

وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا يَنْتَابُ أَهْلٌ

وَحَيْرٌ مُشَفِّعٌ يُعْطَى الرِّغَابَا

فَمُدَّ يَدَيْكَ وَأَنْشُلُ مَنْ تَرَدَّى

فَلَنْ نُلْقَى سِوَاكَ إِلَيْهِ بَابَا

حَنِينٌ

مَنْ تُـرَاهُ عَنْ وِدَادِي حَـوْلَكَ
وَبَغْيِي رِي مَنْ تُـرَاهُ شَغْلَكَ ؟
قَدْ سَهَرْتُ اللَّيْلَ حَتَّى ظَنَنْتِي
أَنْنِي نَجْمٌ نَأَى عَنْهُ الْفَلَكُ !
سَلْ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ ذَقْتُ الْكَرَى
فَهُوَ مَنْ لَا يَجْـأَفِي مُقْلَكَ
وَسَلِ الْبَدْرَ الَّذِي نَاجَيْتَهُ
وَهُوَ يُصْغِي لِشُجُونِي فِي الْحَلَكِ
لَنْ تَرَى طَيْفَكَ عَيْنِي أَبَدًا
فَهِيَ لَا تَرْضَى بِطَيْفٍ بَدَلَكَ !
لَمْ يَذُقْ مَجْنُونٌ لَيْلَى بَعْضَ مَا
دُقْتُهُ فِيكَ، وَلَوْ ذَاقَ هَلَكُ !
كَلَّمَا اسْتَقْتُ تَطَلَّعْتُ إِلَى
قَمَرٍ فِي الْأُفُقِ يَحْكِي مَثَلَكَ
وَتَنَسَّمْتُ نَسِيمًا فِي الصَّبَا
لَا عِتْقَادِي أَنَّهُ قَدْ قَبَّلَكَ !
وَشَمِمْتُ الْوَرْدَ فِي الرُّوضِ الَّذِي
لَمْ يَكُنْ يُشْبِهُهُ إِلَّا مَخْمَلُكَ

قَدْ شَكَّوْتُ الشَّوْقَ وَحَدِي لَيْتَهُ
مِثْلَمَا حَمَّلَنِي قَدْ حَمَلَكَ
يَا شَقِيقَ الْوَرْدِ فِي أَشْذَائِهِ
وَنَقِيَّ الرُّوحِ فِي شِبْهُهُ مَلِك !
لَيْسَ فِي قَلْبِي لِشَيْءٍ مَنْزِلٌ
قَدْ يُسَاوِي فِي عُلاهِ مَنْزِلَكَ
بِي حَنِينٌ أَجَجْتُ أَشْوَاقَهُ
ذِكْرِيَّاتٌ كُنْتُ فِيهَا أَمَلَك
لَسْتُ أَخْشَى مِنْكَ صَدًّا أَوْ نَوَى
إِنَّمَا يَخْشَى فُؤَادِي مَلِكَ !
لَمْ يَكُنْ يُبْدِعْ شِعْرِي غَزَلًا
قَبْلَ أَنْ يَعْشُقَ قَلْبِي غَزْلَكَ !
قَالَ مَنْ أَبْصَرَ مَا بِي مُشْفِقًا
أَيَّ سَفْكَالٍ ظَلَمْتُ وَمِ قَتْلَكَ ؟
فَتَمَنَّيْتُ وَقَدْ أَحْرَجَنِي
قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي لَوْ سَأَلَكَ !
لَمْ يُلْمَنِي فِيكَ مَنْ ذَاقَ الْهَوَى
أَوْ يَعِبُ إِلَّا عَزْلُ جَهْلِكَ
عُدْ إِلَى الصَّفْوِ الَّذِي عَوَّدْتَنِي
فَأَنَا مَنْ لَيْسَ يَسْأَلُ مَنْهَلَكَ

لَا تُضِعْ وَدّاً بَنَيْنَا صَرْحَهُ

وَمَكَاناً فِي فُؤَادِي عُمْدَكَ

مَالَنَا عَنْ هِبَةِ الْحُبِّ غِنَى

فَهُوَ لِلْإِنْسَانِ أَسْمَى مَا مَلَكَ !

لَا تُرْعَ مِنْ حَادِثٍ تُمْنَى بِهِ

أَوْ صَدِيقٍ لَمْ تَخُنْهُ خَذْلَكَ

كُلَّ شَيْءٍ يَا حَبِيبِي قَاتِلْ

حِينَ أَلْقَى أَوْ تُتْلَا قِي أَجَلُكَ !!

سَوَانِح

كَمْ بَعَثْنَا مَعَ النَّسِيمِ شُجُونًا
وَذَكَرْنَا أَجَبَةً قَدْ نَسُونَا
وَكَتَمْنَا الْهَوَىٰ وَلَمْ نَذِرْ أَنَّ الشَّـ
وَقَ يُبْدِي مِنْ حُبِنَا الْمَكْنُونَا
قَدَرِي أَنْ أَحِبَّ مَنْ لَيْسَ يَهْوَا
نِي وَأَوْفِي بَعْهَدِ مَنْ لَا يَفُونَا !
أَيَّ شَيْءٍ هَذِي الْحَيَاةُ إِذَا لَمْ
تُغْتَنَمْ قَبْلَ أَنْ نُلَاقِيَ الْمَنُونَا ؟
مَا بُكَائِي عَلَى الدِّيارِ وَمَا كَا
نَ أَصِيلًا قَدْ صَارَ فِيهَا هَجِينَا !
كُلَّ شَيْءٍ قَدْ غَيَّرْتَهُ اللَّيَالِي
وَمَحَتِ حَسَنَهُ الْوَضِيءُ السِّنُونَا
كُلَّ مَا كَانَ يُمْتَعُ النَّفْسُ فِيهَا
عَادَ يُقْذِي - وَاحْشَرْتَاهُ الْعِيُونَا !
كَمْ فَحَصْتُ الْوُجُوهَ فِيهَا لَعَلِّي
التَّقِي فِي الدُّرُوبِ مَنْ أَوْحَشُونَا !
فَكَأَنِّي هَبَطْتُ فِيهَا بِقَفْرِ
أَوْ كَأَنِّي هَبَطْتُ فِي أَرْضِ سِينَا !

مَا عَلَى الدَّهْرِ إِنَّ أَسَاءَ مَلَامٍ
 قَدْ بَلَّوْنَا صُرُوفَهُ وَيَلِينَا
 وَصَحَّوْنَا وَزَوَّرَقُ الْعُمْرِ يَجْرِي
 لِمَصِيرٍ نَظْنُفُهُ لَنْ يَحِينَا
 مَا عَلَيْنَا أَنْ نُصْلِحَ الْكَوْنَ إِنَّ كَا
 نَ بَنُوهُ يُفْضِّلُونَ الْجُنُونَ !
 رَبَّمَا لَوْ يُعْطَى الْخِيَارَ وَلَيْدٌ
 لَتَمَنَّى فِي الْغَيْبِ أَنْ لَا يَكُونَا !

* ● *

خَلَّ عَنْكَ الْأَسَى وَفَوَّضَ إِلَيْهِ
 وَأَنَخَ فِي جَمَاهُ تَلَقَّ السُّكُونَا
 وَأَزَحَ عَنْكَ ظِلْمَةَ الشَّكِّ وَأَمْلَأَ
 قَلْبَكَ الْمُسْتَهَامَ مِنْهُ يَقِينَا
 رَحْمَةً اللَّهِ لَنْ تَضِيقَ بَعْبِدِ
 لَمْ يُسَيِّءْ قَطُّ فِي الْكَرِيمِ الظُّنُونَا !
 غَرِقَ الْكَوْنُ فِي نَدَاهُ فَكُلُّ
 مَنْ سَوَاقِي بِحَارِهِ يَغْرِقُونَا !
 مَا كَشَفْنَا بِالْعَقْلِ أَسْتَارَ غَيْبِ
 حَارَ فِي حَلِّ لُغْزِهِ الْأَقْدَمُونَا

فَاتَّهَمَ بِالْقُصُورِ عَقْلَكَ تَرْتَحُ

مِنْ أَحَاجِي سُقْرَاطَ أَوْ أَفْلُطُونَا !

وَأَسْأَلِ الْفَضْلَ لَا الْعَدَالَهَ مِنْهُ

كُنَّا عَنْ إِرْضَائِهِ عَاجِزُونَ !

وَإِذَا مَا الْحَبِيبُ أَدْنَاكَ مِنْهُ

كُنْ مُسِيئاً أَوْ كُنْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ !

سَلَام

سَلَامٌ مِنْ صَبَا فَاسٍ أَرْقُ
 وَشَوْقٌ عَارِمٌ يَحْدُوهُ شَوْقُ
 ذَكَرْتِكَ فِي رِيَاضٍ مُزْهِرَاتٍ
 وَنَدَمَانٍ لَهُمْ خُلُقٌ وَذَوْقُ
 كُؤُوسٍ مُدَامِهِمْ لَحْنٌ وَشِعْرُ
 مَعَانِيهِ مِنْ الصَّهْبَا أَرْقُ
 أَحْبَبُوا الشِّعْرَ مُذْ كَانُوا شَبَابَا
 وَفِي أَعْطَافِهِمْ مَرْحٌ وَنَزَقُ
 وَمَا زَالَتْ تَهْزُهُمُ الْمَعَانِي
 وَتَسْتَلِبُ الْعُقُولَ وَتَسْتَرِيقُ !
 ذَكَرْتُكَ فِي أَصِيلِ شَاعِرِي
 وَقَدْ غَنَّتْ عَلَى الْأَدْوَا حِ وَرُقُ
 تُظَلُّ أُنَا خَمِيَاةُ يَاسَمِينَ
 عَلَيْهَا مِنْ عُقُودِ الْوَرْدِ طَوْقُ
 وَلِلْأَطْيَارِ فِي الْوَادِي حَيْنُ
 يُرْقِصُهَا وَفِي الْأَغْصَانِ عِشْقُ
 وَتُسَمِعُنَا سَوَاقِي الْمَاءِ لَحْنًا
 بِلَا وَتَرٍ وَلَا دُفٍّ يُدَقُّ !

لَهَا فِي السَّمْعِ جَرَسٌ مُسْتَطَابٌ
إِذَا انْسَابَتْ وَفِي الْأَعْمَاقِ عُمُقُ !
ذَكَرْتُكَ هَاهُنَا فَوَضَعْتُ كَفِي
عَلَى قَلْبِي، وَشَكُّوْى الْقَلْبِ خَفَقُ
وَأَلْقَى الْعُودَ مِنْ يَدِهِ الْمُغْنِي
وَلَمْ يُسْعِفْ مُجِيدَ الشِّعْرِ نَطْقُ
نَأَيْتَ ! وَأَنْتَ فِي رُوحِي مُقِيمٌ
وَمَا بَيْنَ النَّوَى وَالْمَوْتِ فَرْقُ !
ذَكَرْتُكَ وَاللَّيَالِي مُسْرِعَاتُ
تُغْذُّ بِنَا، وَبَاقِي الْعُمْرِ بَرْقُ
وَمَا لِلشَّمْسِ بُدٌّ مِنْ غُرُوبِ
وَلَيْسَ وَرَاءَ أَفُقِ الْعُمْرِ أَفُقُ !
عَسَى الْأَيَّامُ تَنْصِفُنَا وَيُعْطَى
لِمَنْ حَرَمْتَهُ مِنْ لُقْيَاكَ حَقُّ !

بَحْرُ عَيْنِيكَ

أَدْرِكُ مُجِباً بِنَارِ الشَّوْقِ يَحْتَرِقُ
الْوَجْدَ أَرْهَقَهُ وَالِدَمْعَ وَالْأَرْقُ
أَدْرِكُ مُجِبَكَ فِي بَحْرِ الْهَوَى شَبْحاً
يَكَادُ يَقْتُلُهُ فِي مَوْجِهِ الْغَرَقُ !
فِي بَحْرِ عَيْنَيْكَ دُنْيَا لَأَحْدُودَ لَهَا
يَخْضِقُ عَنْهَا إِذَا مَا امْتَدَّتِ الْأَفُقُ
أَضَاعَ يَوْمَ رَأَى عَيْنَيْكَ رَاحَتَهُ
وَعَقَلَهُ وَأَذَابَتْ قَلْبَهُ الْحُرَقُ
مَا زَالَ يَكْتُمُ حَتَّى سَالَ مَدْمَعُهُ
كَالزَّهْرِ يَفْضَحُهُ فِي رَوْضِهِ الْعَبْقُ !
سَلِ الْبَلَابِلَ مَنْ أَضَحَتْ تَقْلِيدُهُ
فِي شَدْوِهَا، وَيُنَاغِيهَا فَتَنْطَلِقُ
أَنَا الْمُحِبُّ الَّذِي أَعْطَاكَ أَجْمَعَهُ
وَفِي يَدَيْكَ أَسِيرٌ لَيْسَ يَنْعَتِقُ
فَكَيْفَ تَبْعُدُ عَنْ عَيْنِي وَمَا أَلْفَتُ
إِلَّا بِهَاكَ الَّذِي مِنْ نُورِهِ الْفَلَقُ !
إِذَا ذَكَرْتُ رَجُلِي عَنْكَ أَرْقَنِي
وَسَاوَرَ النَّفْسَ مِنْ أَهْوَالِهِ فَرَقُ !

لَكُمْ تَوَقَّعْتُ فِي دُنْيَايَ مِنْ نُوبٍ
وَمَا تَوَقَّعْتُ أَنَا سَوْفَ نَفْتَرِقُ !
وَكُنْتُ بِالذَّهْرِ وَالْأَيَّامِ ذَاتِقَةً
وَالْيَوْمَ بَعْدَ رَحِيلِي عَنْكَ لَا أَثِقُ !
ذَكَرْتُ أَيَّامَكَ الْبَيْضَ الَّتِي سَلَفَتْ
وَنَحْنُ فِي عَرَصَاتِ الْحُبِّ نَغْتَبِقُ
بِلَا مُدَامٍ وَلَا كَأْسٍ مُشْعَشَةٍ
وَأِنَّمَا وَهَجٌ فِي الرُّوحِ يَأْتَلِقُ
كُنَّا مَلَائِكِينَ إِحْسَاسًا وَعَاطِفَةً
وَمَنْبُعًا لَمْ يُكَدِّرْ صَفْوَهُ رَنَقُ
وَمَا الْحَيَاةُ بِلَا حُبٍّ يُجْمَلُهَا
إِلَّا جَجِيمٌ بِهِ الْأَرْوَاحُ تَخْتَنِقُ
يَنَاعِمُ الْبَالُ فَوْقَ الشَّطْرِ مُنْتَشِيًا
امدِّ يَدَيْكَ لِتُنْجِيَ بَعْضَ مَنْ غَرِقُوا !
الْعَقْلُ عِنْدَكَ مَرَهُونٌ بِأَجْمَعِهِ
وَالرُّوحُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا بَعْدَكُمْ رَمَقُ !
لَا تَمْتَحِنِي ! فَإِنِّي فِي الْوَفَا مِثْلُ
عَالٍ، وَفِي الْحُبِّ إِنْسَانٌ لَهُ خُلُقُ !

رسالة

يَا مُشْبِهَ الْوَرْدِ أَنْسَاماً وَأَنْفَاسَا
وَأَنْبَلَ النَّاسِ أَخْلَاقاً وَإِحْسَاسَا
أَهْدَيْتَنِي الْوَرْدَ مَعْصُوراً فَذَكَّرَنِي
خَمَائِلَ الْوَرْدِ وَالْأَزْهَارِ فِي فَاسَا !
فِي مَوْطِنِ الشَّعْرِ فِي أَرْضِ نِعْمَتْ بِهَا
وَهَامَ قَلْبِي بِهَا حُباً وَإِنَاسَا
وَذِكْرِيَّاتٍ بِهَا ظَلَّتْ تُورِقُنِي
وَإِخْوَةً أُمْتَعُوا رُوحِي وَجِلَّاسَا
مَا الدَّارُ دَارٌ كَمَا كَانَتْ رَوَائِعُهَا
تَزْهَوُ وَلَا النَّاسُ فِيهَا تَعْرِفُ النَّاسَا !
تَغَيَّرَتْ مُذْ نَأَتْ عَنْهَا أَحِبَّتُهَا
وَلَمْ تَجِدْ لِكُنُوزِ الْمَجْدِ حُرَّاسَا !
فَتَشَّتْ عَنْ أَوْجِهِ فِيهَا أُنِسْتُ بِهَا
فَمَا وَجَدْتُ بِهَا وَجْهاً وَلَا رَاسَا
وَسَاءَنِي أَنْ تَرَى عَيْنِي مَتَّاحِفَهَا
قَدْ حَوَّلَتْهَا يَدُ الْأَحْدَاتِ أَدْرَاسَا
كَأَنَّهَا بِمَنْ تَبْكِي أَحِبَّتُهَا
أَوْ مَا تَمُّ دَقِ لِحْزَانٍ أَجْرَاسَا !

قُصُورُ عِزِّ أَزَالِ الدَّهْرِ عِزَّتَهَا
وَجَدْتُهَا تَشْتَكِي يُتَمًّا وَإِفْلَاسًا
نَحِبُهَا - وَكَمَا تَبْدُو - لَأَنَّ بِهَا
لِمَنْ فَقَدْنَا مِنَ الْأَحْبَابِ أَرْمَاسًا
وَالْأَرْضُ أَعْلَى إِذَا ضَمَّتْ أَحِبَّتْنَا
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ تَضُمُّ التِّبْرَ وَالْمَاسَا !



فَاسٌ تُرَاثُ لِهَذَا الشَّعْبِ أَجْمَعِهِ
كَانَتْ وَلَمَّا تَزَلْ فَخْرًا وَنِبْرَاسًا
لَا عَتَبَ يَادَهُرُ إِنْ سَرَّتْكَ غُرْبَتُنَا
وَغَابَ أَحْبَابُنَا عَنَّا وَلَا بَاسًا !
كَفَّاكَ مِنْ نَارِحٍ مَا ذَاقَ مِنْ غُصَصٍ
كَفَّاكَ يَادَهُرُ مَا عَانَى وَمَا قَاسَى
يَا مُهْدِي الْوَرْدِ كَمْ أَهْدَيْتَ مِنْ عَبَقِ
وَكَمْ تَضَوَّعْتَ فِي أَرْوَاحِنَا آسَا !
الْوَرْدُ وَدٌّ وَعِنْدِي مِنْهُ أَصْدَقُّهُ
فَلْيَبْقَ وَرَدًا نَدِيَّ الْغُصْنِ مِيَّاسَا
فَهَلْ نَعُودُ إِلَى فَاسٍ فَنَشْهَدَ فِي
جَنَاتِهَا الْخُضِرِ أَعْيَادًا وَأَعْرَاسَا
أَفْعَمْتَ بِالْحُبِّ كَاسِي فَانْتَشَيْتُ بِهَا
فَعُدْ إِلَيَّ بِأُخْرَى وَأَمْلِ الْكَاسَا !

شاعر السين

مُتِّمًا جِيئَتْهَا ؟ أَمْ كُنْتَ قَدِيسًا ؟
تَتَّلُو الْأَنَاجِيلَ فِي مُحَرَّابِ بَارِيسَا
لَبِيتَ لَمَّا دَعَاكَ السِّينُ دَعْوَتَهَا
وَطَرْتَ أَسْرَعَ مِنْ عَفْرِيتِ بَلْقِيسَا !
رَاعَتْكَ فِتْنَتُهَا وَالزُّورُ يَغْمُرُهَا
لَيْلًا، وَغَزَلَانُهَا تَحْكِي الطَّوَاوِيسَا !
مِنْ كُلِّ فَاِتْنَةِ شَقَرَاءِ مَائِسَةِ
تُحِيلُ طَلْعَتُهَا الْأَقْمَارَ فَاَنُوسَا !
أَخَافُ مِنْكَ عَلَيْهَا وَهِيَ رَاتِعَةٌ
فِي غَفْلَةٍ عَنْ طَلِيقٍ كَانَ مُحْبُوسَا



بَارِيسُ فُكْرٌ وَأَدَابٌ وَمَعْلَمَةٌ
وَمَرْبَعٌ لَمْ يَزَلْ بِالْعِلْمِ مَغْرُوسَا
وَبَرْجٌ «إِيفِيلَ» لَا يَسْمُو لَهُ هَرَمٌ
وَلَا يُضَاهِيهِ إِبْدَاعًا وَتَأْسِيسَا
لَوْ جَازَ تَقْدِيسُ مَا تَبْنِي سَوَاعِدُنَا
لَفَاقَ مَا شَيَّدَ الْمَاضُونَ تَقْدِيسَا
يُلْقَى بِهَا كُلُّ قَلْبٍ مَائِهِيْمٌ بِهِ

وَقَدْ تُحِيلُ تَقِيَّ الرُّوحِ إِبْلِيسَا !
رَدَّتْ إِلَيْكَ شَبَابَ الْعُمْرِ مُؤْتَلَقَا
وَأَيَّقَظْتَ فِيكَ دُنْيَاهَا أَحَاسِيسَا
مَلَأَتْ عَيْنَكَ مِنْ دُنْيَا مَبَاهِجَهَا
وَفَجَّرْتَ فِيكَ شِعْراً كَانَ مَهْمُوسَا
أَهْدَيْتَنِي مِنْ شَذَا أَزْهَارِهِ عَبَقَا
فَخِلَّتَنِي بِهِ مَخْمُوراً وَمَمْسُوسَا
رَفَقَاً بِقَلْبِكَ لَا تَعْصِفُ بِهِ فِتْنُ
فَلِي بِهِ سَكَنٌ مَا زَالَ مَأْنُوسَا
وَأَنْتَ مَنْ لَا يَجَارِي فِي عَوَاطِفِهِ
وَلَيْسَ يَعْرِفُ فِي حُبِّ مَقَايسَا !
لَا يَخْدَعَنَّكَ وَرْدُ السُّوقِ فَهُوَ لُقَى
وَلَا كَرَامَةً فِي وَرْدٍ إِذَا دِيسَا !
وَأَيَّ وَرْدٍ يَسِرُّ الْعَيْنَ نَاضِرُهُ
إِنْ كَانَ مِنْ كُلِّ مَنْ يَهْوَاهُ مَلْمُوسَا !
يَاهَاتِفَاً بِأَسْمِنَا فِي أَنْسِ خَلُوتِهِ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ إِنْ عَهْدٌ بِهِ خِيسَا
إِنْ ضَاقَ قَامُوسُ شِعْرِي فِي مُسَاجِلَتِي
فَإِنَّ فِي نَبْضَاتِ الْقَلْبِ قَامُوسَا !

ذِكْرِي وَعَهْدِي

مَرَادٌ، وَلِلْفَكْرِ مُنْتَجَعٌ
وَرُوحِي بِرُوحِكَ تَسْتَمْتَعُ
تُوسِعُ مَا لَيْسَ يَتَّسِعُ !
لِنَلْقَى مِنَ الْبُعْدِ مَا يُوجِعُ
أَرَاكَ بِقَلْبِي فَأَقْتَنِعُ !
فَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يَمْنَعُ !
عُيُونُكَ حَائِمَةٌ تَزْرَعُ
تَحْشُومُ عَلَيْهِ وَلَا تَقْعُ !
جَمَالٍ وَأَنْتَ بِهِ مُوَلِّعُ !

ذَكَرْتُكَ فِي مَنْظَرٍ لِلْهَوَى
تَمَنَيْتُ لَوْ كُنْتُ فِي جَانِبِي
وَلَكِنَّ أَيْدِي النَّوَى لَمْ تَزَلْ
تُحَاوِلُ أَنْ تُبْعِدَ الْمُلتَقَى
أَحْسَكَ رَغَمَ النَّوَى حَاضِراً
فَلَا تَنْتَظِرُ أَنْ يَجُودَ الزَّمَانُ
كَأَنَّ عَيْوَنِي لَدَيْكَ تَرَى
تَحْشُومُ عَلَى كُلِّ فَنٍ تَرَاهُ
وَكَيْفَ تَغْضُ عَيْوَنُكَ عَنْ

* *

عَرَأْسُهُ صُوراً تُفْزَعُ
وَعَيْرُ الْجِرَاحِ الَّتِي تُلْدَعُ
فَجَاءَتْ شَيَاطِينُهُ تُسْرِعُ !
تَوَدُّ الْعِنَاقَ وَتَمْتَنِعُ !
وَضَاقَ بِهِ الْأَهْلُ وَالْمَوْضِعُ !
وَلَا أَحَدٌ مِثْلُهُ أَضْيَعُ !
تَرَصَّدْنَا مَا الَّذِي نَصْنَعُ ؟
وَنَمْشِي وَهَامَتُنَا تُرْفَعُ
وَإِنْ شَطَّتِ السَّدَارُ وَالْأَرْبَعُ

سَكَتٌ عَنِ الشَّعْرِ لَمَّا بَدَتْ
وَلَمْ يَبْقَ فِي الْقَلْبِ غَيْرُ الْأَسَى
إِذَا صَدَّعَنِي تَنَاسَيْتُهُ
كَخُلُقِ الْغَوَانِي إِذَا غَضِبَتْ
وَمَنْ صَوَّحَتْهُ عَوَادِي الزَّمَانِ
فَلَا حُلُوَ فِي الْعَيْشِ يَحْلُو لَهُ
إِذَا كَانَ يَاصَّاحِبِي قَدَرًا
فَعَهْدًا بِأَنْ نَتَّحِدَ الزَّمَانُ
وَعَهْدًا عَلَى الْوُدِّ نَحْفَظُهُ

الوَاشِي

خَسِيءُ الْوَاشِي الَّذِي بَلَّغَكُمْ
وَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ وَالْحَجَرُ !
لَمْ يَنْلُ مِنْ سَعْيِهِ مَنَفَعَةً
أَوْ يَنْلُزَنَا مِنْ أَذَاهُ ضَرَرُ !
دَبَّ كَالْعَقْرَبِ فِي رَمْضَائِهَا
وَلَظَى الْحَقْدِ بِهِ تَسْتَعِرُّ
يُظْهِرُ الْإِخْلَاصَ فِيمَا يَدَّعِي
وَهُوَ مَشَاءُ نَمِيمٍ أَشْرُ !
إِنَّ مَنْ نَمَّ بِنَا نَمَّ بِكُمْ
وَبَذِي الْقَوْلِ فِيكُمْ مُنْكَرُ
سَاءَ الْحُبُّ الَّذِي يَجْمَعُنَا
فِي تَصَافٍ، وَرَأَى مَا يُوْغِرُ
أَنْتَ مَنْ رَوَّعَ قَلْبِي هَجَرُهُ
وَجَفَانِي دُونَ ذَنْبٍ يُذَكِّرُ !
أَنَا لَمْ أَصْغِ وَأَصْغَيْتَ لَنُ
وَرَأَيْتَ الصَّدْقَ فِيمَا يُخْبِرُ
وَتَسَرَّعْتَ بِحُكْمٍ لَمْ تُحِطْ
بِخَفَايَاهُ الَّتِي تَسْتَتِرُ

وَأِذَا الْقَتْلَاتُ لَأَقْيُ أَذْنَاءَ
تَتَلَقَّيْ مِنْهُ كَأَنَ الْخَطَرُ
إِنْ يَكُنْ مَا قِيلَ عَنَّا كَذِبًا
فَأَنَّا عَنْ ظَالِمِي أَعْتَذِرُ
أَوْ يَكُنْ صِدْقًا فَمَا أَكْثَرَ مَا
يَرْكَبُ الْأَخْطَاءَ مِنَّا الْبَشَرُ !
أَكْذَا بَعْتُمْ بِوَأَشٍ وَدَنَّا
وَأَبَى أَحَبَّاءُنَا أَنْ يَغْفِرُوا ؟
طَبَعَ النَّاسُ عَلَى الْخَيْرِ وَفِي
عَالَمِ الشَّرِّ يَضِيعُ الْخَيْرُ !
هَكَذَا يَطْفُو غُثَاءٌ وَيُورَى
رَاسِبًا فِي قَعْرِ يَمٍ جَوْهَرُ !
وَحَبَايَا النَّفْسِ دُنْيَا لَا تُرَى
وَمُحِيطٌ غَوْرُهُ لَا يُسَبَّرُ !
وَإِذَا هَبَّ عَلَى الرُّوضِ هَوَاً
مُنْتِنٌ، أَنْتَنَ مِنْهُ الزَّهَرُ !



يَا لَوُدٍ ! لَمْ تَنْلُ مِنْ صَفْوِهِ
رَغَمَ أَحْدَاثِ اللَّيَالِي غَيْرُ !

عَصَفَ الْوَاشِي بِهِ فِي لَحْظَةٍ
وَعَلَاهُ بَعْدَ صَفْوٍ كَدْرُ
مَا عَلَى الشَّاعِرِ بَاسٌ إِنْ قَسَا
مَنْ حَبَاهُمْ حُبَّهُ أَوْ غَدَرُوا
رُبَّمَا تَبَصَّرُ مِنْ بَعْدِ الْعَمَى
عَيْنُ أَعْمَى، وَيَصِحُّ النَّظَرُ !
وَيَرَى الْبَاطِلَ فِي رَأْدِ الضُّحَى
كَاسِفَ الْوَجْهِ، وَتَبْدُو الصُّورُ !
لَا تُدِمُ شَامِتَتَا مُبْتَهَجًا
أَوْ تَدْعُ زَرْعُهُ فِينَا يُثْمَرُ
وَأَسْقِيهِ الْكَأْسَ الَّتِي دَارَ بِهَا
غُصَصًا مِنْ هَمِّهَا يَنْقُطَرُ
لَا تُهْدِمَ مَا بَنَيْنَاهُ بِمَا
يُرْجِفُ الْوَاشِي وَمَا يَبْتَكِرُ
لَا يُمِيتُ حُبَّكَ بُغْضِي فَلَاكُم
قَتَلَ الْإِنْسَانَ بُغْضُ مُضْمَر !

لَابَّاس

لَابَّاسَ بِالْغُصْنِ إِنْ لَمْ يَذُبِّلِ الزَّهْرُ
وَلَا عَتَابَ إِذَا مَادَاعَبَ الْقَدْرُ
هِيَ الْحَيَاةُ صِرَاعٌ لَأَحْدُودَ لَهُ
وَنُزْهَةٌ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهَا السَّفَرُ !
وَزَوْرَقٌ لَمْ يَزَلْ يَجْرِي لِغَايَتِهِ
وَمَسْرَحٌ كُلُّ مَا فِي عَرْضِهِ صُورُ !
وَمَا حَوَادِثُهَا مِمَّا نُسَاءَ بِهِ
فَقَدْ تَعَوَّدَ أَنْ يَشْقَى بِهَا الْبَشَرُ !
وَأِنْ نَصَبَ بِأَذَى فِيهَا فَمَا أَحَدٌ
سَقَتُهُ كَأْساً وَلَمْ يعلق بِهَا كَدْرُ
وَأِنْ تَكُنْ صِحَّةُ الْإِنْسَانِ مُنِيتُهُ
فَرُبَّمَا كَانَ فِي رَاحَاتِهِ ضَرَرُ !
وَلَيْسَ فِيهَا سَلِيمٌ مِنْ حَوَادِثُهَا
وَلَا سَعِيدٌ نَاتٍ عَنْ سَاحِلِهِ الْغَيْرُ

وَقَدْ عَهْدْتُكَ صُلباً فِي نَوَائِبِهَا

وَمَنْ تَحَدَّى فَلَمْ يَقْعُدْ بِهِ كِبَرُ !

قَدْ يَسْلَمُ الْجِسْمُ مِنْ سَيْفٍ يُصَابُ بِهِ

وَقَدْ تُعْطَلُهُ مِنْ وَخْزِهَا الْإِبَرُ !

إِنْ كَانَ لِلطَّبِّ أَنْ يَشْفِيَ الْجِرَاحَ فَقَدْ

تَشْفِي الْقَوَافِي جِرَاحاً مَالَهَا أَثَرُ !

غَدًا تَعُودُ لِذَاكَ الثَّغْرِ بِسَمْتِهِ

وَيَشْهَدُ الْأَهْلُ عُرْساً لَيْلُهُ سَمَرُ !

قَلْبٌ كَبِيرٌ

تَنَفَّسْتَ كَالِإِصْبَاحِ عَنِ رَائِعِ الشَّعْرِ
وَحَلَقْتَ فِي جَنَّاتِ عَبْقَرٍ كَالنَّسْرِ
كَأَنَّ إِلَاهَ الشَّعْرِ أَلْقَى يَرَاعَهُ
إِلَيْكَ فَأَلْقَيْتَ الْقَوَافِي كَالدُّرِّ
وَجَلَّيْتَهَا حَسَنَاءَ تَقْطُرُ رِقَّةً
وَتَخْتَالُ فِي وَشْيٍ وَتَسْبَحُ فِي عَطْرِ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ يُبْدِعَ اللَّحْنَ شَاعِرٌ
تَعَوَّدَ أَنْ يَشْدُو بِتَطْوَانٍ كَالْقَمَرِي
فَكَمْ أَنْجَبَتْ تَطْوَانُ مِنْ شَاعِرٍ شَدَا
بِجَنَّاتٍ - كَيْتَانٍ - عَلَى دَوْحِهَا الْخُضْرِ !
وَمَا كَانَ مَا أَبْدَعَتْ شِعْرًا وَإِنَّمَا
عُصَارَةٌ وَدٍ فَاضٍ مِنْ قَلْبِكَ الْحُرِّ
وَلَوْحُهُ فَنٍ لَمْ تُزْرِكْشَ بَرِيشَةً
وَلَكِنْ بِمَا ضَمْتَ حَنَائِيكَ مِنْ طَهْرِ
وَنَحْنُ بَنُو جِيلٍ يَسُوءُكَ أَنْ تَرَى
أَفَاضِلَهُ صَرَعَى التَّمَلُّقِ وَالْغَدْرِ
أَفْتِشُ فِيهِ عَنْ طَلِيقٍ فَلَا أَرَى
سِوَى مُسْتَرْقٍ رَاكِعٍ وَهُوَ لَا يَذْرِي !

وَأَنَّ صَدِيقاً وَاحِداً تَسْتَفِيدُهُ
وَحَوْلَكَ أَعْدَاءٌ لِمَنْ فَلَتَتِ الدَّهْرُ !
فَحَيِّتَ مِنْ قَلْبٍ كَبِيرٍ وَبُورِكَتَ
سَجَايَا أَدِيبٍ مُبْدِعٍ نِيرِ الْفِكْرِ
يَغُوصُ عَلَى دُرِّ الْمَعَانِي وَيَنْتَشِي
بَهَا وَيُجِيدُ الرَّأْيَ فِيهَا وَلَا يُطْرِي
وَمَا كُلُّ مَنْ رَصَّ الْقَوَافِي بِشَاعِرٍ
وَمَا كُلُّ زَهْرٍ فِي الرِّيَاضِ بِذِي نَشْرِ !
وَمَا كُلُّ أَطْيَارِ الرِّيَاضِ بِلَابِلَاءٍ
وَلَا كُلُّ عَقْدٍ قَدْ تَأَلَّقَ فِي نَحْرِ !
إِذَا عَيَّ مَنِي النُّطْقِ عَنْ شُكْرِ شَاعِرِي
فَإِنَّ جَنَانِي طَافِحٌ عَبْقُ الشُّكْرِ

● إلى الأديب محمد العربي الشاوش.

رفيق الشعر

تحية إلى الشاعر : علي الصقلي

رَفِيقَ الشَّعْرِ حَيَّتْكَ (الشُّمُوعُ)
فَقَاضَتْ فَرْحَةً مِنْكَ الدُّمُوعُ
وَلَمْ تَرَهَا شُمُوعاً بَلْ شُمُوساً
يَزِينُ جَمَالَهَا الزَّاهِي طُلُوعُ
وَلَا عَجَبٌ فَذَوْقُكَ لِلْمَعَانِي
وَكَمْ أَبَدَعْتَهَا ذَوْقُ رَفِيعُ
فَيَاكَ مُطَرِّباً ! كَمْ أُمْتَعْتَنِي
مَزَاهِرُهُ وَأَرْغَنُهُ الْبَدِيعُ !
عَرَّائِسُكَ الزُّهُورُ تَفُوحُ عِطْراً
وَشِعْرُكَ فِي نَضَارَتِهِ رَبِيعُ
هَدَايَاكَ الْحِسَّانُ دَلِيلُ حُبِّ
مَتِينٍ لَيْسَ يَبْلَى أَوْ يَضِيعُ
بَغْيِرِ الشَّعْرِ لَا أَجْزِيكَ عَنْهَا
وَذَلِكَ خَيْرٌ مَقَادُ أُسْتَطِيعُ
وَأِنْ أَبْطَأْتُ فِي رَدِّ التَّحَايَا
فَلِي مِنْ حِلْمٍ شَاعِرِنَا شَفِيعُ

شُمُوعٌ

قصيدة لشاعر مبدع أصيل - علي الصقلي - أهدانيه وقد قرأ ديواني - وأهديه القراء
نفحة من نفحات الأصالة وومضة من ومضات الإبداع

يَا مُوقِداً أَزْهِى شُمُوعِي
أَجَرَيْتَ مِنْ فَرَحٍ دُمُوعِي !
مَا إِنْ لَـهُ إِلَّا إِلَى
أُسْنَى الرِّوَائِعِ مِنْ نُزُوعِ
هَذِي شُمُوسِكَ لِأَشْمُو
عُكَ أَذْنَتُنَا بِالطُّلُوعِ !
وَقَضَّتْ عَلَى كُلِّ الْكُـوَا
كِبَ بِالتَّقَهُُّرِ وَالرَّجُوعِ !
مَا إِنْ كُنَّا قِبَ نُورِهَا
الْوَضَاءِ نُورٌ ذُو سَطُوعِ
فَلْتَزِهِ فِي كُلِّ الْمَحَا
فِلِ وَالْمَوَاكِبِ وَالْجُمُوعِ



يَا فَارِساً خَاضَ الْمَلَا
حِمَ بِالْأَسِنَّةِ وَالْدُرُوعِ

بَارَى الْكِبَارَ وَمِنْ نَبِي
 الشَّعْرِ لَمْ يَكُ بِالْجَزُوعِ
 كَلًّا ! وَلَا أَضْحَى بِمَا
 دُونَ الْفِرَاقِ بِالقَنُوعِ
 حَتَّى أَطَاعَتْهُ أَفَا
 نِينَ الْقَوَافِي فِي خُضُوعِ
 مَا الشَّعْرُ إِلَّا حَقُّكَ الْآ
 بُهَى حَوَى أَرْكَى الزُّرُوعِ
 شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْأُصُ
 لِ فَسَلْ شُمُوعَكَ وَالْفُرُوعِ !
 مَا كُلُّ مَاءٍ سَالٍ مِنْ
 أَنْقَى الْمَنَابِعِ وَالطُّبُوعِ !
 فَلْتَسْكُتِ الْغُرَبَانُ فِي
 هَذِي الْمَعَاهِدِ وَالرُّبُوعِ !

* ● *

مَا الشَّعْرُ غَمْغَمَةٌ وَطَلٌّ
 سَمٌّ غَبِيٌّ ذُو صُدُوعِ
 وَرُؤَى ضَبَابِيَّةُ الْمَلَا
 مَحِ مِثْلُ شَرِّ رُؤَى هَجُوعِ

وَرُكَّامُ أَلْفَاظٍ مُعْتَهَ —

— مَمَّةٌ بِلَا أَدْنَى نُصُوعٍ

مَاقَرٍ فِي فِكْرِ لَهَا

يَوْمًا قَرَارٌ ذُو نُجُوعٍ

فَالرَّيْحُ تَذَرُوهَا كَانٌ

لَيْسَتْ بِثَابِتَةٍ الْوُقُوعِ !

وَاهَا لِمُنْشِدِهَا أَلِيٌّ —

— سَ كَشَرَ فَأَفَاءَ هُلُوعٍ ؟

* ● *

الشُّعْرُ إِبْدَاعٌ وَإِمْتَا

عَ يَتَيَّمُ كُلَّ رُوعٍ

الشُّعْرُ وَخِي نَبْضُهُ

حَرَّى، صَدَى قَلْبٍ وَلُوعٍ

وَكَمِثْلٍ أَصْفَى مَنْبُعٍ

يُغْرِي صَفَاهُ بِالْكَرُوعِ

الشُّعْرُ يَسْمُو بِالْبَيَا

نِ وَلَيْسَ بِالرَّمْزِ الْمَنُوعِ

يَا بَارَكَ اللَّهُ الشُّمُو

عَ شَذًّا لَهُ أَقْوَى ذِيُوعٍ

وَصَلَاةٌ فَتَّانٍ بِهِ

نَاتَمَ طُرًّا فِي حُشُوعٍ

صَدَاكَ

لوعة من مشتاق وشاعر أصيل رفيق العمر الفقيه محمد الإدريسي، أنشرها مع هذه الأوراق، وقد كان مكانها في ديوان له لو أمهله المنون

وَأَفَى كِتَابَكَ حَيْثُ خَيْمَ حَوْلَنَا
شَبَحَ الْمَبَاضِعَ فِي ثِيَابِ حِدَادِ
وَالْكُلُّ يَسْكُبُ عَبْرَةً رَقْرَاقَةً
مَلْفُوفَةً فِي رَهْبَةِ الْأَصْفَادِ
وَالْجِسْمُ أَفْقَدَهُ الْمُخْدِرُ وَعَيْهُ
مُسْتَسْلِمًا لِجِرَاحَةِ الْجَلَادِ !
لَكِنَّ صَوْتَكَ بِالْقَدَاسَةِ صَارِحٌ
بِالشَّعْرِ بِشَرِّ السَّلَامِ فُؤَادِي
أَوْحَى بِبَادِرَةِ الْمَسَرَّةِ وَالْهَنَا
أَنْسَى الْجَمِيعَ مَرَارَةَ الْأَكْبَادِ
صَاغَ الْقَرِيضَ مُنْضَدًّا فِي آيَةٍ
أَزَلِيَّةِ التَّرْتِيلِ وَالْإِنْشَادِ
مُشْتَاقَةً تَحْنُو إِلَى مُشْتَاقِهَا
(أَصْدَاؤُهَا) حَرَسَتْ عَرِينَ الضَّادِ !
(حَلَوِيَّةٌ) مَلَكْتَ عِنَانَ صَبَابَتِي
وَرَوَتْ قَوَافِيهَا غَلِيلَ الصَّادِي

صَوْتُ عَلَا فَهَفَّتْ لَهُ أَرْوَاحُنَا
نَبْرَاتُهُ قُدْسِيَّةُ الْإِمْدَادِ
صَوْتُ بَشَائِرُهُ أَظَلَّتْ أَفْقُنَا
بِالنُّبْلِ يَحْمِلُ مَشْعَلَ الْإِرْشَادِ
فَتَلَالَاتٍ مِنْ حَوْلِنَا أَنْوَارُهُ
وَتَبْلُورَتٍ أَغْرُودَةُ الْأَعْيَادِ
وَانْفُصَّ عَنَّا كُلُّ كَرْبٍ عَاصِفٍ
وَأَنْهَارَ صَرْحٍ تَفَرَّقَ وَبَعَادِ



أَهْلًا بِوَافِدَةِ السَّلَامَةِ وَالْهَنَا
أَهْلًا بِعَهْدٍ رَاسِخٍ الْأَطْوَادِ
أَهْلًا بِمِنْبَرِ شَاعِرٍ غَمَرَ الدُّنْيَا
وَمُتَوِّجٍ فِي الشِّعْرِ دُونَ عِنَادِ
إِنْ قَالَ قَافِيَةً هَفَّتْ أَرْوَاحُنَا
وَعَلَا الْهَتَافُ مُدَوِّيًّا فِي النَّادِي
وَتَعَمَّدَتْ بِالزَّهْرِ يَوْمَ لِقَائِهِ
وَتَحَرَّكَ النَّاقُوسُ لِلْعَبَادِ !
عَمَلَانَا فِي الشِّعْرِ حَرَّكَ شِعْرُنَا
دُقَّ الطُّيُولُ وَهَزَّ كُلُّ جَمَادِ !

عِيدُ الشَّعْرِ

في حفل كرمته فيه بأصيلا من جمعية المعتمد سنة 1988، ألقى الصديق الشاعر علي الصقلي هذا القصيد الجميل . وأعتقد أنه من حقي - وقد أهدها إلي - أن أنشره مع هذه الأوراق، كوثيقة أدبية أعتز بها وبكاتبها.

بَيْنَ الشَّذَا وَالنَّدَى وَاللَّحْنِ وَالْوَتْرِ
رَفَّتْ قَوَافِيكَ بَاقَاتٍ مِنَ الزَّهْرِ
هَامَ الرَّبِيعُ بِهَا حَتَّى تَكُونَ لَهُ
إِلَى فُنُونِ الْمَرَايِي فِتْنَةَ الْفَكْرِ
وَوَدَّهَا اللَّيْلُ إِكْلِيلًا لَأَنْجُمِهِ
وَأَنْسَ كُلِّ عَمِيْدٍ دَائِمِ السَّهْرِ
وَكُلُّ رَوْضٍ تَمَنَّاها رَحِيقَ طِلَا
تَسْقِيهِ كَاسَاتِهَا الْأَطْيَارُ فِي السَّحْرِ

* ● *

لِلَّهِ أَسْنَى قَوَافٍ صِيغَ رِيْقُهَا
مِنْ بَسْمَةِ الْفَجْرِ مِنْ إِطْلَالَةِ الْقَمَرِ
مِنْ نَفْحَةِ الطَّيِّبِ، مِنْ إِطْرَاقِ سُنْبُلَةٍ
حُبْلَى تُبَاهِي بِزَادٍ وَافِرِ الثَّمَرِ
مِنْ الْهَوَى الْعَفِ فِي أَصْفَى مَنَابِعِهِ
قَدْ ضَمَّ أَهْلُ الْهَوَى فِي أَطْهَرِ الْأَزْرِ

مِنْ آهَةِ الشَّعْبِ فِي سَاعَاتِ نِقْمَتِهِ
 وَآهَةُ الشَّعْبِ وَيْلٌ طَائِرُ الشَّرَرِ
 مِنْ فَرْحَةِ الشَّعْبِ إِذْ يَجْنِي الْمُنَى ثَمَلاً
 بِنَصْرِهِ وَيُحَقُّ الْحَقُّ فِي الظَّفَرِ
 كَذَاكَ (أَنْغَامُكَ) الزَّهْرَاءُ رَنَّ لَهَا
 أَصْدَاءُ تَخْتَالُ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
 وَلَمْ تَزَلْ وَهِيَ أَشْهُى مَا تَعَاقَرَهُ
 أَهْلُ الْهَوَى حَمْرَةَ السُّمَارِ فِي السَّمْرِ
 وَكَيْفَ لَا ؟ وَيَدُ الْحُلُوي تَعَصِرُهَا
 إِنَّ الْحَالَاةَ مِنْهُ غَايَةُ الْوَطْرِ !
 سَلَنِي بِهَا فَلَكُمْ عُوطِيَّتُهَا كَلِفاً
 بِكَاسِهَا وَبِهَا أُولِعْتُ فِي صِغَرِي
 وَأَيُّ حَمْرٍ كَخَمْرِ الرُّوحِ يَسْكُنُهَا
 بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ لَا يُبْقِي عَلَى ضَجَرٍ !



يَنَاظِمًا مِنْ عُقُودِ الشَّعْرِ أَنْفَسَهَا
 مِمَّا سَيَبْقَى حُلِيّاً دَائِمَ الْأَثَرِ
 مُطَوَّقاً جِيدَ هَذَا الدَّهْرِ فَهُوَ بِهِ
 بَاهَى اعْتِرَازاً وَفَخْراً سَائِرِ الْعُصْرِ

كَمْ بَيْنَنَا مِنْ (حَوَارِيِّينَ) قَدْ جَعَلُوا
مِنْ (حَلَوِيَّاتِكَ) مِلءَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ !
وَالشَّعْرُ مَا لَمْ يَكُنْ وَحِيّاً يَجِيشُ بِهِ
طَبَعٌ شَدِيدٌ صَفَاهُ لَيْسَ بِالْعَكْرِ
تَغْدُو بِأَنْغَامِهِ الْأَرْوَاحُ هَائِمَةً
نُوراً وَنَاراً مِنَ الْفَرْدَوْسِ أَوْ سَقَرِ
فَإِنَّمَا هُوَ لَفْظٌ قَاتِمٌ وَصَدَى
لَأَشْيَاءٍ مِمَّا بِنَا يَحْدُو إِلَى النَّظَرِ
وَالشَّعْرُ أَقْدَسُ مُحَرَّابٍ نَقُومُ بِهِ
مُرَتَلِينَ الْهَوَى لَحْناً بِلَا وَتَرِ



يَا شَاعِرَ الْحُبِّ غَنِّ الْحُبَّ وَاشْدُدْ لَنَا
وَلَا تَدْعُنَا نَمْلُ الْعَيْشَ، لَا تَذَرِ
وَاهُنَا بِعَيْدِكَ عِيدِ الشَّعْرِ مُغْتَبِطاً
بَبْثِ أُنْدَى أَمَانِينَا إِلَى الْبَشْرِ

شُمُوعِ الْحُلُوبِ

تفضل الشاعر القصصي المبدع أحمد عبد السلام البقالي بهذه الهدية الرقيقة والمشاعر النبيلة تقريظاً منه لديواني فشكراً له

فِي لَيْلَةٍ مَشْـوْومَةٍ لَيْلَاءَ مِنْ عُمْرِ الْقَرِيضِ
سَادَ الضَّبَابُ بِهَا وَغَا بَ الْعَقْلُ وَانْتَصَرَ النَقِيضُ
وَحَبَا بِرِيْقِ الشَّعْرِ فِي رَهَجِ الضَّحَالَةِ وَالْغَمُوضِ !
وَطَعَى بِهَا لَغْوُ الْحَدَا ثَةً كَالذَّبَابِ أَوْ الْبُعُوضِ !
شَعْرٌ بِـلَا مَعْنَى وَلَا إِيْقَاعِ وَزْنٍ، أَوْ عَرُوضِ
لَمْ يَبْقَ قَانُونٌ وَلَا سُنَنٌ تُرَاعَى، أَوْ فُرُوضِ

ظَهَرَتْ شُمُوعُكَ فِي السَّمَاءِ كَبَارِقِ الْأَمَلِ الْعَرِيضِ
فَمَحَتْ ظِلَامَ اللَّيْلِ اللَّيْـ لَاءَ مِنْ عُمْرِ الْقَرِيضِ !
وَأَزَاحَ عَنَّا فَجْرُهَا أَهْوََالَ كَابُوسِ بَغِيضِ
مِمَّا بِهِ رَشَحَتْ قُودُ رُ الْقَوْمِ فِي الزَّمَنِ الْمَرِيضِ
رَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّعْرَ وَانْتَبَهَ شَلَتَهُ مِنْ ذَاكَ الْحَضِيضِ !

يَا صَاحِبَ الطَّرْفِ الْغَضِيضِ وَصَاحِبَ الصَّوْتِ الْخَفِيضِ
مَا صَوْتُ شِعْرِكَ بِالْخَفِيضِ وَلَا جَنَاحُكَ بِالْمَهِيضِ
لَمْ تَلْعَنِ الظُّلُمَاتِ بَلْ أَشْعَلْتَ شَمْعاً ذَا وَمِيضِ
أَنْوَارُهُ أَبَدًا عَلَى الْأَرْوَاحِ مَا فَتَتْ تَفِيضِ
لَيْسَتْ شُمُوعاً بَلْ شُمُوساً فِي سَمَاوَاتِ الْقَرِيضِ

قِـمَّةُ الْمَجْدِ

أهداني الأخ الشاعر عبد الغني سيكرج
هذه القصيدة بمناسبة تكريمي
وبدوري أهديتها للقارئ الكريم معترًا بها وبكاتبها

شَاعِرَ الْمَغْرِبِ الْمُجِيدَ سَلَامًا
وَتَحَايَا أَرْفُهَا إِكْرَامًا
كَانَ لِلنَّابِهِينَ قَبْلَكَ يَوْمَ
كَرَّمَ النَّاسُ فِيهِمُ الْأَعْلَامَ
رَفَعُوا ذِكْرَ مَنْ تَقَعَّدَ لِلدَّرِ
سِ وَمَنْ عَلَّمَ النَّهْيَ الْإِقْدَامَ !
خَلَّدَ الْفِكْرَ حَرَّرَ الْفِكْرَ أَحْيَا
سُنَّةَ الْكَوْنِ فِي الْجِهَادِ وَنَامَا
وَاتَى الْيَوْمَ فِيكَ تَكْرِيمُ شَعْرِ
هُوَ مَجْدٌ لَأُمَّةٍ تَتَسَامَى
لَمْ تَزَلْ تُرْسِلُ الْقَوَافِي تَتَرَى
تَتَوَالِي تَرْفُهَا آلَامَا
دُرًّا لَوْ تُسَامُ بِالتَّبْرِ أَعْلَتْ
كُلَّ صَبٍّ أَفْحَمَتْ مُسْتَهَامَا

لَمْ يَذُقْ طَعْمَهَا وَلَا نَالَ مِنْهَا
 غَيْرُ مَنْ ذَاقَ مِنْ رُضَابِ النَّدَامَى
 هِيَ كَالنُّورِ مُزْهِراً كَغَوَالِي الـ
 عِطْرِ إِنْ هَبَّ فِي الرَّبَى أَوْ تَنَامَى



نَبَأَةُ الشَّعْرِ نَفْحَةُ اللَّهِ تُتْلَى
 فَتُثِيرُ الإِعْجَابَ وَالْإِلْهَامَ !
 لَمْ تَدَعْ فِيهِ غَيْرَ مَا لَيْسَ يُرْضَى
 رِقَّةً. جَدَّةً. صَفَاءً. هَيَامًا
 وَمِنْ الشَّعْرِ مَا يَرُوقُ وَيُرْضَى
 وَمِنْ الشَّعْرِ مَا يَكُونُ حُطَامًا
 وَرَقِيقُ الشُّعُورِ مِنْ رِقَّةِ النَّفْسِ
 س. وَمَا يَسْتَحِرُّ فِيكَ اضْطِرَامًا
 لَيْسَ بِالشَّعْرِ مَا يُرَدِّدُ فِي السُّو
 ق. وَيُزْرِي بِقَائِلِيهِ الْإِيَامَى !
 إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا يَهْزِكُ طَبْعًا
 وَيُثِيرُ الْأَوْهَامَ وَالْأَحْلَامَ
 فَلْتَدُمِ شَاعِرِي عَلَى الْوَدِّ وَالْعَهْدِ
 وَفِيَا بِدَايَةِ وَخْتَامَا

ضمير الشعر

قصيدة لشاعر تطوان المبدع عبد الواحد أخريف
بعد قراءته لمسرحيتي (أنوال) وأهديها بدور إلى
القارئ ليستنشق منها عبير الشعرية ونسيم الأصالة

أَجْزِي بِالتَّنَائِيَا خَيْرَ مُهْدِي
إِلَيَّ مَعَ الْوِدَادِ صَنِيعَ مَجْدٍ ؟
وَقَدْ أَغْنَاكَ فَيْضُكَ مِنْ خِيَالٍ
يُجَنِّحُ لِلْعُلَا عَنْ كُلِّ حَمْدٍ
نَشَرْتَ مَفَاخِرًا تَزْهُو رُؤَاهَا
لَدَى الْأَبْطَالِ فِي صَدْرِ وَرْدٍ
وَعَنَى فِي الْوُجُودِ لَهَا لِسَانٌ
بِشَعْرِكَ صَادِحٌ يُنْهِي وَيُبِيدِي
يُرَدِّدُ كَالشَّهَادَةِ صِدْقَ قَوْلٍ
وَيُلْقِي فِي الْحَالَاوَةِ طَعْمَ شَهْدٍ
وَشِعْرُكَ كَاسِمُكَ الْمَيِّمُونَ فِيهِ
عُذُوبَةُ نَعْمَةٍ وَجَمَالُ عِقْدٍ !
وَهَبْتَ ضَمِيرَهُ لَفْظًا وَمَعْنَى
فَجَاءَكَ طَبِيعًا مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ
يَسِيلُ عَلَيْكَ وَحْيًا فِي سَخَاءٍ
وَيُجْهِدُ آخِرِينَ طَوِيلُ كَدٍ

سَبَائِكُهُ يَعْزُّ لَهَا مَثِيلُ
وَرَوْعَتُهُ تَتِيَّهُ بِغَيْرِ نَدِ
جَوَاهِرُهَا يُزِينُهَا نِظَامُ
وَبَاقَتُهُ تَفُوقُ جَمَالَ وَرْدِ
يُذَكِّرُنِي إِذَا أُمَعَنْتُ فِيهِ
(أَبَا تَمَّام) فِي سَبِكِ وَعَقْدِ
وَمُوسِيقَى (الْوَلِيدِ) وَلَحْنِ (شَوْقِي)
وَمَنْ بَلَغُوا الإِمَارَةَ مِنْ (مَعْدِ)
وَحِكْمَةِ (أَحْمَدِ) تَحْكِي سَطُوعاً
مَدَى الْأَيَّامِ تَرْفُضُ أَيَّ رَدِ
أَقُولُ بِأَنََّّهُ دُرٌّ وَلَكِنْ
أَرَى التَّشْبِيهَ لَا يَدْنُو لِقْصْدِ
يَرِقُّ إِذَا تَنَازَلَ جَانِبِيهِ
شُعُورٌ تَغْزِلُ وَلَهِيْبٌ وَجَدِ
وَيَصْفُو كَالْغَدِيرِ تَرَى عَلَيْهِ
لَأَلْوَانِ الطَّبِيعَةِ وَشَيْ بُرْدِ !
وَيَقْسُو إِنْ نَثَرْتَ لَظَاهُ حَقْداً
عَلَى قَالِي الْحَمَى مِنْ كُلِّ وَغْدِ
شَدَوْتَ لِمَجْدِ شَعْبِكَ خَيْرَ شِعْرِ
سَيَلْبَسُ بِالمَفَاخِرِ تَاجَ خُلْدِ

عَكَّسَتْ بِهِ بَطُولَةَ عَبْقَرِي
 بِهِ (أَنْوَال) تَشْمَخُ بَيْنَ جُنْدِ
 عَلَى (عَبْدِ الْكَرِيم) رَقَتْ مُنَاهَا
 فَحَقَّقَ لِلرَّجَاءِ نَزُولَ سَعْدِ
 وَجَنَّدَ لِلْخُصُومِ قُلُوبَ غَدَرِ
 وَوَلَّى الْهَارِبُونَ بِخِزْيِ طَرْدِ
 وَلَقَّنَ خَصْمَنَا دَرْسًا سَيَبْقَى
 حَدِيثًا لِلْعُلَى يُجْدِي وَيَهْدِي
 فَأَضْحَى الثَّائِرُ الْمَغْوَارُ رَمَزًا
 يُشِيرُ إِلَى الْبُطُولَةِ وَالتَّحَدِّي
 هِنَاءً لِلْقَصِيدِ تَنَاولَتْهُ
 مَوَاهِبُ شَاعِرٍ فَلَ مُمْدِ
 لَقَدْ عَقَدَتْ إِمَارَتُهُ لَوَاهَا
 لَهُ مِنْ غَيْرِ مَانَصٍ وَحَشْدِ
 وَإِنْ أَكْ مُعْجَبًا بِالشَّعْرِ مِنْهُ
 فَلَسْتُ مُرَنِّحَ الْإِعْجَابِ وَحَدِي
 أَخِي الْحُلُوي يَا عِلْمًا تَسَامَى
 بِهِ الْإِبْدَاعُ فِي حُسْنٍ وَوَقْدِ
 إِلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامَ قَلْبِي
 وَصِدْقَ مَشَاعِرِي وَجَمَالَ وُدِي

الموسوعة

تقريظ لكتاب الدبلوماسية المغربية للدكتور عبد الهادي التازي . وقد أهداني إياه

مَا كَانَ مَا أَهْدَيْتَنِي مَوْسُوعَةً
طُويَتْ بِهَا السَّاحَاتُ وَالْأَزْمَانُ
وَتَسَلَّسَلَتْ أَحْدَانُهَا وَكَأَنَّهَا
مَنْظُومَةٌ فِي سِلْكِهَا عَقِيَانُ
مَا كَانَ مَا أَهْدَيْتَنِي مَوْسُوعَةً
بَلْ كَانَ رَوْضًا زَهْرُهُ أَلْوَانُ
وَعُصَارَةٌ الْمَاضِي الَّتِي لَمْ يَحْوِهَا
طِرْسٌ وَلَمْ يَطْمَحْ لَهَا إِنْسَانُ
قَدْ جُلْتُ فِيهِ وَمِلْءُ أَنْفَاسِي شَذَا
عَبَقٌ وَغَيْثٌ سَمَائِهِ هَتَّانُ
وَسَبَّحْتُ فِي أَجْوَائِهِ وَكَأَنِّي
ثَمْلٌ بِمَا أَهْدَيْتَنِي نَشْوَانُ
قَرَّتْ بِمَا أَبْدَعْتَ أَعْيُنُ أُمَّةٍ
مِنْ دَائِهَا الْإِهْمَالُ وَالنِّسْيَانُ !
وَكَشَفْتَ عَنْ أَمْجَادِهَا فِي رِحْلَةٍ
كَالسِّنْدِيدِ بَادٍ وَفَكَرَكَ الرَّبَّانُ
فَاهِنًا بِمَا أُعْطِيَتْ وَلَنْهَنًا بِهَا
حَسَنَاءُ صَاغَ جَمَالُهَا فَنَّانُ !

مَشَارِفُ السَّبْعِينَ

عَهْدْتُكَ يَا أَخِي الْحَلَوِي طَرُوبًا
فَمَا ذَنْبُ الْمَشِيبِ إِلَيْكَ حَتَّى
إِذَا كَانَ الْمَشِيبُ أَتَى بِذَنْبِ
شَكْوَتِ مَشَارِفِ السَّبْعِينَ ظُلْمًا
لِمَ الشُّكُوى وَفَنُكَ لَمْ يُبَارِحْ
وَمَا زِلْتَ رِيَاضَكَ نَاضِرَاتٍ

وَمَا الشُّكُوى مِنَ السَّبْعِينَ عَامًا
أَتَكْدَحُ دُونَهَا وَتُرَاعُ مِنْهَا
وَمَا تَبْغِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَى أَنْ
وَهَذَا أَنْتِ تَشْغَلُ كُلَّ نَادٍ
بِحَسْبِكَ مِيزَةً خُلِقَ رَضِيٌّ
وَمَعْرِفَةً تَزِيدُ الْفَنَّ حُسْنًا
وَشَعْرُ كُلِّ بَيْتٍ فِيهِ غُصْنٌ
وَأَبْكَارٌ يُهْبَنُ بِكُلِّ قَلْبٍ

أَخِي لَوْ كَانَ قَلْبُكَ مُسْتَرِيحًا
وَقَاكَ اللَّهُ مَا تَعَلَّتْ مِنْهُ
وَمَوْزُونًا لَكَانَ هُوَ الْغَرِيبَا
وَجَنَبَكَ الْمَمْرُضُ وَالطَّيِّبَا

وَمَا تَشْكُوهُ لَيْسَ سِوَى وَجِيبٍ
أَلَسْنَا يَا أَخِي نَحْيَا زَمَاناً
يُدِيلُ زَمَانُنَا الْغَوْغَاءَ مِنَّا
وَيَمْنَحُنَا عَلَى مَضَضٍ صَدِيقاً
وَنَنْظُرُ فِي جَرِيدَتِنَا صَبَاحاً
وَأَعْرِضُ عَنْ حَدِيثِ الشَّرْقِ إِنَّا
وَعَفْنَا عَنْهُ الْأَمَانِي
فَكَيْفَ نَطِيبُ نَفْساً بَعْدَ هَذَا

وَمَنْ لَمْ يَأْلَفِ الْيَوْمَ الْوَجِيبَا ؟
نَكَادُ نَعُدُّهُ حُلْماً رَهِيْبَا
وَيَمْتَهِنُ الْمُتَقَفَ وَالْأَدِيبَا
نَحْكُ جُفُونَنَا فَنَرَاهُ ذِيْبَا
فَنَجْتَرِعُ الْكَوَارِثَ وَالْحُرُوبَا
إِذَا سُقْنَاهُ شَقَقْنَا الْجُيُوبَا !
لَأَنَّا قَدْ أَلْفْنَا أَنْ تَخِيْبَا
وَيَنْبِضُ قَلْبُنَا نَبْضاً رَتِيْبَا !

بَقِيتَ لِفَنِّكَ الْغَالِي حَرِيصاً
تَجُودُ بِمَا تَجُودُهُ عَلَيْنَا

عَلَى الْإِبْدَاعِ مُعْتَكِفاً دَوُوبَا
وَتَسْقِينَا بِهِ كُوباً فَكُوبَا

الفهرس

5	* تقديم
---	---------------

الدينيات

13	* أمة القرآن
20	* نبي الهدى
37	* الإسراء
42	* الدعوة
49	* مجالس النور
54	* ليلة السلام
60	* المحرم
64	* المطهر
68	* المعلمة
78	* دعاء
84	* وافد الخير
89	* الحب الكبير

الطبيحيات

95	* ربيع بلادي
100	* نداء الربيع

104	* في رياض ابن زيدون
109	* الوادي الكبير
115	* غرناطة
116	* تحية
118	* ذكراني
122	* أما آن للفارس أن يترجل
127	* ذكراك
132	* فاس

الوطنيات

137	* عرش شعب
139	* البشرى
143	* مؤتمر الحمراء
149	* اللقاء
151	* السفينة
155	* الحمائم
157	* مسيرة المجد
161	* عائد
165	* لقاء الحب
167	* أعراس أصيلة

171	* عيد الستين
178	* أنشودة العيد
183	* جامعة الأخوين
186	* صك الكرامة
191	* تهنئة
192	* أكبرت فيك
197	* عيد الكرامة
200	* تحية
204	* عيد الأمل

القوميات

209	* بين عام وعام
212	* مواكب النصر
217	* وآ... لبنان
221	* أبو جهاد
225	* المجد للحجر
230	* الأبابيل
237	* نداء
240	* أطفال لاتنام
243	* حجران

244	* مواكب
248	* شمس لا تغيب
253	* عودة السلام
255	* أم المعارك
259	* يوم كان الزمان أندلسياً
261	* عسى الفجر
262	* ذكرت بغداد
265	* فجيرة مصر
270	* المذبحة
273	* عودة الجسور
277	* تهنئة
278	* السبعون
280	* ملك الشباب السبعون
283	* ابن بطوطة
285	* الشعر
289	* شظايا

المختلفات

295	* مرعى بعالمنا
298	* المغول

301*	أحرموا ثم أجرموا
303*	الأم
306*	اليقيم
309*	دمعة على القمر
313*	السمسار
316*	غريب الحي
319*	ماء ماء
321*	دبى دبى
324*	الزلزال
328*	حضارة
333*	العراف
338*	النازح
341*	العابثون
344*	التائه
345*	الألطف
347*	حالة
348*	اوريقة
352*	شاعر الحرية
354*	أسير أغمات

المراتي

- 361 * علم هوى
- 363 * من كان يرقص للقريض
- 368 * أعد ذكره
- 373 * وطني قضى
- 378 * منارة نضال
- 380 * أديب يودع
- 382 * وداع
- 386 * وداعا أيها الرفيق
- 389 * رمز أمة
- 394 * وفاء إلى روح فقيد الفكر والأدب
- 395 * وفاء إلى روح فقيد العلم
- 396 * موت شاعر

إخوانيات

- 403 * سلوا من غاب عنا
- 407 * حنين
- 410 * سوانح
- 413 * سلام
- 415 * بحر عينيك

417 * رسالة
419 * شاعر السنين
421 * ذكرى وعهد
422 * الواشي
425 * لباس
427 * قلب كبير
429 * رفيق الشعر
430 * شموع
433 * صداك
435 * عيد الشعر
438 * شموع الحلوي
439 * قمة المجد
441 * ضمير الشعر
444 * الموسوعة
445 * مشارف السبعين
447 * الفهرس